أبو طالب
بطل الإسلام

السيد حيدر محمد سعيد العرفي

أبو طالب بطل الإسلام

السيد حيدر محمد سعيد العرفي

الطبعة الأولى
١٤١٠ هـ / ١٩٩٠ م
حقوق الطبع محفوظة

الإهداء:

إلى روح والدي العلّامة السيد
محمد سعيد العرفي رحمه الله

أهدي كتابي

«أبو طالب بطل الإسلام»

ولدك البار
حيدر ـ أبو حسن

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿... فَبَشِّرْ عِبَادِ﴾(١٧) ﴿الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ، أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللهُ وَأُولَئِكَ هُمْ أُولُو الأَلْبَابِ﴾(١٨) سورة الزمر

﴿رَبَّنَا لاَ تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا، وَهَبْ لَنَا مِن لَدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنتَ الْوَهَّابُ﴾(٨) سورة آل عمران

رَبَّنَا ﴿وَلاَ تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلاًّ لِّلَّذِينَ آمَنُوا﴾(١٠) سورة الحشر

ـ اللهم أرنا الحق حقاً وارزقنا اتباعه، وأرنا الباطل باطلاً وارزقنا اجتنابه ـ

ـ اللهم علّمنا ماينفعنا، وانفعنا بما علّمتنا ـ

﴿وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾ (١١٤) سورة طه

كلما ذكر الرسول الكريم اتبعناه بـ «صلى الله عليه وآله وسلم» سواء أذكر «الآل» من ننقل عنه أم لم يذكرهم، وذلك تجنباً للصلاة البتراء.

ففي (جواهر العقدين) (والصواعق المحرقة) روي: أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: [**لاتصلوا عليَّ الصلاة البتراء**]، قالوا: وماالصلاة البتراء يارسول الله؟ قال: [**تقولون اللهم صل على محمد وتسكتون، بل قولوا: اللهم صل على محمد وعلى آل محمد**].

ينابيع المودة للقندوزي الحنفي ١/٦.

وأخرج الحافظ جمال الدين الزرندي عن أبي الطفيل وجعفر بن حيان، قالا:

خطب الحسن بن علي رضي الله عنهما بعد وفاة أبيه قال: ولما نزلت: ﴿ياأيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما﴾ الأحزاب (٥٦)

فقالوا: يارسول الله! كيف الصلاة عليك؟ فقال: [**قولوا اللهم صل على محمد وآل محمد**]

ينابيع المودة ١/٨

وعن جابر قال: لو صليت صلاة لم أصل فيها على محمد وعلى آل محمد مارأيت أنها تقبل. ينابيع المودة ٢/٨

ورد في (صحيح البخاري) لفظ (عليه السلام) بعد ذكر علي وآل البيت راجع الجزء الأول من (صحيح البخاري) ص١٢٧ و ١٣٠، والجزء الثاني منه ص١٢٦ و ٢٠٥

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة:

الحمد لله، والصلاة والسلام على سيدنا محمد أفضل خلق الله، وآله الطيبين الطاهرين، وبعد:

فإن من يقرأ سيرة الرسول الكريم يجد لعمه أبي طالب دوراً أساسياً وهاماً فيها، ومن يتعرض لأسباب هجرته من مكة المكرمة إلى المدينة المنورة ـ التي هي من أهم أحداث السيرة ـ لابد أن يذكر «عام الحزن» حين فجع الرسول الكريم بوفاة عمه وكافله وناصره وحاميه أبي طالب، ووزيرة الصدق زوجته أم المؤمنين خديجة بنت خويلد، ولابد أن يذكر مابلّغه جبريل عن الله عز وجل:

«اخرج منها ـ أي مكة ـ فقد مات ناصرك»

لذلك فإن الإفتراء على أبي طالب والإساءة إليه، إساءة لشخص الرسول الكريم حين يقال: إن أبا طالب مات على الشرك، ومعنى هذا: أن الرسول صلى الله عليه وآله وسلم قد نبت جسده الطاهر على طعام وشراب أهل الجاهلية، لأنه عاش يتيماً في بيت عمه أبي طالب بعد وفاة جده عبد المطلب.

وتدمير للدين الإسلامي، حين يقال: إن أبا طالب ناصر محمداً حميةً، لأنه ابن أخيه، ومعنى هذا: أن الإسلام قام على العصبية الجاهلية.

وبالرغم من أن هذه الأقاويل لم تكن موجودة في زمن الخلفاء الثلاثة أبي بكر وعمر وعثمان رضي الله عنهم، فقد اتخذ المهاجمون لأبي طالب من بعض أسباب نزول الآيات الثلاث وحديث الضحضاح حجة لإثبات مدعاهم، مع أن تلك الأحاديث (على فرض سلامتها من الجرح) فإنها دليل على إيمانه، حيث يستفاد منها أن الرسول الكريم شفع لعمه أو أنه سيشفع له، وأنه كان يحبه ويستغفر له ويذكره بكل خير، وأن أبا طالب مات على ملة عبد المطلب وهي ملة إبراهيم عليه السلام.

ولما كان الدين النصيحة، دفعني واجب النصيحة للمسلمين لتأليف هذا الكتاب الذي أوردت فيه الأدلة القاطعة المجمع على أكثرها، التي تثبت إسلامه وإيمانه، جمعتها من أقوال العلماء الأعلام، ورتبتها بشكل مسلسل، ونسقتها بصورة مترابطة، حتى أنها لوضوحها لاتحتاج إلى شرح، وأضفت مقدمة عن إيمان آباء الرسول الكريم وتوسعت بذكر الأدلة الفقهية والبدهية والعقلية والنقلية ومايتعلق منها بالعقيدة، ووضعت تعليقات وهوامش رأيتها ضرورية، وسميت الكتاب «أبو طالب بطل الإسلام» ليس لإسلامه وإيمانه فحسب، وإنما للدور الخطير الذي قام به بنصرة الرسول الكريم والدفاع عنه وعن الإسلام والمسلمين، وإني آمل أن أكون بتوفيق من الله عز وجلّ قد أحطت بالموضوع من كل جوانبه والحمد الله رب العالمين.

السيد حيدر محمد سعيد العرفي

بالنسبة للمراجع: الرقم الأول للجزء، والرقم الثاني للصفحة، مع مراعاة اختلاف الطبعات

القسم الأول

الفصل الأول

١ ـ إيمان آباء الرسول صلى الله عليه وآله وسلم

إن آباء الرسول صلى الله عليه وآله وسلم جميعهم مؤمنون موحدون، من لدن آدم إلى عبد الله عليهم سلام الله والدليل على ذلك:

١ ـ قوله تعالى:

﴿وممن خلقنا أمة يهدون بالحق وبه يعدلون﴾. الأعراف / ١٨١

فلابد أن يوجد في كل عصر منذ بدء الخليقة من يهدي للحق والعدل والتوحيد، وتوضح الآيات والأحاديث التالية، أن الأمة المقصودة في هذه الآية الكريمة تشمل آباء الرسول صلى الله عليه وآله وسلم أو تخصهم.

٢ ـ قوله تعالى مخاطباً رسوله الكريم:

﴿وتقلبك في الساجدين﴾. الشعراء / ٢١٩

قال علي بن ابراهيم: حدثني محمد بن الوليد عن محمد بن الفرات عن أبي جعفر عليه السلام قال: «الذي يراك حين تقوم وتقلبك في الساجدين» قال: في أصلاب النبيين صلوات الله عليهم أجمعين، تفسير القمي ٤٧٤ ونورالثقلين ٤ / ٦٩ والبحار ١٥ / ٣

وعن أبي الجارود، قال: سألت أبا جعفر عليه السلام عن قوله عز وجل:

﴿وتقلبك في الساجدين﴾. قال:

يرى تقلبه في أصلاب النبيين من نبي إلى نبي حتى أخرجه من صلب أبيه من نكاح وغير سفاح من لدن آدم، البحار ١٥ / ٣

وقال الطبرسي: وقيل: معناه: وتقلبك في أصلاب الموحدين من نبي إلى نبي حتى أخرجك نبياً، عن ابن عباس في رواية عطاء وعكرمة وهو المروي عن أبي جعفر وأبي عبد الله صلوات الله عليهما، مجمع البيان ٧ / ٢٠٧

وكما قال الرازي من أن المراد تقلبه ـ أي صلى الله عليه وآله وسلم ـ تنقله من الأصلاب الطاهرة إلى الأرحام الزكية ـ وهذا وجه من وجوه تفسير الآية ـ وليس مراده الحصر في هذا الوجه ولكن هذا الوجه هو الأولى بالقبول، فقد أخرج ابن سعد والبزار والطبراني وأبو نعيم عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى:

﴿وتقلبك في الساجدين﴾. الشعراء / ٢١٩

من نبي إلى نبي، ومن نبي إلى نبي، حتى أخرجتك نبياً، ففسر / تقلبه في الساجدين / تنقله في أصلاب الأنبياء ولو مع الوسائط[1]

ويرحم الله الحافظ شمس الدين بن ناصر الدمشقي حيث يقول:

تنقل أحمد نوراً عظيماً ... تلألأ في جباه الساجدينا
تقلب فيهم قرناً فقرناً ... إلى أن جاء خير المرسلينا[2]

٣ ـ وحمل الآية على أعم منهم وهم: المصلّون الذين لم يزالوا في ذرية إبراهيم، أوضح ليشمل غير الأنبياء، فقد أخرج ابن المنذر عن ابن جريج في قوله تعالى:

﴿رب اجعلني مقيم الصلاة ومن ذريتي ربنا وتقبل دعاء﴾. ابراهيم / ٤٠

قال: فلاتزال من ذرية إبراهيم ناس على الفطرة يعبدون الله تعالى[1]

٤ ـ وعن ابن عباس رضي الله عنهما، ومجاهد في قوله تعالى:

﴿وجعلها كلمة باقية في عقبه﴾. الزخرف /٢٨

وعن قتادة في الآية: هي شهادة أن لاإله إلا الله، والتوحيد لايزال في ذريته / أي إبراهيم / من يقولها بعده[1]

أقول: هذه الآية تشمل آباء الرسول صلى الله عليه وآله وسلم الذين هم من ذريته.

٥ ـ ولقوله تعالى لإبراهيم عليه السلام:

﴿قال إني جاعلك للناس إماماً قال ومن ذريتي قال لاينال عهدي الظالمين﴾. البقرة /١٢٤

أ ـ فالظالم لايناله عهد الله تعالى (لأنه مشرك) حيث ورد في الآية الكريمة:

﴿يابني لاتشرك بالله إن الشرك لظلم عظيم﴾. لقمان /١٣

فليس في هذه الذرية النبوية ظالم، لقوله تعالى:

﴿وباركنا عليه وعلى إسحق ومن ذريته محسن وظالم لنفسه مبين﴾. الصافات /١١٣

إذ المقصود: أن من كان محسناً من هذه الذرية ففيه النبوة، لأن الظالم لايناله عهد الله ولايكون نبياً أو إماماً لأنه مشرك كما أسلفنا.

ب ـ وليس فيها من يضله الشيطان أو تضله الأصنام والأوثان، لقوله تعالى، على لسان إبراهيم:

---

(١) أسنى المطالب ٣٧ وشرح رياض الصالحين للعرفي ج١ مخطوط، وأبو طالب عملاق الإسلام الخالد عن الفقه على المذاهب الأربعة لعبد الرحمن الجزيري باب النكاح ٢٠٨ إلى ٢١٣

(٢) الغدير ٣٥٣/٧

﴿رب إنهن أضللن كثيراً من الناس﴾ . إبراهيم /٣٦
فآباء الرسول الكريم هم من القليل الذي لم يكن ضالاً .

جـ ـ وليس فيها من يتخلى عن عقيدة إبراهيم عليه السلام وهي التوحيد ، لقوله تعالى ، على لسان إبراهيم : ﴿فمن تبعني فإنه مني ومن عصاني فإنك غفور رحيم﴾ . إبراهيم /٣٦
فليس هناك من عاص بين آباء الرسول صلى الله عليه وآله وسلم لأن العصاة مصيرهم إلى النار والعياذ بالله تعالى .

د ـ وليس فيها من يرغب عن ملة إبراهيم عليه السلام لقوله تعالى :
﴿ومن يرغب عن ملة إبراهيم إلا من سفه نفسه﴾ . البقرة / ١٣٠
والأنبياء بعيدون عن السفه لأنهم مثال الكمال .

هـ ـ وليس فيها العمل غير الصالح ، لقوله تعالى :
﴿إنه ليس من أهلك إنه عمل غير صالح﴾ . هود /٤٦
وهو وإن كان ابنه حقيقة إلا أنه نفاه من أهله لأنه ظالم ، قال تعالى :
﴿ولاتخاطبني في الذين ظلموا إنهم مغرقون﴾ . هود /٣٧
وقال تعالى :
﴿وقيل ياأرض ابلعي ماءك وياسماء اقلعي وغيض الماء وقضي الأمر واستوت على الجوديّ وقيل بعداً للقوم الظالمين﴾ . هود /٤٤

و ـ وليس فيها فاسق ، قال تعالى :
﴿ولقد أرسلنا نوحاً وإبراهيم وجعلنا في ذريتهما النبوة والكتاب فمنهم مهتدٍ وكثير منهم فاسقون﴾ . الحديد /٢٦
فالكثير الفاسق لايمكن أن تكون فيه النبوة ، التي بقيت في المهتدين الذين منهم آباء الرسول الكريم .

ز ـ وليس فيها مشرك لأن الشرك يحبط العمل ، قال تعالى :
﴿ولقد أوحي إليك وإلى الذين من قبلك لئن أشركت ليحبطن عملك ولتكونن من الخاسرين﴾ . الأنعام /٥٦
وقال تعالى :

﴿ذلك هدى الله يهدي به من يشاء من عباده ولو أشركوا لحبط عنهم ماكانوا يعملون﴾. الأنعام /٨٨

ح ـ وتوجد الهداية في هذه الذرية النبوية قال تعالى:

﴿أولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده﴾. الأنعام /٩٠

٦ ـ ولدعاء إبراهيم عليه السلام قال تعالى:

﴿رب اجعلني مقيم الصلاة ومن ذريتي ربنا وتقبل دعاء﴾. إبراهيم /٤٠

﴿ربنا إني أسكنت من ذريتي بواد غير ذي زرع عند بيتك المحرم ربنا ليقيموا الصلاة فاجعل أفئدة من الناس تهوي إليهم وارزقهم من الثمرات لعلهم يشكرون﴾. إبراهيم /٣٧

﴿رب اجعل هذا البلد آمناً واجنبني وبني أن نعبد الأصنام﴾. إبراهيم /٣٥

﴿رب اجعل هذا بلداً آمناً وارزق أهله من الثمرات من آمن منهم بالله واليوم الآخر﴾. البقرة /١٢٦

٧ ـ ولدعاء إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام، قال تعالى:

﴿وإذ يرفع إبراهيم القواعد من البيت وإسماعيل ربنا تقبل منا إنك أنت السميع العليم، ربنا واجعلنا مسلمين لك ومن ذريتنا أمةً مسلمةً لك وأرنا مناسكنا وتب علينا إنك أنت التواب الرحيم﴾. البقرة /١٢٧ ـ ١٢٨

ويعلق السيد فخار على هذه الآية قائلاً:

فمن زعم بعد تلاوة هذه الآية من كتاب الله تعالى، أن النبي عليه السلام ـ ولد من كفّار، فقد زعم أن الأمة المسلمة من ذرية إسماعيل قد انقطعت في وقت من الأوقات، ومن زعم أنها انقطعت في وقت من الأوقات، فقد زعم أن دعوة إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام لم تستجب.

ومن قال بذلك فما آمن بالله ولا برسوله صلى الله عليه وآله وسلم ولا عرف حق أنبيائه ولا منازل حججه، وكفى بهذا ضلالاً لمن اعتقده.

فهذا جميعه دليل على إيمان عبد الله بن عبد المطلب وآمنة بنت وهب، وعبد المطلب بن هاشم وأبي طالب بن عبد المطلب رضي الله عنهم[٣].

---

(٣) الحجة ٥٩

٨ ـ ولدعاء امرأة عمران لابنتها مريم عليهما السلام، قال تعالى:
﴿. . . وإني أعيذها بك وذريتها من الشيطان الرجيم﴾. آل عمران /٣٦
٩ ـ ولدعاء زكريا عليه السلام، قال تعالى:
﴿هنالك دعا زكريا ربه قال رب هب لي من لدنك ذرية طيبة إنك سميع الدعاء﴾.
١٠ ـ ولوصية إبراهيم ويعقوب عليهما السلام، قال تعالى:
﴿ووصى بها إبراهيم بنيه ويعقوب يابني إن الله اصطفى لكم الدين فلاتموتن إلا وأنتم مسلمون﴾. البقرة /١٣٢
١١ ـ ولوصية يعقوب عليه السلام، قال تعالى:
﴿أم كنتم شهداء إذ حضر يعقوب الموت إذ قال لبنيه ماتعبدون من بعدي قالوا نعبد إلهك وإله آبائك إبراهيم وإسماعيل وإسحاق إلهاً واحداً ونحن له مسلمون﴾. البقرة /١٣٣
١٢ ـ ولقوله تعالى عن إبراهيم عليه السلام:
﴿ووهبنا له إسحق ويعقوب وجعلنا في ذريته النبوة والكتاب﴾. العنكبوت /٢٧
١٣ ـ وأكدّ يوسف عليه السلام إيمان آبائه عليهم السلام، قال تعالى:
﴿واتبعت ملة آبائي إبراهيم وإسحق ويعقوب، ماكان لنا أن نشرك بالله من شيء ذلك من فضل الله علينا وعلى الناس ولكنّ أكثر الناس لايشكرون﴾. يوسف /٣٨
١٤ ـ وحين طلب إبراهيم من الله عز وجل:
﴿ربنا وابعث فيهم رسولاً منهم يتلوعليهم آياتك ويعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم إنك أنت العزيز الحكيم﴾. البقرة /١٢٩
إستجاب الله عزوجل دعاءه فبعث سيدنا محمداً صلى الله عليه وآله وسلم خاتم الأنبياء والمرسلين، وأرسله رحمة للعالمين، (ابن الذبيحين اسماعيل وعبد الله عليهما السلام).
اللهم صل على محمد وآل محمد. عدد ماذكرك الذاكرون وغفل عن ذكره الغافلون.
وقد ذكرنا الآيات المتعلقة بيعقوب وإسحق ويوسف وزكريا ومريم عليهم السلام لأن جميع آباء الأنبياء مؤمنون ولأن الذرية تكون أيضاً من ناحية الأم، قال تعالى:
﴿وتلك حجتنا آتيناها إبراهيم على قومه نرفع درجات من نشاء إن ربك حكيم عليم، ووهبنا له إسحق ويعقوب كلاً هدينا ونوحاً هدينا من قبل ومن ذريته داوود وسليمان وأيوب ويوسف وموسى وهارون وكذلك نجزي المحسنين، وزكريا ويحيى وعيسى وإلياس كل من

الصالحين، وإسماعيل واليسع ويونس ولوطاً وكلاً فضلنا على العالمين، ومن آبائهم وذرياتهم وإخوانهم واجتبيناهم وهديناهم إلى صراط مستقيم﴾. الأنعام ٨٣ ـ ٨٧

وقد احتج بهذه الآية الكريمة يحيى بن يعمر(٤) حين قال له الحجاج: أنت الذي تزعم أن الحسن والحسين ولدا رسول الله، فأجابه: بل الله يقول ذلك، فقال له الحجاج: إن اتيتني بآية من كتاب الله تقول ان الحسن والحسين ولدا رسول الله ـ غير آية المباهلة ـ أعطيتك عشرة آلاف دينار، وإلا ضربت عنقك فقال يحيى: وإن كانت آية المباهلة(٥) نعم الشاهد، إلا أني آتيك بغيرها، فقرأ الآيات من سورة الأنعام، وقال: ياسبحان الله! إذا كان عيسى هو ابن إبراهيم من أمه مريم لأنه لم يكن له أب فكيف لايكون الحسن والحسين ابني رسول الله من أمهما فاطمة، وهي ابنة محمد بدون واسطة، فبهت الحجاج، وقال ليحيى: خذ الدراهم لابارك الله لك بها، وكان قد استدعاه ليذبحه بدل الأضحية في العيد(٦).

وروى الصدوق في (العيون) عن الإمام موسى بن جعفر قال:

لما أدخلت على الرشيد وذكر خبراً طويلاً ـ إلى أن قال: لِمَ جوزتم للعامة والخاصة أن ينسبوكم إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، ويقولوا لكم: يابني رسول الله! وأنتم بنو علي؟ وإنما ينسب المرء إلى أبيه، وفاطمة إنما هي وعاء، والنبي عليه السلام جدكم من قبل

---

(٤) يحيى بن يعمر العدواني، أبو سليمان أول من نقط المصاحف، كان عالماً بالقرآن والنحو ولغات العرب، ولد في الأهواز، وأدرك بعض الصحابة، انتقل إلى خراسان، وتولى القضاء بمرو ونيسابور وهرات من قبل قتيبة بن مسلم، قال ابن أبي حاتم: ثقة بصري، وقال ابن خلكان: كان شيعياً من الشيعة الأولى القائلين بتفضيل أهل البيت من غير تنقيص لذي فضل غيرهم. ونقل أن له مع الحجاج ابن يوسف الثقفي محاورة بأفضلية الحسن والحسين عليهما السلام والاستدلال على أنهما من ذرية رسول الله، وقال الحاكم فيه: فقيه أديب نحوي مبرز توفي ١٢٩هـ وقيل سنة ٩٠هـ راجع بغية الوعاة ٤١٧، وفيات الأعيان ٢/٢٣٦، تهذيب الكمال ٣٦٩، مرآة الجنان ١/٢٧١ روضات الجنات ٢٧٢، الأعلام ٩/٣٢٥، الجرح والتعديل ٤ق٢/١٩٦، الحجة ١٦٧

(٥) آية المباهلة، قوله تعالى: ﴿إن مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون، الحق من ربك فلا تكن من الممترين، فمن حاجك فيه من بعد ما جاءك من العلم فقل تعالوا ندع أبناءنا وأبناءكم ونساءنا ونساءكم وأنفسنا وأنفسكم ثم نبتهل فنجعل لعنة الله على الكاذبين﴾. آل عمران /٥٩ ـ ٦١

والمباهلة (الملاعنة) فبإذن الله عز وجل أحضر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عن أبنائه الحسن والحسين وعن نسائه فاطمة وعن نفسه علي عليهم صلوات الله وسلامه، ليباهل نصارى نجران الذين لم يسلّموا بـ (ان مثل عيسى عند الله كمثل آدم) ينابيع المودة ١/٩ ـ لكن نصارى نجران انسحبوا من المباهلة وصالحوا رسول الله.

(٦) شرح نهج البلاغة للخوئي ١٣/١٠٤ نقلاً عن البحار ومقتل الخوارزمي ١/٨٩ بتصرف

ويروى أن الذي أحتج بها الأئمة الباقر والصادق والكاظم والرضا عليهم السلام

أمكم، فقلت:

ياأمير المؤمنين! لو أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم نشر، فخطب إليك كريمتك هل كنت تجيبه، فقال: سبحان الله! ولِمَ لا أجيبه؟ بل أفتخر على العرب والعجم وقريش بذلك، فقلت: لكنه عليه السلام لايخطب إليَّ ولا أزوجه. فقال ولِمَ. فقلت: لأنه ولدني ولم يلدك، فقال أحسنت ياموسى.

وعن الخطيب في (تاريخ بغداد) بسنده قال: حجّ هارون الرشيد فأتى قبر النبي صلى الله عليه وآله وسلم زائراً له، وحوله قريش وأفياء القبائل، ومعه موسى بن جعفر، فلما انتهى إلى القبر قال: السلام عليك يارسول الله ياابن عم، افتخاراً على من حوله.

فدنا موسى بن جعفر فقال السلام عليك يا أبت ـ (لأن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم جده والعرب تسمي الجد أباً) قال تعالى:

﴿كما أتمها على أبويك من قبل إبراهيم وإسحق﴾. يوسف / ٦

فتغير وجه الرشيد وقال: هذا الفخر ياأبا الحسن حقاً ـ أعيان الشيعة ٤ ق ٣ / ٤٦ و ٤٧.

وفي (شرح النهج) لابن أبي الحديد ٢٠ / ٣٣٤: أن عمرو بن العاص أرسل إلى أمير المؤمنين عليه السلام يعيبه بأشياء منها: أنه يسمي حسناً وحسيناً ولدي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال عليه السلام لرسوله: ـ أي لرسول عمرو ـ: قل للشانىء ابن الشانىء: لو لم يكونا ولديه لكان أبتر كما زعم أبوك.

وقد أورد الشيخ رضا أستاذي في رسالته (احتجاج الأئمة عليهم السلام مع مخالفيهم في إثبات أنهم عليهم السلام أبناء رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم) أربعين حديثاً مما رواه أهل السنة يذكر فيها الرسول الكريم الحسن والحسين بلفظ (ابني).

وأراد البعض نفي هذه الصفة عنهما. قال معاوية:

فقد ذكر ذكوان مولى معاوية قال: لاأعلمن أحداً سمى هذين الغلامين ابني رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، ولكن قولوا: ابني علي. (الحياة السياسية للامام الحسن) ٢٣ نقلاً عن (كشف الغمة) ٢/١٧٦

١٥ ـ وقد صح في أحاديث كثيرة أنه صلى الله عليه وآله وسلم قال:

آ ـ [نقلنا من الأصلاب الطاهرة إلى الأرحام الزكية].

ب ـ [لم أزل أنقل من أصلاب الطاهرين إلى أرحام الطاهرات حتى أسكنت في

صلب عبد الله ورحم آمنة].

جـ ـ [لم يزل الله تعالى ينقلني من أصلاب الطاهرين إلى أرحام المطهرات حتى أخرجني إلى عالمكم هذا].

ويعلق السيد فخار على هذه الأحاديث قائلاً:

فكان من أوضح الدليل على إيمان المشار إليهم ـ عليهم السلام ـ شهادة الرسول الصادع بالحق، والناطق بالصدق لهم بالطهارة، وقد أخبر الله تعالى عن الكافرين بالنجاسة، فقال:

﴿إنما المشركون نجس﴾. التوبة /٢٨

والنجس بخلاف الطاهر، فبين عليه السلام أنهم مؤمنون غير مشركين لأنهم لو كانوا عنده ـ عليه السلام ـ مشركين لما شهد لهم بالطهارة بعد حكم الله عليهم بالنجاسة.

فإن قيل: إنما أراد صلى الله عليه وآله وسلم بالطهارة، خلوهم عن المناكح الفاسدة التي كانت الجاهلية تستعملها، ولم يرد الطهارة التي هي الإيمان.

قلنا: شهادته صلى الله عليه وآله وسلم بالطهارة لهم عامة في الإيمان والمناكح الصحيحة، فمن خصها بأحد الوجهين دون الآخر طولب بالدليل

وأيضاً: لو كان عليه السلام أراد بذلك لوجب أن يبينه في حديثه لكي لا يقع منه الإبهام أنه شهد لمن سمّاه الله تعالى في كتابه نجساً بالطهارة(٧)

د ـ [ماولدت من بغي قط منذ خرجت من صلب آدم، ولم تزل تتنازعني الأمم كابراً عن كابر حتى خرجت من أفضل حيين من العرب هاشم وزهرة](٨)

ورحم الله القائل:

قريش خيار بني آدم ... وخير قريش بنو هاشم

وخير بني هاشم أحمد ... رسول الإله إلى العالم

١٦ ـ ويقول علي عليه السلام عن آباء الرسول صلى الله عليه وآله وسلم:

آ ـ فاستودعهم في أفضل مستودع، وأقرهم في خير مقر، تناسختهم كرام الأصلاب إلى مطهرات الأرحام، كلما مضى منهم سلف قام منهم بدين الله خلف، حتى أفضت

---

(٧) الحجة ٥٦ ـ ٥٩

(٨) أسنى المطالب ٣٨

كرامة الله سبحانه إلى محمد صلى الله عليه وآله وسلم، فأخرجه من أفضل المعادن منبتاً وأعز الأرومة مغرساً، من الشجرة التي صدع منها أنبياءه وانتجب منها أمناءه(٩).

ب ـ وقال عليه السلام:

والله ماعبد أبي، ولاجدي عبد المطلب، ولاهاشم ولاعبد مناف صنماً قط، قيل له: فما كانوا يعبدون؟ قال: كانوا يصلون إلى البيت على دين إبراهيم عليه السلام متمسكين به(١٠).

١٨ ـ ١٧ ـ وقد صح من طرق صحيحة:

أن الأرض لم تخل من سبعة مسلمين، فمن ذلك ماأخرجه عبد الرزاق وابن المنذر بسند صحيح على شرط الشيخين عن علي رضي الله عنه قال:

«لايزال على وجه الأرض سبعة مسلمون فصاعداً، ولولا ذلك لهلكت الأرض ومن عليها».

وأخرج الامام أحمد في الزهد بسند صحيح على شرط الشيخين عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: «ماخلت الأرض من بعد نوح من سبعة يدفع الله بهم عن أهل الأرض».

١٩ ـ ١٨ ـ وأخرج البخاري حديث:

[بعثت من خير قرون بني آدم، قرناً فقرناً، حتى بعثت من القرن الذي كنت فيه].

فإذا قارنت بين هاتين المقدمتين أعني: بعثت من خير قرون بني آدم... الخ، و: ان الأرض لم تخل من سبعة مسلمين... الخ، انتج ماقاله الامام الرازي من أن آباءه صلى الله عليه وآله وسلم كلهم موحدون، لأنه إن كان كل جد من أجداده السبعة المذكورين في زمانهم، ففيه المدعى ـ أي المطلوب ـ وإن كان غيرهم، فإما أن يكونوا على الحنيفية / ملة إبراهيم عليه السلام / فهو المدعى أيضاً ـ أي المطلوب ـ وإما أن يكونوا على الشرك، فيلزم أحد الأمرين:

أما أن يكون غيرهم خيراً منهم، وهو باطل لمخالفته الحديث الصحيح:

[من أنهم من خير قرون بني آدم قرناً فقرناً]

وأما أن يكونوا خيراً وهم على الشرك، وهو باطل بالإجماع قال تعالى:

﴿ولعبد مؤمن خير من مشرك﴾. البقرة / ٢٢١

---

(٩) نهج البلاغة الخطبة الرابعة

(١٠) الغدير ٧/٣٨٧ عن الصدوق في (كمال الدين / ١٠٤ وأبو الفتوح في (تفسيره) ٤/ ٢١٠ والسيد في (البرهان) ٣/٧٩٥ ـ ومؤمن قريش للخنيزي ٢٤٩ عن العباس ١٨ مسنداً لمرآة العقول ١/٣٦٢ ومعجم القبور ١/ ٢٠٠

فثبت أنهم على التوحيد، فيكونون خير أهل الأرض في زمانهم، وقد ذكر البزرنجي والسيوطي وغيرهم ممن ألفّوا في نجاة آباء النبي صلى الله عليه وآله وسلم وأمهاته، وفي أنهم كلهم على التوحيد دلائل وبراهين على ذلك، وأفردوا كل واحد من الآباء بترجمة[11].

١٩ ـ وقد قال أبو طالب عليه السلام مادحاً الرسول الكريم:

أنت النبي محمد ... قرم أغر مسود
لمسودين أكارم ... طابوا وطاب المولد
نعم الأرومة أصلها ... عمرو الحطيم الأوحد

٢٠ ـ ولسيدنا عبد الله عليه السلام والد الرسول الكريم هذه الأبيات:

لقد حكم السارون في كل بلدة ... بأن لنا فضلاً على سائر الأرض
وان أبي ذو المجد والسؤدد الذي ... يشار له مابين نشر إلى خفض
وجدي وآباء له أثلوا العلا ... قديماً بطيب العرف والحسب المحض[12]

الأثيل: القديم والأصيل في الشرف والرفعة

٢١ ـ ومدح العباس بن عبد المطلب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قائلاً:

من قبلها طبت في الظلام، وفي ... مستودع حيث يخصف الورق[13]

٢٢ ـ وقال البوصيري رحمه الله مادحاً الرسول الكريم:

لم تزل في ضمائر الكون ... تختار لك الأمهات والآباء
وبدا للوجود منك كريم ... من كريم آباؤه كرماء
نسب تحسب العلا بحلاه ... قلدتها نجومها الجوزاء
حبذا عقد سؤدد وفخار ... أنت فيه اليتيمة العصماء

٢٣ ـ ومعلوم أن النبوة اصطفاء واجتباء واختيار وإنعام، قال تعالى:

---

(١١) أسنى المطالب لدحلان ٣٧ ـ ٣٨

(١٢) سلسلة آباء النبي ٣٠١

(١٣) ينابيع المودة ١/١٢ ويروى: في الظلال

﴿إن الله اصطفى آدم ونوحاً وآل إبراهيم وآل عمران على العالمين ذرية بعضها من بعض والله سميع عليم﴾. آل عمران /٣٣ ـ ٣٤

﴿أولئك الذين أنعم الله عليهم من النبيين من ذرية آدم وممن حملنا مع نوح ومن ذرية إبراهيم وإسرائيل وممن هدينا واجتبينا إذا تتلى عليهم آيات الرحمن خرّوا سجداً وبكيا﴾. مريم ٥٨

﴿الله يصطفي من الملائكة رسلاً ومن الناس﴾. الحج ٧٥

٢٤ ـ يتضح مما ذكرنا أن النبي أو الرسول يجب أن يكون طيب الأصل طاهر المولد بعيداً عن الشرك الذي هو (الظلم والنجس)، يتكرم الله عز وجل عليه بالعصمة ليكون أهلاً لحمل الرسالة، وأداء الأمانة، قال تعالى لرسوله الكريم:

﴿إنا سنلقي عليك قولاً ثقيلاً﴾. المزمل ٥

فتلقى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الرسالة لأنه طاهر من طاهرين، لم تدنسه الجاهلية بأنجاسها ولم تلبسه من مدلهمات ثيابها، ولم يكن للشيطان سبيل عليه، وصدق الله عز وجل:

﴿الله أعلم حيث يجعل رسالته﴾. الأنعام ١٢٤

٢٥ ـ قال السيد الدحلان: وقد ذكر البر زنجي في أول رسالته في مبحث نجاة الأبوين، نجاة جميع الآباء وأنهم كانوا على التوحيد، ثم قال في مبحث نجاة أبي طالب: لم ينقل من أعمام النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال: (لمَ تسب آباءنا وتشتم آلهتنا، وتسفه أحلامنا)، كما قالته بقية قريش: فلو عرفوا عن آبائهم ذلك لقالوا: اترك ذكر آبائك بسوء.

وأما عداوة أبي لهب فكانت بسبب مصاهرة أبي سفيان، فإن أبا لهب كان متزوجاً أخت أبي سفيان أم جميل، وسميت بالاسلام / أم قبيح / وهي ـ حمّالة الحطب ـ فكان أبو لهب يهوى هواهم(١٤).

٢٦ ـ وقال الماوردي في كتاب (أعلام النبوة):

وإذا اختبرت حال نسبه صلى الله عليه وآله وسلم وعرفت طهارة مولده، علمت أنه سلالة آباء كرام، ليس فيهم مرذول، بل كلهم سادة قادة، وشرف النسب وطهارة المولد من شروط النبوة.

---

(١٤) أسنى المطالب ٣٠

٢٧ ـ وقال بإيمان آباء الرسول الكريم الإمامية والاسماعيلية، والزيدية وأكثر علماء المعتزلة، وقال بإيمانهم الكثير من علماء السنة، وألفوا في ذلك الكتب العديدة، نذكر منها للسيوطي:

١ ـ مسالك الحنفا في والدي المصطفى.

٢ ـ الدرج المنيفة في الآباء الشريفة.

٣ ـ المقامة السندسية في النسبة المصطوفية.

٤ ـ التعظيم والمنّة في أنّ أبوي رسول الله في الجنة.

٥ ـ نشر العلمين في إحياء الأبوين.

٦ ـ السبل الجلية في الآباء العلية(١٥).

وللسيد محمد بن رسول البرزنجي كتاب في نجاة أبوي الرسول الكريم، وتوجد مؤلفات أخرى لم نتمكن من ذكرها.

٢ ـ «آزر» عم إبراهيم عليه السلام

إن كل ماورد حول /آزر/ الذي لم يكن مؤمناً، يفيد أن المعني بذلك ليس والد إبراهيم الصلبي، وإنما المقصود به عمه أو زوج أمه، والدليل على ذلك:

١ ـ لم ترد كلمة / والد/ في الآيات المتعلقة بـ ـ آزر ـ وإنما وردت كلمة ـ أب ـ

٢ ـ إن ذكر كلمة / آزر/ في الآية الكريمة:

﴿وإذ قال إبراهيم لأبيه آزر أتتخذ أصناماً آلهة إني أراك وقومك في ضلال مبين﴾. الأنعام ٧٤

دليل على أن المقصود هو غير والده الصلبي، لأنه لايوجد لإبراهيم غير والد صلبي واحد، وانظر إلى قوله (إني أراك وقومك) فلم يقل (وآباءك) حيث أن بعض الروايات تقول: ان عم إبراهيم تزوج والدته بعد وفاة أبيه.

٣ ـ ذكر المؤرخون أن والد إبراهيم يدعى / تارح/.

٤ ـ أن العرب تطلق كلمة / الأب/ على / العم/ قال تعالى:

(★) ذكر الشيخ المفيد في كتابه (أوائل المقالات) ٤٥: اتفقت الإمامية على أن آباء الرسول الكريم من لدن آدم إلى عبد الله مؤمنون بالله عز وجل، موحدون.

إلى أن قال: واجمعوا على أن أبا طالب مات مؤمناً، وأن آمنة بنت وهب كانت على التوحيد.

(١٥) الغدير ١٧/٨

﴿أم كنتم شهداء إذ حضر يعقوب الموت إذ قال لبنيه ماتعبدون من بعدي قالوا نعبد إلهك وإله آبائك ابراهيم واسماعيل واسحاق﴾. البقرة /١٣٣
وإسماعيل هو عم يعقوب عليهما السلام.

٥ ـ إن إبراهيم كان يذم / آزر/ وقومه، ويعيب آباءهم وأجدادهم لعبادتهم الأصنام، ولم يوجه النقد أو ينسب العيب لآبائه أو أجداده هو، قال تعالى:
﴿وإذ قال إبراهيم لأبيه آزر أتتخذ أصناماً آلهة إني أراك وقومك في ضلال مبين﴾. الأنعام ٧٤
وقال تعالى:
﴿ولقد آتينا إبراهيم رشده من قبل وكنّا به عالمين، إذ قال لأبيه وقومه ماهذه التماثيل التي أنتم لها عاكفون، قالوا وجدنا آباءنا لها عابدين، قال لقد كنتم أنتم وآباؤكم في ضلال مبين﴾.
الأنبياء ٥١ ـ ٥٤
وقال تعالى:
﴿واتل عليهم نبأ إبراهيم إذ قال لأبيه وقومه ماتعبدون، قالوا نعبد أصناماً فنظل لها عاكفين قال هل يسمعونكم إذ تدعون أو ينفعونكم أو يضرون قالوا وجدنا آباءنا كذلك يفعلون قال أفرأيتم ماكنتم تعبدون أنتم وآباؤكم الأقدمون، فإنهم عدولي إلا رب العالمين﴾. الشعراء ٦٩ ـ ٧٧
فلم يقل إبراهيم آبائي أو أجدادي، وإنما قال لهم أنتم وآباؤكم.

٦ ـ إن حادثة إبراهيم عليه السلام مع / آزر/ وقومه جرت أو تكررت وإبراهيم متقدم بالسن /وهي تحطيم الأصنام/ ووالده الصلبي كان قد توفي والدليل على ذلك قوله تعالى:
﴿وأعتزلكم وماتدعون من دون الله وادعو ربي عسى أن لاأكون بدعاء ربي شقياً، فلما اعتزلهم ومايعبدون من دون الله وهبنا له إسحق ويعقوب وكلاً جعلنا نبياً﴾. مريم /٤٨ ـ ٤٩

وقد ولد إسحق وإبراهيم شيخ وزوجته عجوز، قال تعالى:
﴿قالت ـ (أي زوجة إبراهيم للملائكة) ـ ياويلتى أألد وأنا عجوز وهذا بعلي شيخاً إن هذا لشيء عجيب، قالوا ـ (أي الملائكة) ـ أتعجبين من أمر الله رحمة الله وبركاته عليكم أهل البيت إنه حميد مجيد﴾. هود /٧١ ـ ٧٣
ويؤكد تقدم إبراهيم بالسن عند وقوع الحادثة، قوله تعالى:

﴿الحمد لله الذي وهب لي على الكبر إسماعيل وإسحق إن ربي لسميع الدعاء﴾. إبراهيم /٣٩

٧ ـ لم يقل / آزر/ لابراهيم ولدي أو ابني وإنما سمّاه باسمه، قال تعالى: ﴿قال أراغب أنت عن آلهتي ياإبراهيم﴾. مريم ٤٦

٨ ـ والدليل على إيمان والدي إبراهيم الصلبيين، دعاؤه عليه السلام، قال تعالى: ﴿ربنا اغفر لي ولوالدي وللمؤمنين يوم يقوم الحساب﴾. إبراهيم /٤١

فعطف والديه على المؤمنين واستغفاره لهما دليل على إيمانهما

وكذلك الأمر بالنسبة لوالدي نوح عليه السلام، فإنهما مؤمنان بدليل دعاء نوح عليه السلام لهما.

قال تعالى:

﴿رب اغفر لي ولوالدي ولمن دخل بيتي مؤمناً وللمؤمنين والمؤمنات ولاتزد الظالمين إلا تبارا﴾. نوح /٢٨

فاستغفاره لهما، ونفي الظلم عنهما دليل إيمانهما (لأن الشرك ظلم عظيم)، فقد نفى عنهما الشرك

فآباء جميع الأنبياء والمرسلين مؤمنون موحدون طاهرون، بدليل ماقدمنا.

مما لايجوز معه أن يكون /آزر/ المشرك والداً صلبياً لإبراهيم عليه السلام، يقول زيني دحلان عن البرزنجي: قال: وماتقدم من أن ـ آزر ـ عم إبراهيم وليس بأبيه ـ وهو القول الصحيح، قال العلامة ابن حجر الهيثمي: إن أهل الكتابين أجمعوا على أن ـ آزر ـ لم يكن أباً لإبراهيم حقيقة، وإنما كان عمه، وقد سماه الله في القرآن أباً لأن العرب تسمي العم أباً، وجزم بذلك الفخر الرازي، وقال: جاء في القرآن تسمية العم أباً قال تعالى:

﴿إلهك وإله آبائك إبراهيم وإسماعيل﴾ البقرة /١٣٣

مع أن الكلام مع أولاد يعقوب، وإسماعيل عم يعقوب، وقد سبق الرازي جماعة من السلف منهم ابن عباس ومجاهد، وابن جرير، والسدي قالوا: ليس /آزر/ أباً لإبراهيم وإنما

هو عمه، لأن إبراهيم أبوه /تارح/ وممن وافق الرازي الإمام الماوردي من أئمة الشافعية[١٦].

وقال السيد فخار: فإن احتج المخالف لنا في إيمان آباء النبي صلى الله عليه وآله وسلم بما حكاه الله عن إبراهيم عليه السلام وأبيه، قلنا: إن إبراهيم عليه السلام إنما كان يخاطب بتلك المخاطبة عمه آزر بن ناحور، فأما أبوه فكان اسمه تارح بن ناحور بإجماع أهل العلم: فكان أبوه قد مضى فتزوج عمه آزر بأمه ورباه يتيماً في حجره

وكانت السنة في ذلك العصر وبعده إلى مبعث رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: أن كل من ربى يتيماً في حجره سمي إبناً له وجعل من يربيه له أباً، على أن العرب تسمي العم أباً، وابن الأخ إبناً وقد نطق القرآن بذلك، وتكلمت به العرب، فقال الله تعالى:

﴿أم كنتم شهداء إذ حضر يعقوب الموت إذ قال لبنيه ماتعبدون من بعدي، قالوا نعبد إلهك، وإله آبائك إبراهيم وإسماعيل وإسحق إلهاً واحداً ونحن له مسلمون﴾. البقرة /١٣٣

فجعل إسماعيل أباً ليعقوب ـ وهو عم يعقوب لأن يعقوب بن إسحق بن إبراهيم عليه السلام، وإسماعيل بن إبراهيم عليه السلام، وكذلك سبيل إبراهيم عليه السلام ـ فيما اختصه الله تعالى من دعوته لأبيه أنه كان يخاطب عمه على مابيناه من جواز تسمية عمه بأبيه /من جهة أن العم يسمى أباً/ على مانطق به القرآن، ومن جهة أنه كان زوج أمه وتربى يتيماً في حجره[١٧].

٣ ـ عبد المطلب «إبراهيم الثاني»

أ ـ عبد المطلب، جد الرسول صلى الله عليه وآله وسلم:

اسمه شيبة الحمد، كان سيد العرب وسيد الوادي وسيد قريش وحكيمها وعالمها، ولد في رأسه شيبة فقيل له: شيبة الحمد ـ رجاء أن يكبر ويشيخ ويكثر حمد الناس له ـ وقد حقق الله ذلك فكثر حمدهم له، لأنه كان مفزع قريش في النوائب، وملجأهم في الأمور، وشريفهم وسيدهم كمالاً وفعلاً.

ولكثرة كرمه لقب /بالفياض/ و /مطعم الوحش والطير/، أطلقت عليه العرب /إبراهيم الثاني/ للخصال الحميدة التي تجمعن فيه، فقد رفض عبادة الأصنام، ونهى أن

---

(١٦) أسنى المطالب ٣١ ـ ٣٧ وشرح رياض الصالحين للعرفي مخطوط ج١

(١٧) الحجة ٥٦ ـ ٥٩

يستقسم بالأزلام وعن أكل مايذبح على النصب، ودعا إلى توحيد الباري عز وجل، ولم تكن شريعة مشروعة في زمنه، ولهذا كانت عبادته التفكر في آلاء الله ومصنوعاته، والدعوة إلى صلة الأرحام، واصطناع المعروف والاتصاف بمكارم الأخلاق.

وكان يختلي كثيراً بغار حراء ليجمع فكره وقلبه في الاستغراق في التفكير في صفات الله وأفعاله الدالة عليه، فإذا دخل شهر رمضان صعد غار حراء بعد أن يأمر بإطعام المساكين، وتخلّى عن الناس مفكراً في جلال الله وعظمته.

أكرمه الله بمعجزة حفر بئر (زمزم)، ومعجزة نبع الماء من تحت راحلته حين السفر للتقاضي بينه وبين خصومه، فأدركهم العطش ورفض خصومه أن يسقوه وجماعته، وهبه الله عزّ وجل أكثر من عشرة أولاد وكان مستجاب الدعوة، وكانت قريش إذا أصابها قحط شديد تأتيه فتستسقي به فيسقون.

سنّ كثيراً من السنن التي أقرها الإسلام، كقطع يد السارق، وفرض الدية مائة من الإبل، والوفاء بالنذر ونهى أن يطوف في البيت ـ الكعبة ـ عريان، وحدد الطواف بسبعة أشواط، وحرم الخمر والزنا ونكاح المحارم ونهى عن وأد البنات، وكان أول من أخرج الخمس.

وكان يأمر أولاده بترك الظلم والبغي، ويحثهم على مكارم الأخلاق، وينهاهم عن دنيات الأمور، حكّمته قريش بأموالها، وكانت له الرفادة والسقاية، وكان لعبد المطلب إبل كثيرة يجمعها في المواسم ويسقي لبنها بالعسل في حوض من ادم عند زمزم، ويشتري الزبيب فينقعه في ماء زمزم ويسقيه الحجاج.

ولما توفي قام بالسقاية بعده أولاده أبو طالب ثم العباس.

أعطاه الله من الشرف مالم يعط أحداً، وكان فصيح اللسان، حاضر القلب، وكان لطيب ريحه يفوح منه رائحة المسك، وكان نور النبي صلى الله عليه وآله وسلم يضيء من غرته، وفيه يقول القائل:

علا شيبة الحمد الذي كان وجهه ... يضيء ظلام الليل كالقمر البدر

ولد في المدينة نحو ١٢٧ قبل الهجرة، وتوفي في مكة سنة ٩ من عام الفيل، ورسول الله له من العمر ثمان سنين ولعبد المطلب مائة وعشرون سنة، وقيل مائة وأربعون. أعظمت قريش موته، وغسل بالماء والسدر ـ وكانت قريش أول من غسل الموتى بالسدر ـ ولفّ في

حلتين من حلل اليمن قيمتها ألف مثقال ذهب، وطرح عليه المسك حتى ستره، وحمل على أيدي الرجال عدة أيام إعظاماً وإكراماً وإكباراً لتغييبه في التراب[١٨].

ب ـ إيمانه باليوم الآخر:

فقد كان يقول: لن يخرج من الدنيا ظلوم حتى ينتقم الله منه وتصيبه عقوبة، إلى أن هلك رجل ظلوم من أرض الشام ولم تصبه عقوبة، فقيل لعبد المطلب في ذلك، ففكر وقال: والله إن وراء هذه الدار داراً يجازى فيها المحسن بإحسانه والمسيء بإساءته[١٩].

جـ ـ إهلاك أصحاب الفيل:

وعندما جاء أبرهة الأشرم لهدم الكعبة شرفها الله، قابله عبد المطلب وطلب منه أن يرد عليه إبلاً له أخذها الجيش، فقال أبرهة: ألا تطلب مني أن أعود عن هدم البيت ـ الكعبة ـ فأجابه عبد المطلب بكلمة الإيمان الراسخ:

أما الإبل فأنا ربها، وأما البيت فإن للبيت رباً يحميه، وأمسك عبد المطلب بحلقة باب الكعبة شرفها الله، وناجى ربه:

يارب لاأرجو لهم سواكا ... يارب! فامنع منهم حماكا
إن عدو البيت من عاداكا ... إمنعهم أن يخربوا فناكا

ثم قال في مناجاة أخرى:

لاهم أن العبد يمنع حله ... فامنع حلالك
وانصر على آل الصليب وعا ... بديه اليوم آلك
لايغلبن صليبهم ومحا ... لهم عدواً محالك
ولئن فعلت فإنه أمر ... تتم به فعالك
أنت الذي إن جاء باغٍ ... نرتجيك له فذا لك
ولوّا ولم يجنو سوى خزيٍ ... وتهلكهم هنالك
لم استمع يوماً بأرجس ... منهم يبغوا قتالك
جرّوا جموع بلادهم ... والفيل كي يسبوا عيالك

---

(١٨) الكامل لابن الأثير ١/٢٦٦، ومروج الذهب ٢/١٢٨، وأسنى المطالب ٤١، والحجة للفخار ٤٤ عن ابن هشام ١/١٦٩ واليعقوبي ٧/١٠ وعيون الأثر ١/٤٠ والغدير ٧/٣٥٢

(١٩) أسنى المطالب ٣٩ ومؤمن قريش ٩٩، النبوة ٢/٢١ والحلبية ١/٤، والعباس ١١

عمـدوا حماك بكـيـدهـم جهـلاً ومـارقبـوا جلالـك
إن كنـت تاركـهـم وكعبتنـا فأمـر مابـدا لك

ثم عقّب بقوله: يامعشر قريش، لايصل إلى هدم هذا البيت فإن له رباً يحميه ويحفظه[٢٠].

فأهلك الله أبرهة وجيشه، قال تعالى:

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ألم تر كيف فعل ربك بأصحاب الفيل ألم يجعل كيدهم في تضليل وأرسل عليهم طيراً أبابيل ترميهم بحجارة من سجيل، فجعلهم كعصف مأكول﴾

وكانت الحادثة سنة ولادة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم. والذي بشّر قريشاً بقدوم الطير الأبابيل التي ترمي جيش أبرهة، عبد الله عليه سلام الله / والد الرسول صلى الله عليه وآله وسلم:

ثم أنشد عبد المطلب عليه سلام الله:

قلت والأشـرم ترمـي خيـله إنّ ذا الأشـرم غرٌّ بالحـرم
نحـن آل الله فيـما قد مضـى لم يزل ذاك على عهـد أبـرهم
نحـن دمـرنـا ثمـوداً عنـوة ثم عاداً قبـلهـا ذات الإرم
نعـبـد الله وفـيـنـا سنـة صلة القـربى وإيفـاء الـذمم
لم تزل لله فيـنـا حجـة يدفـع الله بها عنـا الـنـقـم[٢١]

د ـ معرفته أن محمداً صلى الله عليه وآله وسلم النبي المبعوث: فقد قال عبد المطلب:

١ ـ إني قد خلفت لكم الشرف العظيم الذي تطؤون به رقاب الناس[٢٢]

٢ ـ وقد فرح كثيراً بولادة محمد صلى الله عليه وآله وسلم، وأنشد:

الحـمـد لله الـذي أعطـاني هذا الـغـلام الطـيـب الأردان

---

(٢٠) مؤمن قريش ٩٨ عن الكامل لابن الأثير ٢٦١، والبحار ٦/٢٣، ومروج الذهب ٢/١٢٨، وفيه (قراكا) بدل (فناكا)، وأسنى المطالب ٣٩/٤٠ والغدير ٧/٣٥٣ عن الملل والنحل للشهرستاني هامش الفصل ٣/٢٢٤، الدرج المنيفة للسيوطي ١٥ ومسالك الحنفا ٣٧

(٢١) سلسلة آباء النبي /٢٩٠/

(٢٢) سيرة المصطفى (نظرة جديدة) ٤٧ عن اليعقوبي

قد ساد في المهد على الغلمان أعيذه بالله ذي الأركان
حتى أراه بالغ البنيان أعيذه من شر ذي شنآن
من حاسد مضطرب العنان(٢٣)

٣ ـ ويموت عبد الله والد الرسول، قبيل أو بعيد ولادته صلى الله عليه وآله وسلم، فيكرم الله عز وجل عبد المطلب بإيواء رسول الله وكفالته، قال تعالى:
﴿ألم يجدك يتيماً فآوى. . .﴾. الضحى /٦
فيغذيه من الطيب والطاهر لأن عبد المطلب مؤمن على ملة إبراهيم عليه السلام، إذ لايعقل أن يعيش الرسول الأكرم بين مشركين يتغذى من طعامهم الحرام ومايذبح على النُصب:

[كل لحم نبت من السحت ـ أي الحرام ـ فالنار أولى به]

كما ورد في الحديث النبوي الشريف، ومن رابع المستحيلات أن يقرب جسد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الحرام أو النجس*.

ويحوطه عبد المطلب بعنايته الفائقة، ويتشرف بخدمته، ويعوضه عن فقد أبيه وأمه إلى أن جاوز رسول الله الثمانية أعوام من عمره الشريف، فانتقل عبد المطلب إلى الرفيق الأعلى بعد أن سلّم الأمانة /كفالة محمد/ إلى يد أمينة إلى أبي طالب.

٤ ـ ويلمح عبد المطلب في وجه حفيده نور النبوة، فيفخر به ويحرص عليه ويدنيه من مجلسه، حتى أنه كان يجلس إلى جانب جده على فراشه حول الكعبة، ويقول لقريش عن محمد: دعوه إن له شأناً.

ـ دعوا ابني يجلس، فإنه يحسّ من نفسه بشيء، وأرجو أن يبلغ من الشرف مالم يبلغه عربي قبله ولا بعده.

ـ ردوا ابني إلى مجلسي، فإنه تحدثه نفسه بملك عظيم وسيكون له شأن.

---

(٢٣) مؤمن قريش ١٠٠ عن أعيان الشيعة ٢/١٧٦ وذكر البيتان الأولان، بإبدال البيت عن (بالله) في مروج الذهب ٢/٢٨١ وذكر البيت الأول وصدر البيت الثاني في البحار ١٦/٧٩ كاملة، مع اختلاف في بعض الكلمات وفي البحار أيضاً ٦/٩١

(★) في هامش ٨١ أدلة تثبت أن مرضعة الرسول الكريم (حليمة السعدية) لم تكن مشركة

ـ دعوا ابني، إنه ليؤنس ملكاً[٢٤].

٥ ـ ويستسقي عبد المطلب لقومه برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وهو طفل، ويتضرع إلى ربه:

اللهم هؤلاء عبيدك وبنو عبيدك، وإماؤك وبنو إمائك، وقد نزل بنا ماترى، وتتابعت هذه السنون، فذهبت بالظلف والخف والحافر، فأشفت على الأنفس، فأذهب عنا الجدب، وائتنا بالحياء والخصْب ـ فيستجيب الله عزّ وجل ويسقون.

وفي استغاثة واستسقاء آخر يقول عبد المطلب:

اللهم رب البرق الخاطف والرعد القاصف، رب الأرباب وملينٍ الصعاب، هذه قيس ومضر من خير البشر قد شعثت رؤوسها، وحدبت ظهورها، تشكو إليك شدة الهزال وذهاب الأنفس والأموال، اللهم فأتح لهم سحاباً خوارة، وسماءً خرارة، لتضحك أرضهم، ويزول ضرهم، ويستجيب الله عز وجل بفضله ومنه وكرمه ويسقون، وتنشد رقيقة بنت أبي صيفي بن هاشم:

بشيبة الحمد أسقى الله بلدتنا ... وقد عدمنا الحيا واجلوذ المطر
فجاد بالماء جوني له سبل ... دانٍ فعاشت به الأنعام والشجر
مناً من الله بالميمون طائره ... وخير من بشرت يوماً به مضر
مبارك الأسم يستسقي الغمام به ... مافي الأنام له عدل ولاخطر[٢٥]

وينشد أبو طالب:

أبونا شفيع الناس حين سقوا به ... من الغيث رجّاس العشير بكور[٢٦]
ونحن سنين المحل قام شفيعنا ... بمكة يدعو والمياه تغور
فلم تبرح الأقدام حتى رأوا بها ... سحابات مُزن صوبهن درور
وقيس أتتنا بعد أزم وشدة ... وقد عضها دهر أكب عثور

---

(٢٤) مؤمن قريش ١٠١ عن السيرة الحلبية ١/١٢٩، والنبوية ١/٢٣، والشافعية ١/١٧٨، والبحار ٦/٤٣ والعباس ١٨، وعلى هامش السيرة ١/١٨٥ وأسنى المطالب ٤٠، ٤١ عن عبد المطلب بن العباس عن أبيه رضي الله عنهما

(٢٥) مؤمن قريش ١٠٦ عن السير الحلبية ١/١٣٣ والنبوية ١/٦٤ والبحار ٦/١٢٧ ـ ١٢٨ وشرح النهج ٢/٣٥٥ وفيه البيتان الأولان فقط واختلاف في دعاء عبد المطلب عن هذه الصورة، وأسنى المطالب ١٣

(٢٦) سحّاب رجاس: شديد الهدير والصوت

فما برحـواحتـى سقـى الله أرضهم بشيبـة غيثـاً فالنبـات نضـير[٢٧]

٦ ـ وصـايـا عبـد المطلب برسـول الله صلى الله عليه وآله وسلم: ـ قبـل وفـاته يوصي أبا طالب بمحمد، قائلاً:

يابني! تسلم ابن أخيك، فأنت شيخ قومك وعاقلهم،ومن أجد فيه الحجى دونهم، وهذاالغلام تحدثت به الكهان، وقد روينا في الأخبار أنه: سيظهر من تهامة نبي كريم، وقد روي فيه علامات قد وجدتها فيه، فأكرم مثواه واحفظه من اليهود فإنهم أعداؤه[٢٨].

وفي وصية أخرى يقول:

ياأبـا طالب: إن لهذا الغـلام لشأنـاً عظيماً، فاحفظه واستمسك به، فإنه فرد وحيد، وكن له كالأم، لايصل إليه شيء يكرهه[٢٩]، وأنشد:

أوصيـك ياعبـد منـاف بعـدي بمـوحـد بعـد أبيـه فرد[٣٠]

ويؤكد وصيته منشداً:

وصيـت من كنيتـه بـوطالـب عبـد منـاف وهـو ذو تجارب
بابـن الحبيـب أكـرم الأقـارب بابـن الـذي قد غاب غير آيب[٣١]

فيجيبه أبو طالب:

لاتـوصـني بلازم وواجـب إني سمعت أعجب العجـائب
من كل حبر عالم وكـاتـب بان بحمـد الله قول الراهب[٣٢]

وتتكرر هذه الوصية للمرة الثالثة لأهمية الموصى به:

أنظر ياأبـا طالب أن تكـون حافظـاً لهذا الـوحيد الذي لم يشم رائحة أبيه، ولم يذق شفقـة أمـه، انظـر أن يكـون من جسدك بمنزلة كبدك فإني تركت بَني كلهم وخصصتك به،

---

(٢٧) إثبات الوصية ٨٧

(٢٨) الحجة ٢٨٨/٢٨٩

(٢٩) المجالس السنية ٣٦/٤

(٣٠) مؤمن قريش ١٠٩ عن أعيان الشيعة ٣ قسم ٧/١ و١٢٥/٣٩ في خمسة أبيات، وعمدة الطالب ٦ بإبدال موحد بواحد، والمناقب والبحار ٤٧/٦ في ٥ أبيات، ومعجم القبور ١٨٣/١

(٣١) مؤمن قريش ١١٠ عن أعيان الشيعة ٣ قسم ٧/١ و١٢٥/٣٩، والعباس ١٩ وذكر البيت الأول في عمدة الطالب ٦/ ومعجم القبور ١٨٤/١ وذكر صدر البيت الأول في مروج الذهب ١٣٢/٢، وعجز الثاني بإبدال ليس آيب

(٣٢) مؤمن قريش ١١٠ عن المناقب ٢١/١ والعباس ١٩ وأعيان الشيعة ١٢٥/٣٩

لأنـك من أم أبيـه[٣٣] [٣٤]، فإن استطعت أن تتبعـه فافعل، وانصره بلسانك ويدك ومالك، فإنه والله سيسودكم، ويملك مالايملك أحد من آبائي[٣٥]، هل قبلت؟.

فأجابه أبو طالب: قد قبلت، والله على ذلك شاهد

ومد يده إليه، فضرب بها على يد ابنه أبي طالب قائلاً:

الآن خفف علي الموت

وودعه عبد المطلب وهو يقبله قائلاً:

أشهد أني لم أر أحداً في ولدي ـ أطيب ريحاً منك ولاأحسن وجهاً[٣٥]

هـ ـ محمد وعلي يذكران عبد المطلب:

١ ـ أ ـ قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من حديث شريف:

[نحن بنو عبد المطلب سادة أهل الجنة][٣٦]

ب ـ قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: [من صنع صنيعة إلى أحد من خلف عبد المطلب في الدنيا فعليّ مكافأته إذا لقيني][٣٧]

جـ ـ وفي أخطر ساعة مر بها الاسلام، عندما أطبق المشركون على المسلمين في وادي (حنين) وتفرق المسلمون، ثبت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم معلناً عن نفسه منادياً:

أنا النبي لاكذب أنا ابن عبد المطلب[٣٨]

---

(٣٣) يقصد أن والدة عبد الله وأبي طالب عليهما السلام هي فاطمة بنت عائذ بن عمران بن مخزوم، وتكنى بأم حكيم البيضاء

(٣٤) في المجالس السنية ٤/٣٧، والبحار ٦/٤٣ زيادة بعد هذا: ياأبا طالب! إن أدركت أيامه، تعلم: اني كنت أبصر الناس به وأعلم الناس به، فإن استطعت. . . ، وفيهما أيضاً:

ياأبا طالب! ما أعلم أحداً من آبائك، مات عنه أبوه على حال أبيه، ولاأمه على حال أمه، فاحفظه لوحدته. . . الخ

(٣٥) مؤمن قريش١١١ عن البحار ٦/٤٣ وذكرت في إثبات الوصية ١٠٧ ـ وصية عبد المطلب لأبي طالب ـ في صورة غير هذه وذكرت لها صورة أخرى في كتاب الحجة ٧٧

(٣٦) ينابيع المودة ٢/٣ عن ابن عساكر

(٣٧) رواه ابن ماجة والحاكم والديلمي عن أنس (نزل الأبرار) للبدخشاني ١٠٧

(٣٨) يقول السيد (الوالد) في محاضرته (بماذا يتقدم المسلمون/١٢): ولما كان المسلمون يوم /حنين/ كثير بن يزيدون على الاثني عشر ألفاً، ولكن كان فيهم المنافقون والمؤلفة قلوبهم، فلم تختلط الرماح حتى هربوا، ولم يبق إلا رسول الله

د ـ وعن أنس في قوله تعالى : ﴿أولي الأيدي والأبصار﴾ . هم بنو عبد المطلب، ينابيع المودة ٢/١٦

هـ ـ ويوم (بدر) قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : [لاتأسروا أحداً من بني عبد المطلب فإنما أخرجوا كرهاً] امالي الطوسي ١/٣٥١

و ـ وصحح الحاكم خبر أنه صلى الله عليه وآله وسلم قال : [يابني عبد المطلب! إني سألت الله تعالى لكم ثلاثاً : أن يثبت قائمكم، وأن يهدي ضالكم، وأن يعلم جاهلكم، وسألت الله أن يجعلكم جواداً] وفي رواية (نجد) أي شجاعاً نجباء رحماء، فلو أن رجلاً صفن بين الركن والمقام /أي جمع بين قدميه/ فصلى وصام ثم لقي الله تعالى وهو مبغض لأهل بيت محمد دخل النار ـ ينابيع المودة ٢/١٣٠

٢ ـ أ ـ ويوم /أحد/ خرج طلحة بن أبي طلحة وهو ينادي بالمسلمين : من يبارز؟ فلم يخرج إليه أحد، فقال : إنكم تزعمون أنكم تجهزوننا بأسيافكم إلى النار، ونحن نجهزكم بأسيافنا إلى الجنة، فليبرز إليّ رجل يجهزني بسيفه إلى النار، أو اجهزه بسيفي إلى الجنة، فخرج إليه علي بن أبي طالب عليه السلام وهو يرتجز:

أنا ابن ذي الحوضين[٣٩] عبد المطلب وهاشم المطعم في العام السغب

أوفي بميعادي وأحمي عن حسب

فأعجله علي عليه السلام بسيفه إلى النار، والحمد لله رب العالمين.

ب ـ ويوم /الأحزاب/ يوم زاغت الأبصار وبلغت القلوب الحناجر، وتظنون بالله الظنونا، يوم ابتلي المؤمنون وزلزلوا زلزالاً شديداً، جاء علي بن أبي طالب برأس عمرو بن عبد ود العامري وألقاه أمام رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وهو يقول :

صلى الله عليه وآله وسلم ومعه العباس بن عبد المطلب، وابنه الفضل، وعلي بن أبي طالب، وابنا عمه ربيعة بن الحارث، وأبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب، وابنه جعفر وعتبة بن أبي لهب، وأخوه، ويروى بدله أسامة بن زيد، وفي رواية : قثم بن العباس.

ثم أمر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم العباس أن ينادي : ياأنصار الله! ياأصحاب سورة البقرة، (وكان العباس جهوري الصوت) فلما ناداهم أجابوا، ومنهم من أخذ سلاحه وترك راحلته لأنها لم تطاوعه على العودة، فلما بلغوا ثلاثمائة، ـ رواية ابن هشام مائة ـ مزّقوا شمل هوازن وكانت ألوفاً كثيرة، قال تعالى :

﴿ويوم حنين إذ أعجبتكم كثرتكم فلم تغن عنكم شيئاً وضاقت عليكم الأرض بما رحبت ثم وليتم مدبرين، ثم أنزل الله سكينته على رسوله وعلى المؤمنين وأنزل جنوداً لم تروها وعذّب الذين كفروا وذلك جزاء الكافرين﴾ التوبة ٢٥ ـ ٢٦

(٣٩) الحوضان : من ادم، كان عبد المطلب يسقي الحجيج اللبن والعسل والزبيب المنقوع

لأنـك من أم أبيـه[٣٣] [٣٤]، فإن استطعت أن تتبعـه فافعل، وانصره بلسانك ويدك ومالك، فإنه والله سيسودكم، ويملك مالايملك أحد من آبائي[٣٥]، هل قبلت؟.

فأجابه أبو طالب: قد قبلت، والله على ذلك شاهد

ومد يده إليه، فضرب بها على يد ابنه أبي طالب قائلاً:

الآن خفف علي الموت

وودعه عبد المطلب وهو يقبله قائلاً:

أشهد أني لم أر أحداً في ولدي ـ أطيب ريحاً منك ولاأحسن وجهاً[٣٥]

هـ ـ محمد وعلي يذكران عبد المطلب:

١ ـ أ ـ قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من حديث شريف:

[نحن بنو عبد المطلب سادة أهل الجنة][٣٦]

ب ـ قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: [من صنع صنيعة إلى أحد من خلف عبد المطلب في الدنيا فعليّ مكافأته إذا لقيني][٣٧]

جـ ـ وفي أخطر ساعة مر بها الاسلام، عندما أطبق المشركون على المسلمين في وادي (حنين) وتفرق المسلمون، ثبت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم معلناً عن نفسه منادياً:

أنا النبي لاكذب أنا ابن عبد المطلب[٣٨]

---

(٣٣) يقصد أنّ والدة عبد الله وأبي طالب عليهما السلام هي فاطمة بنت عائذ بن عمران بن مخزوم، وتكنى بأم حكيم البيضاء

(٣٤) في المجالس السنية ٤/٣٧، والبحار ٦/٤٣ زيادة بعد هذا: ياأبا طالب! إن أدركت أيامه، تعلم: اني كنت أبصر الناس به وأعلم الناس به، فإن استطعت. . . ، وفيهما أيضاً:

ياأبا طالب! ما أعلم أحداً من آبائك، مات عنه أبوه على حال أبيه، ولاأمه على حال أمه، فاحفظه لوحدته. . . الخ

(٣٥) مؤمن قريش١١١ عن البحار ٦/٤٣ وذكرت في إثبات الوصية ١٠٧ ـ وصية عبد المطلب لأبي طالب ـ في صورة غير هذه وذكرت لها صورة أخرى في كتاب الحجة ٧٧

(٣٦) ينابيع المودة ٢/٣ عن ابن عساكر

(٣٧) رواه ابن ماجة والحاكم والديلمي عن أنس (نزل الأبرار) للبدخشاني ١٠٧

(٣٨) يقول السيد (الوالد) في محاضرته (بماذا يتقدم المسلمون/١٢): ولما كان المسلمون يوم /حنين/ كثير بن يزيدون على الاثني عشر ألفاً، ولكن كان فيهم المنافقون والمؤلفة قلوبهم، فلم تختلط الرماح حتى هربوا، ولم يبق إلا رسول الله

د ـ وعن أنس في قوله تعالى : ﴿أولي الأيدي والأبصار﴾ . هم بنو عبد المطلب، ينابيع المودة ٢/١٦

هـ ـ ويوم (بدر) قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : [لاتأسروا أحداً من بني عبد المطلب فإنما أخرجوا كرهاً] أمالي الطوسي ١/٣٥١

و ـ وصحح الحاكم خبر أنه صلى الله عليه وآله وسلم قال : [يابني عبد المطلب! إني سألت الله تعالى لكم ثلاثاً : أن يثبت قائمكم، وأن يهدي ضالكم، وأن يعلم جاهلكم، وسألت الله أن يجعلكم جواداً] وفي رواية (نجد) أي شجاعاً نجباء رحماء، فلو أن رجلاً صفن بين الركن والمقام /أي جمع بين قدميه/ فصلى وصام ثم لقي الله تعالى وهو مبغض لأهل بيت محمد دخل النار ـ ينابيع المودة ٢/١٣٠

٢ ـ أ ـ ويوم /أحد/ خرج طلحة بن أبي طلحة وهو ينادي بالمسلمين : من يبارز؟ فلم يخرج إليه أحد، فقال : إنكم تزعمون أنكم تجهزوننا بأسيافكم إلى النار، ونحن نجهزكم بأسيافنا إلى الجنة، فليبرزن إليّ رجل يجهزني بسيفه إلى النار، أو اجهزه بسيفي إلى الجنة، فخرج إليه علي بن أبي طالب عليه السلام وهو يرتجز:

أنا ابن ذي الحوضين[٣٩] عبد المطلب وهاشم المطعم في العام السغب

أوفي بميعادي وأحمي عن حسب

فأعجله علي عليه السلام بسيفه إلى النار، والحمد لله رب العالمين.

ب ـ ويوم /الأحزاب/ يوم زاغت الأبصار وبلغت القلوب الحناجر، وتظنون بالله الظنونا، يوم ابتلي المؤمنون وزلزلوا زلزالاً شديداً، جاء علي بن أبي طالب برأس عمرو بن عبد ود العامري وألقاه أمام رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وهو يقول :

صلى الله عليه وآله وسلم ومعه العباس بن عبد المطلب، وابنه الفضل، وعلي بن أبي طالب، وابنا عمه ربيعة بن الحارث، وأبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب، وابنه جعفر وعتبة بن أبي لهب، وأخوه، ويروى بدله أسامة بن زيد، وفي رواية : قثم بن العباس.

ثم أمر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم العباس أن ينادي : ياأنصار الله! ياأصحاب سورة البقرة، (وكان العباس جهوري الصوت) فلما ناداهم أجابوا، ومنهم من أخذ سلاحه وترك راحلته لأنها لم تطاوعه على العودة، فلما بلغوا ثلاثمائة، ـ رواية ابن هشام مائة ـ مزّقوا شمل هوازن وكانت ألوفاً كثيرة، قال تعالى :

﴿ويوم حنين إذ أعجبتكم كثرتكم فلم تغن عنكم شيئاً وضاقت عليكم الأرض بما رحبت ثم وليتم مدبرين، ثم أنزل الله سكينته على رسوله وعلى المؤمنين وأنزل جنوداً لم تروها وعذّب الذين كفروا وذلك جزاء الكافرين﴾ التوبة ٢٥ ـ ٢٦

(٣٩) الحوضان : من ادم، كان عبد المطلب يسقي الحجيج اللبن والعسل والزبيب المنقوع

أنـا علي وابـن عبـد المطـلب المـوت خير للفتى من الهـرب[٤٠]

جـ ـ ومن كتاب لعلي عليه السلام إلى معاوية:

وذكـرت أنـه ليس لي ولأصحـابي عنـدك إلا السيف! فلقـد أضحكت بعـد استعبار! متى ألفيت بني عبد المطلب عن الأعداء ناكلين وبالسيف مخوفين[٤١]؟

د ـ عندما ضرب (عبد الرحمن بن ملجم لعنه الله) علياً عليه السلام قال:

«يـابني عبـد المطلب! لاألفينكم تخوضـون دمـاء المسلمين تقـولون: قتل أمير المؤمنين، ألا لايقتل بي إلا قاتلي».

٣ ـ وذكـره الحمـزة أسـد الله وأسـد رسـوله وسيد الشهداء، وذلك عندما سدد ضربته القاتلة يوم /بدر/ إلى قيس بن الفاكه وهو يظنه أباجهل قائلاً:

خذها! وأنا ابن عبد المطلب

٤ ـ وذكره عمرو بن سالم سيد خزاعة حين جاء يطلب النصرة من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بعد أن غدرت به قريش وبنو بكر، فقال:

---

(٤٠) وكان عمرو بن عبد ود فارس قريش قد عبر الخندق هو وهبيرة بن وهب، وضرار بن الخطاب، وعكرمة بن أبي جهل، ونوفل بن عبد الله المخزومي، وكان عمرو قد قاتل يوم /بدر/ حتى أرتث ـ أي حمل من المعركة ـ وأثبته الجراح فلم يشهد /أحداً/، فلما كان يوم الخندق، خرج معلماً ليرى مشهده، وكان يعد بألف فارس ـ وكان يسمى فارس يليل ـ لأنه أقبل في ركب من قريش، حتى إذا كانوا بـ/يليل/، وهو: وادٍ قريب من /بدر/ عرضت بهم بنوبكر في عدد، فقال لأصحابه: امضوا، فمضوا فقام في وجه بني بكر حتى منعهم أن يصلوا إليه، فعرف بذلك.

وبعد أن عبر عمرو الخندق أخذ يصيح بالمسلمين: من يبارز؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم للمسلمين (ثلاث مرات): [من يبرز لعمرو واضمن له على الله الجنة] والمسلمون ناكسوا رؤوسهم، وفي كل يقوم علي عليه السلام قائلاً: أنا له يارسول الله، فاستدعاه وعممه بيده الشريفة، وقال: [برز الإيمان كله للشرك كله].

وعن حذيفة بعد أن قتل علي عمرواً، قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم: [أبشر ياعلي فلو وزن عملك بعمل أمتي لرجح عملك بعملهم] ينابيع المودة ٩٢

وأخرج الحاكم عن بهز بن حكيم عن أبيه عن جده، أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال يوم الخندق: [لمبارزة علي ابن أبي طالب لعمرو بن عبد ود أفضل من أعمال أمتي إلى يوم القيامة] نزل الأبرار ٧٦

ورثت عمرواً أخته قائلة:

لو أن قاتـل عمـرو غير قاتـله بكـيتـه ماأقـام الـروح في جسـد
لكـن قاتـله /مـن لايـعـاب به/ وكـان يدعـى أبـوه بيـضـة الـبـلـد

في ينابيع المودة ١/١٤٧: لكنت أبكي عليه آخر الأبد، ويروى في البيت الثاني: من لانظير له.

(٤١) شرح النهج الوسيط للبحراني ٤٩٨

اللهم إني ناشد محمداً حلف أبينا وأبيه الأتلدا[42]
إن قريشاً أخلفوك الموعدا ونقضوا ميثاقك المؤكدا

الخ القصيدة.

٥ ـ وذكرته زينب عليها سلام الله حين وقفت أمام يزيد، بعد أن جيء بهم مع رأس الحسين عليه السلام من كربلاء إلى دمشق، فقالت موجهة الخطاب لابن معاوية:

«ثم تقول غير متأثم ولامستعظم:

لأهلوا واستهلوا فرحاً ثم قالوا يايزيد لاتشل

منتحياً على ثنايا أبي عبد الله سيد شباب أهل الجنة تنكتها بمخصرتك، وكيف لاتقول ذلك؟ وقد نكأت القرحة، واستأصلت الشأفة بإراقتك دماء ذرية محمد صلى الله عليه وآله وسلم ونجوم الأرض من آل عبد المطلب[43]

وماذكرناه من هذه الشواهد فهو على سبيل المثال لاالحصر.

و ـ عبد المطلب في الجنّة:

١ ـ هنيئاً لك ياعبد المطلب العز في الدنيا والفوز في الآخرة ببركة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم، لقد أكرمك الله عز وجل بكفالة محمد ورعايته، ﴿ألم يجدك يتيماً فآوى﴾. الضحى ٦

وإذا سخّر الإله أناساً لسعيد فإنهم سعداء

فهنيئاً لك الجنة برفقة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم القائل [أنا وكافل اليتيم في الجنة كهاتين] وقرن بين إصبعيه.

٢ ـ وهنيئاً لك ياعبد المطلب هذا العطاء الرباني والجزاء الأوفى، فقد قال صلى الله عليه

---

(٤٢) وهذا نص الحلف: باسمك اللهم، هذا حلف عبد المطلب بن هاشم لخزاعة، حلفاً جامعاً غير مفرق، الأشياخ على الأشياخ، والأصاغر على الأصاغر، والشاهد على الغائب، قد تعاهدوا وتعاقدوا أوكد عهد وأوثق عهد، لاينقص ولاينكث مااشرقت شمس على ثبير، وحنّ بفلاة بعير، ومااقام الأخشبان ـ هما جبلان في مكة ـ واعتمر بمكة إنسان، حلف أبد لطول أمد، يؤيده طلوع الشمس شداً، وظلام الليل مداً، وأن عبد المطلب وولده ومن معهم ورجال خزاعة متكافئون ومتضافرون ومتعاونون، على عبد المطلب النصرة لهم بمن تابعه على كل طالب، وعلى خزاعة النصرة لعبد المطلب وولده ومن معه على جميع العرب من شرق أو غرب أوحزن أوسهل، وجعلوا الله على ذلك كفيلاً وكفى به جميلاً، يقول السيد صدر الدين شرف الدين: فهذا الحلف أيضاً سر نبوي من أسرار المحمدية التي تغمر عبد المطلب لحمايتها وتوفيقها. (هاشم وامية) ٩٥.

(٤٣) ينابيع المودة ١/١٦

وآله وسلم:

[إن الله يبعث جدي عبد المطلب أمة وحده، في هيئة الأنبياء وزي الملوك»[٤٤].

وعن ابن عباس رضي الله عنهما، قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم:

[يبعث جدي عبد المطلب يوم القيامة في زي الملوك، وأبهة الأشراف].

قال البرزنجي: ويروى:

(ان عبد المطلب يعطى نور الأنبياء وجمال الملوك ويبعث أمة وحده)

قال: لأنه كان على التوحيد، وذلك كمن أخبر عنه النبي الكريم من أمثاله كزيد بن عمر بن نفيل، وورقة بن نوفل: [أنه يبعث أمة وحده] ومن يبعث أمة وحده لايبعد أن يعطى نور الأنبياء لأنه مستقل لاتابع، وأما كونه يعطى جمال الملوك: فلأنه سيد قريش في زمانه، وهو ملحق بالملوك الذين عدلوا وماظلموا[٤٥].

٤ ـ «أبو طالب وارث عبد المطلب»

حامي الديار مجير الجار من كرمت ... منه السجايا فلم يفخر مباريه

عم النبي الذي لم يثنه حسد ... عن نصره فتغالى عن مراضيه

هو الذي لم يزل حصناً لحضرته ... موفقاً لرسول الله يحميه

١ ـ أبو طالب عم النبي:

اسمه: عبد مناف، بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن الياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان.

وكان رسول الله إذا انتسب يقف على عدنان ولايتجاوزه، ويقول: [كذب النسابون] قال تعالى: ﴿وقروناً بين ذلك كثيراً﴾[٤٦].

---

(٤٤) (بلاغات النساء) لأحمد بن أبي طاهر البغدادي

(٤٤) مكرر عن ابن هشام ١/١٦٩، وتاريخ اليعقوبي ٢/٧ ـ ١٠، وعيون الأثر ١/٤٠

(٤٥) أسنى المطالب ٤٦

(٤٦) كما يرويه ابن سعد وابن عساكر عن ابن عباس

لقبه: شيخ الأبطح، وسيد البطحاء، ورئيس مكة، و(حليم البطحاء)، و(بيضة البلد)، و(شيخ قريش).

كنيته: أبو طالب ـ وبها اشتهر

مولده: في مكة المكرمة، قبل ولادة النبي صلى الله عليه وآله وسلم بخمس وثلاثين سنة، الموافق ٥٣٥م.

وفاته: في مكة المكرمة في السنة العاشرة للبعثة عن عمر يناهز الخامسة والثمانين، ودفن في الحجون.

صفته: كان أبلج اللون، متين الكاهل، قوي الشكيمة عضب المهز.

أخلاقه وشمائله: ومن أخلاقه السخاء والوفاء والعفة والشجاعة، وكان شاعراً حكيماً مدح النبي صلى الله عليه وآله وسلم وكانت العرب تطلق على عبد المطلب (إبراهيم الثاني) وقد ورث أبو طالب صفات أبيه من حلم وجود وحكمة.

وكان يؤمن بالله عز وجل، وينهي عن عبادة الأصنام وأحل ماأحل الله عز وجل وحرم ماحرَّم.

وفى بالنذر، وأدى الحق، وأجار الخائف، وحرّم الظلم والخمر والكبائر، ونهى عن وأد البنات، ومنع أن يطوف بالبيت عريان.

سنّ القسامة(٤٧) في دم عمرو بن علقمة فأثبتها الاسلام، ومع قلة ماله فقد كساه الله عز وجل هيبة ووقاراً فكان حاكم قريش وسيدها ومرجعها في الملمات، وكانت له سقاية الحجيج ورفادتهم.

وقد جاءت بأبي طالب لرياسة الناس جميعاً في مكة المكرمة، سيادة طريفة من الشجاعة والعفة والسخاء والوفاء والسن والتجارب والحكمة، وحسن البيان، وقد نسجت بأخلاقه الغر كل أكرومة، وكأنما اختاره القدر رجلاً أبلج، متين الكاهل، صعب الشكيمة، عضب المهز، لايميل به الهوى، ولاتدنو من خلقه مذمة ولاضعف، تفزع إليه قريش وأهل

---

(٤٧) القسامة: بالفتح هي الأيمان، تقسم على أولياء القتيل إذا ادعوا الدم، يقال قتل فلان بالقسامة، إذا اجتمعت جماعة من أولياء القتيل فادعوا على رجل أنه قتل صاحبهم، وكان معهم إمارة غير البينة، فحلفوا خمسين يميناً، ان المدعى عليه قتل صاحبهم ـ وهؤلاء الذين يقسمون على دعواهم يسمون (قسامة) أيضاً، فهي: مشترك لفظي في المعنيين، وقد جاء استحلاف المدعي هنا على خلاف سائر الدعاوي للنصوص في خصوص المقام، وللقسامة فصل استوفي الكلام فيه في الفقه في أثناء /كتاب القصاص/

البادية في نوائبهم فيخف لهم وينجدهم[٤٨].

حياته العائلية ـ زوجته:

هي فاطمة بنت أسد بن هاشم، تجتمع في سلسلة النسب مع أبي طالب في هاشم، ولم يذكر التاريخ له من الزوجات سواها.

حليتها: كانت فاطمة بنت أسد من فضليات الهاشميات، بزغت في عصرها شمساً في سماء الكمال تتنقل في أبراجه، شرف، حسب، فكرم محتد، فمكارم أخلاق، فذكاء قلب، فرجاحة حجى، فطهارة نفس، فجمال ذات، ففضيلة صفات ـ تلك حلية هذه السيدة الجليلة، ولذا اختارها سيد قريش ولم يستبدل بها سواها مدة حياته، ولنذكر مفتتح حياته السعيدة معها، تقول نسخة الخطبة: قال أبو طالب:

«الحمد لله رب العالمين رب العرش العظيم والمقام الكريم والمشعر والحطيم، الذي اصطفانا أعلاماً وسادة وعرفاء خلصاً، وقادة وحجبة وبهاليل، اطهاراًمن الخنى والريب والأذى والعيب، وأقام لنا المشاعر وفضلنا على العشائر، نخب إبراهيم وصفوته وزرع إسماعيل، وقد تزوجت فاطمة بنت أسد، وسُقت المهر وأنفذت الأمر فاسألوه واشهدوا».

فقال أسد: زوجناك ورضينا.

وأولم أبو طالب سبعة أيام متوالية ينحر فيها الجزر، وفي ذلك يقول، أميّة بن الصلت:

أغمرنا عرس أبي طالب ... وكان عرساً لين الجانب
اقراؤه الضيف وأقطارها ... من رجل خف ومن راكب
ونازلوه سبعة أحصيت ... أيامها للرجل الحاسب

أغفل أهل السير والمؤرخون الكثير من أحوال هذه السيدة ولم يذكروا لنا غير اليسير منها، ونحن أداءء لحقها الواجب، وإلماماً بأطراف الموضوع من جميع الجهات، نذكر من أحوالها مااستفدناه من بطون دفاتر شتى، ورشحات محابر عديدة.

أسلمت فاطمة بنت أسد، بعد عشرة من المسلمين فكانت الحادية عشرة فهي من السابقات إلى الإسلام، وبقيت بعد أبي طالب فهاجرت إلى المدينة، ولما أنزل الله سبحانه وتعالى:

﴿ياأيها النبي إذا جاءك المؤمنات يبايعنك﴾ الممتحنة ١٢

---

(٤٨) أبو طالب عم النبي ٢٤

دعا النبي صلى الله عليه وآله وسلم النساء إلى البيعة فكانت هي أول إمرأة بايعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم

كانت جليلة في المؤمنات، مقدرة صالحة تقية، يزورها النبي صلى الله عليه وآله وسلم ويقيل في بيتها، وقد حضرت (بدراً) في قطار حرم النبي صلى الله عليه وآله وسلم ثم مرضت فأوصت النبي صلى الله عليه وآله وسلم فقبل وصيتها، وتوفيت في السنة الرابعة للهجرة في المدينة، فصلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عليها، وتولى دفنها بنفسه وألبسها قميصه، واضطجع في قبرها وتمرغ، وبكى قائلاً:

[جزاك الله من أم خيراً، لقد كنت خير أم]

فقال له بعض الصحابة: يارسول الله! مارأيناك صنعت بأحد ماصنعت مع هذه المرأة.

فقال: [إنه لم يكن أحد بعد أبي طالب أبر بي منها، إني إنما ألبستها قميصي لتكسى به من حلل الجنة، واضطجعت في قبرها ليهون عليها ضغطة القبر][٤٩].

عقبه: أعقب طالباً، وعقيلاً، وجعفراً، وعلياً عليه السلام وهو أصغرهم سناً، وكان بينه وبين جعفر عشر سنين والكل من السيدة الجليلة فاطمة بنت أسد، وابنة تسمى فاختة، وتدعى أم هانىء، (وأخرى تدعى جمانة)[٥٠].

لقد كان أبو طالب نبعة الخير، والكهف الحصين الذي يقي من الحوادث والطوارىء، فإليه يلجأ الضعيف المضام، ومن كفه النديانة ينتهل المعدم، فتعود له الحياة الخضرة، وبه يتوسلون حين ينقطع من السماء قطرها، وهو الوصول للرحم، الكشاف للكروب، البر الرحيم، الجواد بما يملك من غير منّة، والسمح بما يستطيع بلا طلب، قوي الارادة، منطيق فصيح، يتدفق بلاغة، حديدي الجنان، جميل الطلعة، مهوب الجانب، موفور الاحترام.

كان زعيماً تجلله الهيبة والوقار، وكهفاً من المنعة، عقله الراجح ونظره البعيد وفكره

---

(٤٩) ويروى عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: لما توفيت (فاطمة بنت أسد) وكانت مسلمة فاضلة أنه قال: [اليوم ماتت أمي] وكفنها بقميصه، ونزل على قبرها، واضطجع في لحدها، فقيل له: يارسول الله! لقد اشتد جزعك على فاطمة؟ قال: إنها كانت أمي، إذ كانت لتجيع صبيانها وتشبعني، وتشعثهم وتدهنني، وكانت أمي] تاريخ اليعقوبي ٩/٢

(٥٠) أول كتاب (شيخ الأبطح)

النافذ ونفسيته الفضلى، والميزات الرفيعة أهلته للرئاسة والزعامة[٥١].

أقول: ولم يكن أبو طالب يطمع في جاه أو سلطان، فقد أعطاه الله عز وجل الجاه وآتاه السلطان، لكن نفسيته الصافية وشخصيته العالية وعقيدة التوحيد دفعته لطلب الكمال، وقد وجده في الإيمان بالله ورسوله، فآمن وكان بطل الاسلام.

الفصل الثاني

١ ـ الإيمان

قال السيد أحمد زيني دحلان مفتي الشافعية بمكة المكرمة، في أول كتابه (أسنى المطالب في نجاة أبي طالب):

إن العلامة البرزنجي أثبت حصول الإيمان لأبي طالب بالحجج والبراهين، ثم أثبت له النجاة، وخرّج ذلك على أرجح الأحوال عند المحققين.

أما إثبات الإيمان فإنه يتوقف أولاً: على معرفة معنى الإيمان، ومعناه شرعاً:

التصديق القلبي بوحدانية الله تعالى ورسالة النبي صلى الله عليه وآله وسلم، والتصديق بكل ماجاء به عن الله تعالى، وأما الإسلام شرعاً فهو:

الانقياد بالأفعال الظاهرة الشرعية، ويدل لهذا قوله صلى الله عليه وآله وسلم:

[الاسلام علانية والإيمان بالقلب]

فقد يجتمعان وذلك في المصدق بقلبه المقر بالشهادتين.

وينفرد الإسلام عن الإيمان في (المنافق) الذي ينطق بالشهادتين وينقاد لأحكام الإسلام ظاهراً، وهو بقلبه مكذب غير مصدق.

وينفرد الإيمان عن الإسلام في من يصدق بقلبه ولا ينطق بالشهادتين عناداً، ولا ينقاد للأفعال الظاهرة الشرعية، وذلك / الكثير من علماء اليهود / الذين عرفوا سيدنا محمداً صلى الله عليه وآله وسلم رسولاً صادقاً ولم ينطقوا بالشهادتين ولم يتبعوه، ولم ينقادوا لما جاء به، وقد قال تعالى فيهم:

﴿يعرفونه كما يعرفون أبناءهم﴾.

---

(٥١) أبو طالب عم النبي ٢٤

فهم لم يقروا برسالته عناداً، ويعتقدون في قلوبهم صدقه في دعوى الرسالة، فهؤلاء مؤمنون به في الباطن مكذبون به في الظاهر عناداً، فلا ينفعهم الإيمان الباطني حيث تكذيبهم الظاهري عناداً.

وأما إذا كان عدم الانقياد الظاهري، وعدم النطق بالشهادتين لعذر لا لعناد، فإن الإيمان الباطني ينفع صاحبه باطناً عند الله في الدار الآخرة، ولكن في الظاهر يعامل معاملة الكفار، فيقال له: بأنه كافر بحسب أحكام الدنيا.

والعذر الذي يمنع من الانقياد في الظاهر له أسباب منها: الخوف من ظالم بأن خاف إن أظهر إسلامه وانقياده أن يقتله أو يؤذيه أذىً لا يحتمل، أو يؤذي أحداً من أولاده أو أقاربه، فهذا يجوز له خفاء الإسلام، بل لو أكرهه الظالم على التلفظ بالكفر فإنه يجوز له أن يتلفظ به، وقد أشار سبحانه وتعالى إلى هذا بقوله:

﴿إلا من أكره وقلبه مطمئن بالإيمان ولكن من شرح بالكفر صدراً فعليهم غضب من الله ولهم عذاب عظيم﴾. النحل /١٠٦

ومن هذا القبيل امتناع أبي طالب من الانقياد الظاهري خوفاً على ابن أخيه، وهو سيدنا محمد صلى الله عليه وآله وسلم فإنه كان يحميه وينصره ويدفع عنه كل أذى ليبلغ رسالة ربه، وكان كفار قريش يمتنعون من إيذاء النبي صلى الله عليه وآله وسلم رعاية لأبي طالب وحمايته، وكانت رئاسة قريش بعد عبد المطلب لأبي طالب، فكان أمره عليهم نافذاً، وحمايته عندهم مقبولة لعلمهم أن أبا طالب على ملتهم ودينهم، ولو علموا أنه أسلم وتبع النبي صلى الله عليه وآله وسلم فإنهم لا يقبلون حمايته ونصره، بل كانوا يقاتلونه ويؤذونه، ويفعلون معه من الأذى أكثر مما يفعلونه بالنبي صلى الله عليه وآله وسلم، ولاشك أن هذا عذر قوي لأبي طالب مانع من إظهاره الانقياد الظاهر والاتباع للنبي صلى الله عليه وآله وسلم، فلهذا كان يظهر لهم أنه على دينهم وملتهم، وأنه إنما يدفع عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم لأجل القرابة التي بينه وبينه، وكانوا يعتقدون أنه إنما يحميه للحميَّة لا للاتباع في الدين، بل للحمية التي كانت مشهورة عند العرب، وقد كان في الباطن قلبه مملوء بتصديقه صلى الله عليه وآله وسلم لما شاهده من المعجزات كما سيأتي إيضاح ذلك كله، وكان يأتي في الظاهر بألفاظ تدل على ذلك، وبألفاظ أخرى يوهم بها على الكفار أنه على دينهم، وليس تابعاً للنبي صلى الله عليه وآله وسلم ليدفع بها عن نفسه الشبهة والتهمة من أنه متبع للنبي صلى الله عليه وآله وسلم لينفذوا حمايته

ونصرته.

ثم ذكر البرزنجي اختلاف العلماء في النطق بالشهادتين، هل هو شطر - أي جزء - من مسمى الإيمان، أو شرط لإجراء الأحكام الدنيوية.

فيترتب على كونه شطراً - أي جزءاً:

ان تارك ذلك مع القدرة يكون كافراً مخلداً في النار، وعلى كونه شرطاً لإجراء الأحكام الدنيوية يكون غير مخلد، فقال: قال السفاقسي في (شرح التمهيد): إن كون الإيمان هو التصديق فقط، هو الرواية الصحيحة عن الإمام أبي حنيفة رضي الله عنه، وقال العلامة العيني: جميع ماجاء به فهو مؤمن فيما بينه وبين الله تعالى وان لم يقر بلسانه.

وقال حافظ الدين النسفي: إن ذلك هو المروي عن أبي حنيفة، وإليه ذهب الإمام أبو الحسن الأشعري في أصح الروايتين عنه، وهو قول أبي منصور الماتريدي، وقال الإمام عضد الدين في (المواقف):

الإيمان عندنا هو التصديق للرسول فيما علم مجيئه به ضرورة، قال شارحه السيد الشريف، يعني بقوله (عندنا) اتباع أبي حسن الأشعري، وقد قرر الغزالي رحمه الله هذا المذهب في (إحياء علوم الدين) وأطال فيه، وهو قول إمام الحرمين، وقول الأشاعرة، وقول القاضي الباقلاني والأستاذ أبي إسحق الاسفراييني، ونسبه التفتازاني إلى جمهور المحققين، واستدل له بأحاديث منها: قوله صلى الله عليه وآله وسلم:

[من علم أن الله ربه، واني نبيه، صادقاً من قلبه، حرم الله لحمه على النار] رواه الطبراني في (الكبير) عن عمران بن حصين.

وروى البخاري ومسلم عن عثمان بن عفان أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: [من مات وهو يعلم أن لاإله إلا الله دخل الجنة].

وروى الطبراني عن أبي سلمة بن نعيم الأشجعي رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم:

[من لقي الله لايشرك به شيئاً دخل الجنة].

قال: قلت يارسول الله! وإن زنى وإن سرق، قال: [وإن زنى وإن سرق].

قال وفي أحاديث الشفاعة من هذا شيء كثير، حتى يقال له صلى الله عليه وآله وسلم «اخرج من النار من في قلبه أدنى أدنى من مثقال حبة من إيمان» بتكرير «أدنى» ثلاث مرات.

وعقد البرزنجي فصلاً مستقلاً ذكر فيه كثيراً من تلك الأحاديث، وكلها دالة على أن: من كان في قلبه أدنى أدنى مثقال حبة من إيمان لايخلد في النار.

ونقل التفتازاني في (شرح المقاصد) والكمال بن الهمام في (المسايرة) وابن حجر في (شرح الأربعين) أن: شرط النجاة في الآخرة إذا لم يطالب به ـ أي النطق بالشهادتين ـ فإذا طولب به وامتنع امتناعاً على وجه الإباء عن الإسلام والكراهية والعناد، فلا ينجو، ويفهم من هذا القيد أنه: لوترك النطق بعد المطالبة لا إباء عنه ولاعناداً بل لعذرٍ صحيح، وقلبه مطمئن بالإيمان، فإنه لايكون كافراً بينه وبين الله تعالى، بل لوتكلم بالكفر والحالة هذه لايضره قال تعالى: ﴿إلا من أكره وقلبه مطمئن بالإيمان﴾

فهذه النصوص كلها تدل على أن الإيمان هو التصديق فقط، ويقابلها القول: إن التصديق وحده لايكفي، بل لابد من النطق باللسان مع التصديق، فمن لم ينطق مع قدرته كان مخلداً في النار، وقال بهذا كثيرون، ونقل النووي في (شرح مسلم) اتفاق أهل السنة من المحدثين والفقهاء والمتكلمين على هذا القول، واعترضوا في حكاية الاتفاق، قال ابن حجر في (شرح الأربعين): إن لكل من الأئمة الأربعة قولاً بأنه: مؤمن عاصٍ بترك التلفظ، بل الذي عليه جمهور الأشاعرة وبعض محققي الحنفية كما قال المحقق الكمال بن الهمام وغيره: إن الاقرار باللسان إنما هو شرط لإجراء أحكام الدنيا فحسب، ثم ذكر اختلاف العلماء في أنه: هل يشترط لفظ الشهادتين بلفظها المعروف، أويكفي الاتيان بغير المعروف مما يدل على الإيمان، وذكر فيه قولين للعلماء، فقيل:

إنه يشترط اللفظ المعروف ولايكفي غيره، والراجح: أنه لايشترط خصوص اللفظ المعروف وأن الإيمان ينعقد بغير اللفظ المعروف

وعبارة البرزنجي: ثم ليعلم المراد بالنطق بالشهادتين ليس النطق بخصوصهما، خلافاً للغزالي كما ذكر النووي في (الروضة) ونسبه إلى الجميع، فنقل عن الحليمي في (منهاجه) أنه: لاخلاف أن الإيمان ينعقد بغير اللفظ المعروف، وهو كلمة (لاإله إلا الله) حتى لو قال (لاإله غير الله) أو (ماعدا الله) أو (سوى الله) أو (مامن إله إلا الله) أو (لاإله إلا الرحمن) أو (لارحمن إلا الله، أو إلا الباري) فهو كقوله: لاإله إلا الله.

وكذا لو قال: محمد بن عبد الله نبي الله، أو مبعوثه، أو أحمد، أو الماحي، أو غير ذلك أو مايؤدي ذلك باللغات الأعجمية، صح إسلامه وحكم بكونه مسلماً.

٢ ـ «أبو طالب يعرف أن محمداً النبي المبعوث»

بشرت الأنبياء بمحمد صلى الله عليه وآله وسلم وذكروا أوصافه وعلاماته وكان أهل الكتاب (اليهود والنصارى) يطمعون أن يكون منهم وهناك العديد ممن يعرفون أن محمداً صلى الله عليه وآله وسلم هو النبي المبعوث منهم:

أ ـ سيف بن ذي يزن ملك اليمن الذي بشر عبد المطلب بمحمد عندما ذهب وفد قريش لتهنئته.

ب ـ قال ابن اسحاق: وحدثني بعض أهل العلم:

ان مما هاج أمه السعدية ـ يقصد الرسول الكريم ـ على رده إلى أمه، مع ماذكر لأمه مما أخبرتها عنه، أن نفراً من الحبشة نصارى، رأوه معها حين رجعت به بعد فطامه، فنظروا إليه، وسألوها عنه، وقلبوه، ثم قالوا لها:

لنأخذن هذا الغلام، فلنذهبن به إلى ملكنا وبلدنا، فإن هذا غلام كائن له شأن نحن نعرف أمره، فزعم الذي حدثني أنها لم تكد تنفلت به منهم[٥٢].

ج ـ فقد خرجت به صلى الله عليه وآله وسلم (حاضنته أم أيمن رضوان الله عليها) لما بلغ ست سنين من عمره إلى أخواله (في المدينة) فنزلت به في دار النابغة ـ رجل من بني عدي بن النجار ـ فأقامت به شهراً، ومما وقع في تلك السفرة، قالت أم أيمن: أتاني رجلان من اليهود يوماً نصف النهار بالمدينة، فقالا: أخرجي لنا أحمد، فأخرجته، ونظرا إليه وقلباه ملياً، ثم قال أحدهما لصاحبه: هذا نبي الأمة، وهذه دار هجرته، وسيكون بهذه البلدة من القتل والسبي أمر عظيم قالت أم أيمن: وعيت ذلك من كلامهما[٥٣].

د ـ روى شيخنا أبو الحسن قطب الدين الراوندي في كتابه (الخرائج والجرائح) عن فاطمة بنت أسد، قالت:

لما توفي عبد المطلب، أخذ أبو طالب النبي صلى الله عليه وآله وسلم عنده لوصية أبيه به، وكنت أخدمه، وكان في بستان دارنا نخلات وكان أول أدراك الرطب، وكنت كل يوم ألتقط

---

(٥٢) سيرة ابن هشام ١/١٦٧

(٥٣) الغدير ٧/٢٦٢ عن دلائل النبوة لأبي نعيم ١/٢٥٠ صفة الصفوة لابن الجوزي ١/٢٠ تاريخ ابن كثير ٢/٢٧٩، بهجة المحافل ١/٤٤

له صلى الله عليه وآله وسلم حفنة من الرطب فما فوقها، وكذلك جارتي، فاتفق يوماً أن نسيت أن ألتقط له شيئاً، ونسيت جارتي أيضاً، وكان محمد نائماً، ودخل الصبيان وأخذوا كل ماسقط من الرطب، وانصرفوا، فنمت ووضعت الكم على وجهي حياء من محمد صلى الله عليه وآله وسلم إذا انتبه، فانتبه محمد صلى الله عليه وآله وسلم ودخل البستان فلم ير رطبة على وجه الأرض، فأشار إلى نخلة، وقال: [أيتها الشجرة أنا جائع]

فرأيت النخلة قد وضعت أغصانها التي عليها الرطب، حتى أكل منه ماأراد، ثم ارتفعت إلى موضعها، فتعجبت من ذلك، وكان أبو طالب رضي الله عنه غائباً، فلما أتى وقرع الباب عدوت إليه حافية، وفتحت الباب، وحكيت له مارأيت، فقال: هو إنما يكون نبياً، وأنت تلدين له وزيراً بعد يأس فولدت علياً كما قال(٥٤).

هـ ـ ذكر السيد عبد العزيز سيد الأهل:

وظن عمات النبي حين غاب في بيته أنه يشكو ضعفاً، فدخلن عليه في بيت خديجة يعدنه، فقال لهن: [ماشكيت شيئاً ولكن الله أمرني بقوله: ﴿وأنذر عشيرتك الأقربين﴾.

فأريد أن أجمع بني عبد المطلب لأدعوهم إلى الله]، فقلن له جميعهن، وكن قد أقبلن على الإيمان: ادعهم، ولاتجعل عبد العزى ـ يقصدون أباهب ـ فإنه غير مجيبك إلى ماتدعو إليه، وخرجن من عنده إلى بيوتهن فلما أصبح رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بعث إلى بني عبد المطلب فحضروا، وحضر فيهم أبو لهب، فلما أخبرهم النبي صلى الله عليه وآله وسلم بما أنزل اليه، ابتدره أبو لهب بقوله: تباً لك ألهذا جمعتنا، ثم مال إلى حجر فأخذه بيده ولوح به يريد أن يرميه، فصمت النبي ولم يجب، واستمر أبو لهب يقول: أترك الصبأة، واعلم أنه ليس للعرب بقولك طاقة، وان أحق من أخذك وحبسك بنو أبيك إن أقمت على أمرك، فهو أيسر عليك من أن تثب عليك بطون قريش وتمدها العرب من ورائها.

لقد شق قول أبي لهب على بني عبد المطلب جميعاً، وشق أمره وبغيه على صفية / بنت عبد المطلب / أخته من أبيه وأمه، فقالت له: أيحسن بك خذلان ابن أخيك، ومازالت العلماء تخبر: أنه يخرج من ضئضىء عبد المطلب نبي ـ فهو هو ـ تقصد محمداً فالتفت إليها أبو لهب يقول: هذا والله الباطل والأماني، وكلام النساء في الحجال(٥٥).

---

(٥٤) الغدير ٣٧/٣٩٨

(٥٥) أبو طالب عم النبي ٤٣ ـ ٤٤

٢ ـ ونذكر للقارىء الكريم الأدلة التي تثبت معرفة أبي طالب لنبوة محمد:

المجموعة الأولى:

أ ـ من وصايا عبد المطلب المتكررة بالنبي صلى الله عليه وآله وسلم فمن هذه الوصايا:

يابني! تسلم ابن أخيك مني، فأنت شيخ قومك وعاقلهم، ومن أجد فيه الحجى دونهم، وهذا الغلام تحدثت به الكهان، وقد روينا في الأخبار أنه: سيظهر من تهامة نبي كريم، وقد روي فيه علامات قد وجدتها فيه، فأكرم مثواه، واحفظه من اليهود فإنهم أعداؤه.

ويقول عبد المطلب في وصية أخرى:

ياأبا طالب! إن أدركت أيامه تعلم أني كنت أبصر الناس به، وأعلم الناس به، فإن استطعت أن تتبعه فافعل، وانصره بلسانك ويدك ومالك، فإنه سيسودكم ويملك مالا يملك أحدٌ من آبائي.

ب ـ قول أبي طالب:

ولقد كان أبي ـ يقصد عبد المطلب ـ يقرأ الكتب جميعاً، ولقد قال: إن من صلبي نبياً لوددت أني أدركت ذلك فآمنت به، فمن أدركه من ولدي فليؤمن به(٥٦).

جـ ـ رؤيا عبد المطلب:

وأخرج أبو نعيم من طريق أبي بكر عبد الله بن الجهم عن أبيه عن جده، قال: سمعت أبا طالب يحدث عن عبد المطلب، أنه رأى في منامه شجرة تنبت من ظهره، قد نال رأسها السماء وضربت أغصانها المشرق والمغرب، قال: ـ أي عبد المطلب ـ فما رأيت نوراً أزهر منها، أعظم من نور الشمس سبعين ضعفاً، ورأيت العرب والعجم ساجدين، وهي تزداد كل ساعة عظماً ونوراً وارتفاعاً، ساعة تخفى وساعة تظهر، وقوماً من قريش يريدون قطعها، فإذا دنوا منها أخذهم شاب لم أر قط أحسن منه وجهاً ولا أطيب ريحاً، فيكسر ظهرهم، ويقلع أعينهم، فرفعت يدي لأتناول نصيباً فلم أنل، فقلت: لمن النصيب، فقال النصيب لهؤلاء الذين تعلقوا بها، فانتبهت مذعوراً، فأتيت كاهنة قريش فأخبرتها، فرأيت وجه الكاهنة قد تغير، ثم قالت: إن صدقت رؤياك، ليخرجن من صلبك رجل يملك المشرق والمغرب، وتدين الناس له.

---

(٥٦) مؤمن قريش ١٢٤ عن شيخ الأبطح ٢٢، والغدير ٧/٣٤٨، والعباس ١٨ و ٢٦

فقال عبد المطلب لأبي طالب: لعلك أن تكون هو المولود.

فكان أبو طالب يحدث بهذا الحديث والنبي صلى الله عليه وآله وسلم قد بعث، ويقول: كانت الشجرة والله أبا القاسم الأمين، فيقال له: ألا تؤمن، فيقول: السبّة والعار.

وإنما كان يقول ذلك تعمية وتستراً، وإظهاراً لقريش أنه على دينهم، ليتم له نصرة النبي الكريم وحمايته، لأنهم حيث علموا أنه معهم وعلى دينهم، يقبلون حمايته، بخلاف مالو أظهر لهم مخالفتهم واتباع النبي صلى الله عليه وآله وسلم، فهذا هو العذر في قوله السبّة والعار، وفي بقائه ظاهراً على دينه(٥٧).

د ـ شعر أبي طالب:

قال الامام عبد الواحد السفاقسي في (شرح البخاري):

ـ إن في شعر أبي طالب هذا دليلاً على أنه كان يعرف بنبوة النبي الكريم قبل أن يبعث لما أخبره به / بحيراء الراهب / وغيره من شأنه، مع ماشاهده من أحواله، ومنها الاستسقاء به في صغره ـ ومعرفة أبي طالب بنبوة النبي جاءت في كثير من الأخبار زيادة على أخذها من شعره(٥٨).

هـ ـ من قراءة أبي طالب للكتب السماوية، ومعرفته بالأنبياء السابقين والديانات القديمة حيث كان موحداً على ملة إبراهيم، ألم تسمع لقوله:

ألم تعلموا أنا وجدنا محمداً ... نبياً كموسى خط في أول الكتب(٥٩)

ويخاطب النجاشي قائلاً:

وأنكم تتلونه في (كتابكم) ... بصدق حديث لاحديث الترجم(٦٠)

وهذا مصداقا لقوله تعالى:

﴿الذين يتبعون الرسول النبي الأمي الذي يجدونه مكتوباً عندهم في التوراة والإنجيل يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث، ويضع عنهم اصرهم والأغلال التي كانت عليهم﴾. الأعراف ١٥٧

وقوله تعالى عن عيسى عليه السلام:

---

(٥٧) أسنى المطالب، أقول: لعل الرؤيا كانت قبل ولادة الرسول الكريم (٥٩) مجمع البيان ٣٦/٧

(٥٨) مؤمن قريش ١٢٣ عن النبوية ٨٨/١ الغدير ٣٤١/٧ و٣٩٨ عن الصدوق في أماليه ١٥٨

(٦٠) مؤمن قريش ١٨٣ عن الحجة ٥٦ و٥٧ والبحار ٥٢١/٦ وإيمان أبي طالب ١٨، وشيخ الأبطح ٨٧ و٨٨ ومجمع البيان ٣٧/٧ بدون البيت الأخير والعياشي ٢٢ والغدير ٣١١، والأعيان ١٩/١٦

﴿ومبشراً برسول يأتي من بعدي اسمه أحمد﴾ الصف /٦/

ذلك أن كل نبي من لدن آدم عليه السلام قد آمن بمحمد صلى الله عليه وآله وسلم وبشر به، قال تعالى:

﴿وإذ أخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم من كتاب وحكمة، ثم جاءكم رسول مصدقٌ لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه. قال أأقررتم وأخذتم على ذلكم إصري، قالوا أقررنا، قال فاشهدوا وانا معكم من الشاهدين﴾ آل عمران ٨١

ورحم الله البوصيري حيث يقول مادحاً الرسول صلى الله عليه وآله وسلم:

مامضت فترة من الرسل إلاّ بشرت قومها بك الأنبياء

تتباهى بك العصور، وتزهو بك علياء بعدها علياء

و ـ حرب الفجّار:

وفي حرب الفجار بين هوازن وكنانة ـ إذ احضر أبو طالب ومعه الرسول الكريم ـ كان النصر حليف هوازن، ومتى غاب دارت عليهم الدائرة، فطلبت هوازن من أبي طالب أن لايغيب عنها ليؤتاها النصر، فكان عند طلبها. النهج الحديدي ٤٦٢/٣ والنبوية ٩٨/١

ح ـ العائف:

إن رجلاً من / لهب / كان عائفاً، فإذا قدم مكة أتته رجال قريش بغلمانهم لينظر لهم ويعتاف لهم، وكان أبو طالب من بين الحشد الذي أتاه، ومعه الرسول الكريم، فنظر العائف للرسول، ثم كان لديه ماشغله عنه، وماانتهى شاغله حتى قال: الغلام! عليَّ به.

وما أن رأى أبو طالب حرص هذا العائف عليه حتى أوجس منه خيفة، وأحس شيئاً يفرض عليه أن يغيبه عن عيني العائف ولم يأبه لصياح العائف:

ويلكم! ردوا علي الغلام الذي رأيت آنفاً، فوالله ليكونن له شأنٌ(٦١)

ز ـ زواج مبارك:

إن في حادثة زواجه صلى الله عليه وآله وسلم من خديجة بنت خويلد أم المؤمنين عليها السلام أفصح دليل على أن أبا طالب كان يعرف تمام المعرفة أن محمداً هو النبي المبعوث، وإليك أيها القارىء الكريم نص الخطبة البليغة التي ألقاها أبو طالب بهذه المناسبة المباركة:

---

(٦١) العائف: المتكهن بالطير أو بغيرها ـ مؤمن قريش ١٢٧ عن السيرة الشامية ١٦٠/١ والنبوية ١٩٠/١ والخلبية ١٣٩/١ وأبو طالب ٣٢

((الحمد لله الذي جعلنا من ذرية إبراهيم وزرع إسماعيل (وضئضىء معد وعنصر مضر) وجعلنا حضنة بيته وسّواس حرمه، وجعل لنا بلداً حراماً، وبيتاً محجوجاً، وجعلنا الحكّام على الناس.

ثم إن محمداً ابن عبد الله أخي، من لايوزن به فتى من قريش، إلا رجح عليه براً وفضلاً وحزماً وعقلاً ومجداً ونبلاً، وإن كان في المال قل، فإن المال ظل زائل وعارية مستردة، وله في خديجة بنت خويلد رغبة، ولها فيه مثل ذلك، ومأأحببتم من الصداق فعليّ، وله والله خطب جليل، ونبأ شايع))، (نبأ عظيم، وخطر جسيم) وعندما تم مأأراده، رفع أبو طالب عليه السلام صوته ويديه شكراً لله تعالى، قائلاً:

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات

وفي رواية أخرى: الحمد لله الذي أذهب عنا الكرب ودفع عنا الهموم(٦٢).

وإنك أيها القارىء الكريم تجد أن أبا طالب لايفتتح خطبته ولايختمها إلا بحمد الله عزّوجل، وتجده في كل مناسبة يحمد الله عزّوجل ويشكره ويمجده ويعظمه بما هو أهله، وهذا دليل على أنه كان على ملة إبراهيم عليهما السلام وأنه آمن بمحمد صلى الله عليه وآله وسلم عند مبعثه وأسلم لله رب العالمين.

ويعلق السيدان الدحلان والبرزنجي على هذه الخطبة قائلين:

وكان هذا قبل بعثته صلى الله عليه وآله وسلم بخمس عشرة سنة، فانظر كيف تفرس فيه أبو طالب كل خير قبل بعثته صلى الله عليه وآله وسلم فكان الأمر كما قال، وذلك من أقوى الدلائل على إيمانه وتصديقه بالنبي الكريم حين بعثه الله تعالى.

المجموعة الثانية:

المعجزات التي شاهدها أبو طالب من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم / قبل النبوة

أ ـ إنك لمبارك:

كان أبو طالب قليل المال كثير العيال، فكان عياله إذا أكلوا وحدهم جميعاً أو فرادى لم

---

(٦٢) الضوضوء، والضئضىء: الأصل والمعدن، والخطبة في مؤمن قريش ١٤١ عن السيرة النبوية ١/١٠٦ والحلبية ١/١٦٥ وفاطمة بنت محمد ٤٤ وشرح النهج لابن أبي الحديد ٣/٣١٢ وأبو طالب ٤ والحجة ٣٦ والبحار ٦/١٣٥ وتذكرة الخواص ٣١٢ وذكرت فصول منها في إعجاز القرآن للباقلاني ٢٣٤ وأعيان الشيعة ٣٩/١٣٧ والكامل للمبرد ٣/١١٧٤ و١١٧٥ وأسنى المطالب ٨

يشبعوا، وإذا آكل معهم النبي صلى الله عليه وآله وسلم شبعوا، فكان أبو طالب إذا أراد أن يغديهم أو يعشيهم، يقول:

«أنتم كما أنتم حتى يأتي ابني - يعني محمداً صلى الله عليه وآله وسلم -»

فيأتي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فيأكل معهم فيشبعون من طعامهم، وإذا كان طعامهم لبناً شرب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أولهم، ثم تناول العيال /العقب/[٦٣] فيشربون منه فيروون من عند آخرهم - أي جميعهم - من العقب وإن كان أحدهم يشرب عقباً واحداً وحده، فيقول أبو طالب للنبي صلى الله عليه وآله وسلم: «إنك لمبارك»[٦٣].

ب - نبع الماء:

أخرج ابن سعد والخطيب وابن عساكر عن عمرو بن سعيد، أن أبا طالب قال: كنت (بذي مجاز)[٦٤] مع ابن أخي - يقصد محمداً - فأدركني العطش فشكوت إليه، ولا أرى عنده شيئاً قال:

فثنى وركه، ثم نزل فأهوى بعقبه إلى الأرض فإذا الماء، فقال: [اشرب ياعم] فشربت[٦٥].

قال البرزنجي فلو لم يكن موحداً - يقصد أبا طالب - لما رزقه الله الماء الذي نبع للنبي الكريم الذي هو أفضل من ماء الكوثر ومن ماء زمزم، ثم قال: الذي يرى مثل هذه المعجزة كيف لايقع التصديق في قلبه، وقد كثرت القرائن الدالة على التصديق[٦٦].

جـ - الاستسقاء بالنبي صلى الله عليه وآله وسلم:

عن عمرو بن خارجة، عن عرفطة الجندعي، قال: بينا أنا بالقاع من نمرة[٦٧]، إذ

---

(٦٣) العقب: القدح الضخم الغليظ، مؤمن قريش ١٢٨ عن السيرة النبوية ١/٨٠ والحلبية ١/١٣٧، ١٣٨، والبحار ٦/١٢٩، وكتاب (فاطمة بنت محمد عليها الصلاة والسلام) ١٨، وكتاب (محمد النبي العربي) ٤٧ لمؤلفها عمر أبو النصر، والعباس ٢٠، وعلى هامش السيرة ١/١٩٠، ١٩١ و٢/١٥١ و١٥٢ وأسنى المطالب ١٤

(٦٤) ذو المجاز: موضع على فرسخ من عرفة، كان سوقاً بالجاهلية وذكر في معجم البلدان ٥/٥٥ أنه: موضع سوق بعرفة على ناحية كبكب

(٦٥) مؤمن قريش ١٢٧ والسيرة النبوية ١/٨٩ والحلبية ١/١٣٩، وتذكرة الخواص ٩ والعباس ٢٠ والبحار ٦/١٢٩

(٦٦) أسنى المطالب ١١

(٦٧) القاع: منزل بطريق مكة بعد العقبة للمتوجه إلى مكة، ونمرة: بالفتح ثم الكسر، ناحية بعرفة، كانت منزل النبي الكريم في حجة الوداع، وقيل هو الجبل الذي عليه أنصاب الحرم عن يمينك إذا خرجت من المأزمين تريد الموقف (المراصد: م /قاع ونمرة/)

أقبلت عير من أعلى نجد حتى حاذت الكعبة، وإذا غلام قد رمى بنفسه من عجز بعير حتى أتى الكعبة وتعلق بأستارها، ثم نادى: يارب البيت أجرني

فقام إليه شيخ جسيم وسيم عليه بهاء الملوك ووقار الحكماء ـ يقصد أبا طالب ـ فقال ماخطبك ياغلام؟

فقال: إن أبي مات وأنا صغير، وإن هذا الشيخ النجدي قد استعبدني، وكنت أسمع أن لله بيتاً يمنع من الظلم فجاء النجدي فجعل يسحبه ويخلص أستار الكعبة من يده، فأجاره القرشي، ومضى النجدي وقد تكنعت يداه(٦٨).

قال عمرو بن خارجة: فلما سمعت الخبر قلت: إن لهذا الشيخ لشأناً فصوبت رحلي نحو تهامة(٦٩)، حتى وردت الأبطح وقد أجدبت الأنواء، وأخلقت العواء، وإذا قريش حلق قد ارتفعت لهم ضوضاء، فقائل يقول: استجيروا باللات والعزى، وقائل يقول: بل استجيروا بمناة الثالثة الأخرى، فقام رجل من جملتهم يقال له ورقة بن نوفل عم خديجة بنت خويلد، فقال: إني نوفلي، وفيكم بقية إبراهيم وسلالة إسماعيل، فقالوا: كأنك عنيت أبا طالب، قال: هو ذلك.

فقاموا بأجمعهم وقمت معهم فأتينا أبا طالب، فخرج إلينا من دار نسائه في حلة صفراء، وكان رأسه يقطر من دهانه، فقاموا إليه أجمعهم وقمت معهم، فقالوا: ياأبا طالب! قد أقحط الواد، وأجدبت العباد، فقم واستسق لنا، فقال: رويدكم دلوك الشمس، وهبوط الريح

فلما زاغت الشمس أو كادت، وإذا أبو طالب قد خرج وحوله اغيلمة (جمع غيلم)(٧٠) من بني عبد المطلب، وفي وسطهم غلام أيفع(٧١) منهم كأنه شمس ضحى تجلت عن غمامة قتماء، فجاء حتى أسند ظهره إلى الكعبة ـ يقصد محمداً صلى الله عليه وآله وسلم ـ فاستجار بها ولاذ باصبعه، وبصبصت الأغيلمة حوله، ومافي السماء قزعة(٧٢) فأقبل السحاب من هاهنا وهاهنا حتى لتّ ولفّ وأسحم واقتم وأرعد وأودق وانفجر به الوادي وافعوعم، وفي ذلك قال

---

(٦٨) تكنع: تكنعت يداه: تقبضت ويبست (أقرب الموارد /كنع)

(٦٩) تهامة: سائر البحر منها مكة والحجاز، قيل: يخرج من مكة فلايزال في تهامة حتى يبلغ عسفان

(٧٠) الغيلم، والغيلمي: الشاب العريض المفرق الكثير الشعر (أقرب الموارد ٢/٨٨٤)

(٧١) أيفع الغلام، بمعنى يفع: راهق العشرين، وقيل ترعرع، وناهز البلوغ

(٧٢) القزعة: محركة، القطعة من السحاب، ومنه: كانت السماء كالزجاجة ليس فيها قزعة، (أقرب الموارد ٢/٩٩٦)

أبو طالب رضي الله عنه يمدح النبي صلى الله عليه وآله وسلم:

وأبيض يستسقى الغمام بوجهه ... ثمال اليتامى عصمة للأرامل
تلوذ به الهلاك من آل هاشم ... فهم عنده في نعمة وفواضل
وميزان صدق لايخس شعيرة ... ووزان حق وزنه غير عائل(٧٣)

د ـ السفر إلى الشام:

فقد اصطحب أبو طالب محمداً صلى الله عليه وآله وسلم معه عند سفره إلى الشام، وذكر ذلك في بعض قصائده ومارآه من بركة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم، ومأأخبره الراهب بحيراء، وخوفه عليه من اليهود، يقول أبو طالب:

إن ابن آمنة النبي محمداً ... عندي يفوق منازل الأولاد
لمّا تعلق بالزمام رحمته ... والعيس قد قلصّن بالأزواد
فارفضّ من عيني دمع ذارف ... مثل الجمان مفرق الأفراد
راعيت فيه قرابة موصولة ... وحفظت فيه وصية الأجداد

إلى أن يقول:

حبراً فأخبرهم حديثاً صادقاً ... عنه ورد معاشر الحسّاد
قوم يهود قد رأوا لما رأى ... ظل الغمام، وناغري الأكباد
ثاروا لقتل محمدٍ فنهاهمُ ... عنه وجاهد أحسن التجهاد(٧٤)

ويشير في هذه القصيدة إلى معجزة الغمامة التي كانت تظلل الرسول الكريم.

المجموعة الثالثة: المعجزات التي شاهدها أبو طالب من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بعد

---

(٧٣) ذكرت المصادر روايتين في الاستسقاء، احداهما أخرجها ابن عساكر في تاريخه عن جلهمة بن عرفطة، وورد ذكرها في (شرح البخاري للقسطلاني ٢/٢٢٧ والمواهب اللدينة ١/٤٨، والخصايص الكبرى ١/٨٦ و١٠٤، وشرح بهجة المحافل ١/١١٩، والسيرة الحلبية ١/١٢٥، والسيرة النبوية لزيني دحلان هامش الحلبية ١/٨٧ وطلبة الطالب ٤٢ وكذلك ذكر الشهرستاني في الملل والنحل بهامش الفصل ٣/٢٢٥ والثانية عن أنس بن مالك أخرجها الماوردي في أعلام النبوة ٧٧ والكاساني في بدايع الصنايع ١/٢٨٣، وابن أبي الحديد في شرح النهج ٣/٣١٦، وعمدة القاري ٣/٤٣٥، وشرح شواهد المغني للسيوطي ١٣٦، وسيرة زيني دحلان ١/٨٧ وأسنى المطالب ١٣، ١٤ طلبة الطالب ٤٣ ومؤمن قريش ١٢١، والبحار ٦/٣٨٨، وأبو طالب ٤٩، والامام علي صوت العدالة ٣٤ و١/٥٥ وأعيان الشيعة ٣٩/١٢٦

(٧٤) مؤمن قريش ١٣٥ عن الحجة ٧٦، والأعيان ٣٩/١٤٧ و١٤٨ ومعجم القبور ١/١٨٥، وفي الغدير ٧/٣٤٥ عن ديوان أبي طالب. ٣٣/٣٥ وتاريخ ابن عساكر ١/٢٦٩/٢٧٢ والروض الأنف ١/١٤٠ وذكر أبياتاً أخرى تتمة لها عن طريق السيوطي من طريق البيهقي في الخصايص الكبرى ١/٨٤

البعثة:

كم معجز أبصرته من أحمد ... باهلت فيه معاشر الحساد
من لصق أحجارٍ، ومزق صحيفة ... ونزول أمطار، ونطق جماد

جعفر النقدي

أ ـ شفاؤه بدعاء الرسول:

وأخرج ابن عدي عن أنس بن مالك رضي الله عنه، قال: مرض أبو طالب فعاده النبي صلى الله عليه وآله وسلم، فقال: ياابن أخي! ادع الله أن يعافيني، وفي رواية: ياابن أخي ادع الله الذي أرسلك أن يعافيني، فقال صلى الله عليه وآله وسلم: [اللهم اشف عمي]، فقام فكأنما نشط من عقال..

ويعلق السيد الهاشمي الخطيب على هذا الحديث قائلاً:

لولم ير النبي الكريم عمه أهلاً بأن يدعو الله له، مادعا له، وكذلك أبو طالب لولم يعلم أن الله يجيب دعاء ابن أخيه لما سأله، ولما كان أبو طالب يعلم أن ابن أخيه حبيب الله، وهو مؤمن بذلك كل الإيمان سأل النبي أن يدعو له بالعافية، فدعا له وعوفي بدعاء ابن أخيه(٧٥).

ورحم الله الشيخ جعفر النقدي حيث يقول:

وبشارة الأسد الهصور بنجله ... وشفائه بدعا النبي الهادي

ب ـ يوم الانذار ـ يوم الدار:

عندما نزل أمر الله على رسوله الكريم:

﴿وأنذر عشيرتك الأقربين﴾

أمر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم علياً عليه السلام، أن يدعو له بني عبد المطلب، وكانت الدعوة في دار أبي طالب، وشاهد أبو طالب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يطعم هذا الجمع الكثير من طعام قليل، معجزة لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وتكررت الدعوة مرتين.

في مجمع الفوائد عن علي: لما نزلت ﴿وأنذر عشيرتك الأقربين﴾ جمع النبي الكريم من بني عبد المطلب رهطاً كلهم يأكل الجذعة ويشرب الفرق، فصنع لهم مداً من طعام، فأكلوا

---

(٧٥) أسنى المطالب، وأبو طالب عم النبي لسيد الأهل، ومواهب الواهب في فضائل أبي طالب للشيخ جعفر النقدي

حتى شبعوا وبقي الطعام كأنه لم يمس، ثم دعا بغمر حتى رووا وبقي الشراب كأنه لم يمس، فقال: يابني عبد المطلب! إني بعثت إليكم خاصة وإلى الناس عامة، وقد رأيتم من هذه الآية مارأيتم، فأيكم يبايعني على أن يكون أخي وصاحبي في الجنة، فلم يقم إليه أحد، فقمت إليه وكنت أصغر القوم فقال لي اجلس، قال ذلك ثلاثاً، كل ذلك أقوم إليه فيقول اجلس، حتى إذا كان في الثالثة، ضرب بيده على يدي، وقال: هو أخي، وصاحبي في الجنة ـ لأحمد في مناقبه ـ ينابيع المودة ١٠٤ وفي رواية للثعلبي في تفسيره قوله صلى الله عليه وآله وسلم: [من يؤاخيني ويؤازرني ويكون وليي ووصيي بعدي، وخليفتي في أهلي ويقضي ديني].

جـ ـ لصوق الحجر بكف أبي جهل:

حاول أبو جهل أن يضرب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بحجر فتنقبض أصابعه على الحجر ـ معجزة لرسول الله ـ فيغتنم أبو طالب هذه المعجزة ليثبت لقريش صدق نبوة محمد صلى الله عليه وآله وسلم، ويخوفهم ويردهم عن غيّهم ذاكراً لهم ماجرى على الأقوام السابقة فيقول:

أفيقوا بني عمنا وانتهوا ... عن الغي في بعض ذا المنطق
وإلا فإني إذاً خائفٌ ... بوائق في داركم تلتقي
تكون لغابركم عبرة ... ورب المغارب والمشرق
كما ذاق من كان من قبلكم ... ثمود وعاد فماذا بقي
غداة أتتهم بها صرصر ... وناقة ذي العرش إذ تستقي
فحلَّ عليهم بها سخطة ... من الله في ضربة الازرق
غداة يعض بعرقوبها ... حسام من الهند ذو رونق
واعجب من ذاك من امركم ... عجائب في الحجر الملصق
بكف الذي قام في جنبه ... إلى الصابر الصادق المتقي
فأثبته الله في كفه ... على رغم ذا الخائن الأحمق
أحيمق مخزومكم إذ غوى ... لغي الغواة ولم يصدق(٧٦)

---

(٧٦) الغدير ٧/٣٣٦ و٣٣٧ عن ديوان أبي طالب ١٣ وشرح ابن أبي الحديد ٣/٣١٤، ومؤمن قريش ١٨٥ والحجة الفخار ٢٢٣ ـ ٢٢٦

د ـ الوحش يفترس عتيبة :

جاء عتيبة بن أبي لهب إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، فآذاه ونفث في وجهه ، فغضب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم واتجه إلى السماء ، قائلاً :

[اللهم ابعث عليه كلباً من كلابك]

فقال أبو طالب لعتيبة : ماكان أغناك عن هذه الدعوة ياابن أخي ، لأن أبا طالب يعلم ماسيحل بعتيبة ، لإيمانه برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأنه مستجاب الدعوة ، وفعلاً فقد سافر عتيبة بعدها مع قافلة يريد الشام فعدا عليه وحش فقتله(٧٧) معجزة لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم(٧٨) .

الصحيفة والأرضة :

وأخبر محمد صلى الله عليه وآله وسلم عمه أبا طالب : أن الأرضة أكلت من صحيفة قريش (التي علقوها في جوف الكعبة وقاطعوا بموجبها بني هاشم وحصروهم في شعب أبي طالب ثلاثة أعوام) كل قطيعة وظلم ، ولم يبق فيها إلا اسم الله عز وجل ، فكان الأمر كما كان (معجزة لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم) فخصمهم أبو طالب بهذه المعجزة(٧٩) .

وأخيراً قوله لولده علي عليه السلام ، عندما استأذنه ليدخل في الدين الإسلامي : ياولدي ! تعلم أن محمداً أمين الله منذ كان ، امض إليه واتبعه ترشد . الغدير ٣٥٦/٧ ، عن أبي بكر الشيرازي في (تفسيره) .

٣ ـ أدلة الإيمان

أولاً : مايتعلق بالعقيدة :

١ ـ قوله تعالى : ﴿ألم يجدك يتيماً فآوى﴾ . الضحى ٦

إن القول : ان أبا طالب مات على الشرك هو نسف للدين الإسلامي من أساسه ،

---

(٧٧) أبو طالب عم النبي ٤٦

(٧٨) أكرم الله عز وجل الامام جعفر بن محمد الصادق عليهما السلام بأن استجاب دعاءه ، فلما بلغه قول الحكم بن عاص الكلبي في (هجاء) عمه زيد (والسخرية والاستهزاء به) :

صلبنا لكم زيداً على جذع نخلة ولم نر مهدياً على الجذع يصلب

فدعا عليه الامام قائلاً : اللهم سلط عليه كلباً من كلابك ، فافترسه الوحش ـ ينابيع المودة ٩/٣

(٧٩) البحار ٤٢٥/٦ و ٥٢٣ والغدير ٣٦٥/٧

لأن في ذلك إساءة لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، حين ينسب إليه أنه نشأ وترعرع في بيت مشرك، وأنه عاشر مشركين، لأنه نشأ يتيماً فكفله جده عبد المطلب ثم عمه أبو طالب، فإذا كان أبو طالب مشركاً فإن الرسول (واستغفر الله) يكون قد تغذى من طعام وشراب أهل الجاهلية وفيه مايذبح لغير الله والنجس والسحت، ومن رابع المستحيلات أن ينبت جسد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم على الحرام، لما ورد في الحديث الشريف:

[كل لحم نبت من السحت فالنار أولى به] والسحت هو الحرام.

وفي رواية قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم:

[ياكعب بن عجرة! إنه لايدخل الجنة لحم ولادم نبتا على سحت النار أولى بهما][٨٠].

ولقوله تعالى:

﴿ياأيها الرسل كلوا من الطيبات واعملوا صالحاً إني بما تعملون عليم﴾. المؤمنون ٥١

وهذا يشملهم منذ ولادتهم، لأن الرسول يجب أن يكون طاهراً من طاهرين، ولأن الأنبياء والرسل لهم بعض الخصائص، قال تعالى عن يحيى عليه السلام:

﴿وآتيناه الحكم صبياً﴾ مريم ١٢

وعن المسيح عليه السلام:

﴿فأتت به قومها تحمله قالوا يامريم لقد جئت شيئاً فريا، ياأخت هارون ماكان أبوك امرأ سوء وماكانت أمك بغيا، فأشارت إليه قالوا كيف نكلم من كان في المهد صبياً، قال إني عبد الله آتاني الكتاب وجعلني نبياً، وجعلني مباركاً أين ما كنت وأوصاني بالصلاة والزكاة مادمت حياً، وبراً بوالدتي ولم يجعلني جباراً شقياً، والسلام عليَّ يوم ولدت ويوم أموت ويوم أبعث حياً﴾ مريم ٢٧ ـ ٣٢

لذلك نجد أن الله عز وجل حرّم المراضع على موسى عليه السلام، قال تعالى:

﴿وحرّمنا عليه المراضع من قبل﴾ القصص ١٢

وردّه إلى أمه ﴿كي تقر عينها ولاتحزن، ولتعلم أن وعد الله حق﴾، وليرضع حليباً طاهراً من ثدي أمه المؤمنة[٨١] ثم سخّر له ـ إمرأة فرعون ـ المؤمنة لتتولى تربيته وإطعامه من الطيبات.

---

(٨٠) أخرجه ابن حبان في (صحيحه)

(٨١) وهذه بعض الأدلة التي تثبت أن حليمة السعدية (مرضعة الرسول الكريم) لم تكن مشركة:

وكذلك مريم عليها السلام، قال تعالى:

﴿فتقبلها ربها بقبول حسن، وأنبتها نباتاً حسناً، وكفّلها زكريا، كلما دخل عليها زكريا المحراب وجد عندها رزقاً قال يامريم أنّى لك هذا، قالت هو من عند الله﴾. آل عمران ٣٧

والفتية المؤمنون (أصحاب الكهف)

قال تعالى: ﴿ فابعثوا أحدكم بورقكم هذه إلى المدينة فلينظر أيها أزكى طعاماً فليأتكم برزق منه﴾. الكهف ١٩

١ـ قول جبريل للرسول صلى الله عليه وآله وسلم: [إن الله عز وجل حرّم على النار صلباً حملك، وبطناً حملك، وثدياً أرضعك، وحجراً كفلك] ذكره أبو الفتوح الرازي في (تفسيره) القيم.أسنى المطالب هامش ٢٢

فلو لم تكن حليمة مؤمنة لما حرمها الله على النار

وفي شرح ابن أبي الحديد ٣/٣١١ قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم:

[قال لي جبرائيل: إن الله مشفعك في ستة، بطن حملتك آمنة، وصلب أنزلك عبد الله بن عبد المطلب، وحجر كفلك أبو طالب، وبيت آواك عبد المطلب، وأخ كان لك في الجاهلية]، قيل يارسول الله! وماكان فعله؟ قال: [كان سخياً يطعم الطعام ويجود بالنوال، وثدي أرضعك حليمة بنت أبي ذؤيب] الغدير ٧ /٣٧٨ وأسنى المطالب هامش ٢٤ ومؤمن قريش ٢٣٦ عن تفسير علي بن إبراهيم ٣٥٥ و٤٩٠ والحجة ٤٨

فلو لم تكن حليمة مؤمنة لما نالتها شفاعة الرسول الكريم.

٢ ـ مناقشتها مع آمنة عليها سلام الله والدة الرسول الكريم وقول آمنة لها: أتخوفت عليه الشيطان؟ قالت (حليمة) قلت: نعم، قالت (آمنة): كلا! والله ماللشيطان عليه من سبيل، وإن لبني لشأناً، أفلا أخبرك خبره، قالت حليمة قلت: بلى، قالت آمنة: رأيت حين حملت به أنه خرج مني نور أضاء لي قصور بصرى من أرض الشام، ثم حملت به، فوالله مارأيت من حمل قط كان أخف عليّ ولاأيسر منه ووقع حين ولدته وإنه لواضع يديه بالأرض رافع رأسه إلى السماء، دعيه عنك وانطلقي راشدة.

٣ ـ قول زوج حليمة لها: والله ياحليمة لقد أخذت نسمة مباركة، يعني رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: قالت: فقلت والله إني لأرجو ذلك

٤ ـ وصفها البركة التي حلت بهم بسبب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: ثم قدمنا منازل بني سعد، وماأعلم أرضاً من أرض أجدب منها، فكانت غنمي تروح عليّ حين قدمنا به معنا شباعاً لبناً، فنحلب ونشرب، ومايحلب إنسان قطرة لبن، ولايجدها في ضرع، حتى كان الحاضرون من قومنا يقولون لرعيانهم: ويلكم! اسرحوا حيث يسرح راعي بنت أبي ذؤيب (حليمة)، فتروح أغنامهم جياعاً ماتبض بقطرة لبن، ، وتروح غنمي شباعاً لُبناً فلم نزل نتعرف من الله الزيادة والخير، حتى مضت سنتاه وفصلته، وكان يشب شباً لايشبه الغلمان، فلم يبلغ سنتيه حتى كان غلاماً جفراً.

قالت: فقدمنا به على أمه ونحن أحرص شيء على مكثه فينا لما نرى من بركته ـ ابن هشام ١/١٧٢ إلى ١٧٥

٥ ـ وقد مرّ معنا سابقاً خوفها على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من نصارى الحبشة الذين سألوها عنه بعد أن نظروا إليه وقلبوه، وقالوا: لنذهبن به إلى ملكنا وبلدنا، فإن هذا الغلام كائن له شأن نحن نعرف أمره ـ وكان هذا أحد الأسباب التي دعت حليمة لإعادته لأمه ـ راجع سيرة ابن هشام الجزء الأول ص ١٦٧ ومابعدها

ومرّ معنا أيضاً كيف أن حاضنته أم أيمن رضوان الله عليها، خافت عليه صلى الله عليه وآله وسلم من اليهود عندما كان طفلاً يزور أخواله في المدينة

دقق النظر في (أزكى طعاماً)، فالمؤمن لايأكل إلا الطيب والطاهر والزكي، لأن (الإنسان ابن غذائه).

ولقد منّ الله عز وجل على رسوله الكريم، فآواه عند مؤمنين موحدين، إذ لو كانوا مشركين لما خلد ذكرهم في مجال التكرم من الله عز وجل، قال تعالى:

﴿ألم يجدك يتيماً فآوى﴾. الضحى ٦

قال الشيخ محمد عبده: وكان صلى الله عليه وآله وسلم يتيماً، لأن والده توفي في المدينة وهو حملٌ في بطن أمه، فلما وضعته عطّف الله عليه قلب جده عبد المطلب، وقلب مرضعته حليمة على يتمه، وكفله جدّه خير كفالة، ثم مات جده وهو في سن ثمان سنين، فكفله عمه أبو طالب بوصية (أبيه عبد المطلب)، وكان شديد العناية به في صغره، عظيم المحبة له في كبره، ومازال يحميه وينصره بعد أن أكرمه الله بالنبوة حتى قبض، وتجرأت قريش على النبي صلى الله عليه وآله وسلم بعد موت عمه، حتى اضطرته إلى الهجرة إلى المدينة، فذلك إيواء الله لنبيه وهو يتيم[٨٢].

٢ ـ إن القول: ان أبا طالب ناصر محمداً حمية لأنه ابن أخيه، هو تكذيب لقوله تعالى لنبيه الكريم: ﴿هو الذي أيدك بنصره وبالمؤمنين﴾. الأنفال ٦٣

ولم يؤيده بعصبية جاهلية جاء الدين الإسلامي حرباً عليها، وهذه البدعة ترديد لما يفتريه الكفار والمبشرون على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وعلى الدين الإسلامي الحنيف

٣ ـ إن القول: ان أبا طالب مات على الشرك، طعن برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، لأنه يشير إلى أن الرسول الكريم خالف أمر ربه عزّ وجل في عدة آيات، منها قوله تعالى لنبيه الكريم:

﴿وأعرض عن المشركين﴾. الحجر ٩٤، الأنعام ١٠٦

وقوله تعالى:

﴿ماكان للنبي والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين ولو كانوا أولي قربى﴾. التوبة ١١٣

﴿ياأيها الذين آمنوا لاتتخذوا آباءكم وإخوانكم أولياء إن استحبوا الكفر على الإيمان ومن يتولهم منكم فأولئك هم الظالمون﴾. التوبة ٢٣

---

(٨٢) تفسير جزء عمّ ١١٤

﴿لاتجد قوماً يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله ولو كانوا آباءهم أو أبناءهم أو إخوانهم أو عشيرتهم أولئك كتب في قلوبهم الإيمان وأيدهم بروح منه﴾. المجادلة ٢٢

وثبت بالاجماع أن الرسول صلى الله عليه وآله وسلم كان يحب عمه حباً شديداً ويتولاه ويوده ويذكره بكل خير ويستغفر له ويترحم عليه واستمر في ذلك حتى بعد وفاة أبي طالب، وقد ورد «من تولى المشرك فهو مشرك» كما روي عن الحسن بن علي عليهما السلام، وورد في الحديث الشريف: [يحشر المرء مع من أحب]، [والمرء مع من أحب]، [أنت مع من أحببت](٨٣).

٤ ـ المحبة:

كانت المحبة الصافية الصادقة متبادلة بين أبي طالب ومحمد صلى الله عليه وآله وسلم، محبة تدل على أن أبا طالب بلغ ذروة الإيمان، خاصة وأن محبة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم له استمرت بعد وفاته:

أ ـ أخرج أبو نعيم وغيره عن ابن عباس رضي الله عنهما، قال: كان أبو طالب يحب النبي صلى الله عليه وآله وسلم حباً شديداً لايحب أولاده مثله ولذا لاينام إلا إلى جنبه ويخرجه معه حين يخرج.

ويقول البر زنجي: تواترت الأخبار أن أبا طالب كان يحب النبي صلى الله عليه وآله وسلم ويحوطه وينصره، ويعينه على تبليغ دينه، ويصدقه فيما يقول، ويأمر أولاده كجعفر وعلي باتباعه ونصرته، وكان يمدحه في أشعاره ممايدل على تصديقه، وكان ينطق بأن دينه حق.

ب ـ وعن ابن عباس: وكان النبي الكريم يحب أيضاً أبا طالب حباً شديداً، لايأوي إلا إليه، ولايطمئن قلبه إلا باتصاله به(٨٤).

جـ ـ ويقول السيد فخار بن معد:

وأما حب النبي صلى الله عليه وآله وسلم لعمه أبي طالب وميله إليه وتحننه فأبين من فرق الصبح وأوضح من الضحى(٨٥).

د ـ الفاقة تغزو أبا طالب:

---

(٨٣) رواه أحمد وابن خزيمة والنسائي والبيهقي عن أنس

(٨٤) أسنى المطالب ١٤

(٨٥) الحجة ١٧٤

قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لعمه العباس:

[ياأبا الفضل! إن أخاك ـ يقصد أبا طالب ـ كثير العيال، مختل الحال، ضعيف النهضة والعزيمة، وقد نزل به مانزل من هذه الأزمة، وذوو الأرحام أحق بالرفد، وأولى بحمل الكل في ساعة الجهد، فانطلق بنا إليه لنعينه على ماهو عليه، فلنحمل عنه بعض أثقاله ونخفف عنه من عياله، يأخذ كل واحد منا واحداً من بنيه، ليسهل ذلك عليه بعض ماينوء فيه] فقال العباس: نعم مارأيت، والصواب فيما أتيت، وهذا والله الفضل الكريم والوصل الرحيم، فلقيا أبا طالب فصبراه، ولفضل آبائه ذكّراه، وقالا له:

«[إنا نريد أن نحمل عنك بعض المال، فادفع إلينا من أولادك من تخف عنك به الأثقال]» فقال أبو طالب: إذا تركتما لي عقيلاً وطالباً، فافعلا ماشئتما.

فأخذ العباس جعفراً، وأخذ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم علياً، فانتجبه لنفسه، واصطفاه لمهم أمره، وعوّل عليه في سره وجهره، وهو مسارع لمرضاته، موفق للسداد في جميع حالاته(٨٦).

ونورد الحديثين التاليين للدلالة على دوام محبته صلى الله عليه وآله وسلم لعمه بعد موته:

قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لعلي عليه السلام:

[ليس أحد أحق بمقامي منك، لقدمك في الإسلام، وقربك مني، وصهرك لي، عندك فاطمة سيدة نساء المؤمنين، وقبل ذلك ماكان من حماية أبيك أبي طالب وبلائه عندي حين نزل القرآن، وأنا حريص أن أرعى ذلك في ولده بعده](٨٧).

وقال صلى الله عليه وآله وسلم لعقيل بن أبي طالب رضوان الله عليه:

[ياأبا يزيد، أنا أحبك حبين، حباً لك، وحباً لأبي طالب لأنه يحبك]. وفي رواية «ياأبا زيد»(٨٨).

وقال جمال الدين الاشخر اليمني في (شرح البهجة) عند شرح الحديث: ومن شأن المحب محبة حبيب الحبيب، ألا تعجب من حب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أبا طالب إن لم يكن معتنقاً بدينه ـ العياذ بالله ـ ومن اعرابه عنه بعد وفاته، ومن حبه عقيلاً لحب أبيه

---

(٨٦) الحجة ١٧٩ و١٨١ وينابيع المودة ١/١٥٠ بإبدال العباس بالحمزة

(٨٧) ينابيع المودة ٢/١٤١، والغدير ٧/٣٨٨ عن الحافظ الكنجي في الكفاية ٦٨

(٨٨) ينابيع المودة ١/١٥٣

إياه[٨٩].

٥ ـ قوله تعالى مخاطباً نبيه الكريم:

﴿ووجدك ضالاً فهدى﴾. الضحى ٧

يعلق الشيخ محمد عبده حول هذه الآية: نشأ صلى الله عليه وآله وسلم موحداً لم يسجد لصنم، وطاهر الخلق لم يقترف فاحشة حتى عرف بين قومه بالأمين، فضلال الشرك، وضلال الهوى في العمل كانا بعيدين عن ذاته الكريمة، يرهبان الدنو من نفسه القويمة، نزهه الله عنهما في أول أمره ليعلي منزلته عند من يرسل إليهم فيسمعوا قوله، ويهتدوا بهديه[٩٠].

أقول: هذا صحيح أكيد، فقد وجد صلى الله عليه وآله وسلم جو الإيمان والطهارة في بيت جده عبد المطلب وعمه أبي طالب فلم تلوثه الجاهلية.

٦ ـ لم يكن القول بعدم إيمان أبي طالب موجوداً في زمن الخلفاء الثلاثة أبي بكر وعمر وعثمان رضي الله عنهم، وإنما وجد بعد ذلك، وإلى هذا أشار سبط ابن الجوزي بقوله:

وأيضاً لم يؤرخ أحد من أعداه استياء ولده بأن أباك من الكفّار، هذا معاوية أعدى أعدائه ومنازعيه، وهذا عمرو بن العاص، وهذا عبد الله بن الزبير، وهذا مروان وغيرهم، مع قدحهم فيه عليه السلام، وإسنادهم ورميهم إليه ماهو بريء منه، وماعابوه وماشنّعوا بذلك، وهو عليه السلام يذكرهم بكفر الآباء والامهات، ورذالة النسب، وما قابلوه بالمثل، بل هو أقوى شاهد على إسلامه، وعلى شدة تعصب من أسند الكفر إليه من العامة[٩١].

وقد ذكرنا هذا الدليل لتعلقه بالعقيدة، فقد قال صلى الله عليه وآله وسلم:

[من كذب عليَّ متعمداً فليتبوأ مقعده من النار][٩٢].

٧ ـ «بغض أبي طالب كفر»

يقول السيد زيني دحلان: إن الوقوع في تنقيص أبي طالب، وبغضه، إيذاء للنبي صلى الله عليه وآله وسلم وقد قال تعالى: ﴿إن الذين يؤذون الله ورسوله لعنهم الله في الدنيا والآخرة وأعد لهم عذاباً مهيناً﴾. الأحزاب ٥٦

---

(٨٩) كنز العمال ٩/٨٤، ٢٤٦ و٥٢، ٢٥٥ والغدير ٧/٣٧٦

(٩٠) تفسير جزء عمّ ١١٤

(٩١) تذكرة الخواص ١١

(٩٢) ينابيع المودة ١/٥٨ و٢/٣٤ عن علي عليه السلام أخرجه الترمذي وقال: حسن صحيح

وقال تعالى: ﴿والذين يؤذون رسول الله لهم عذاب أليم﴾. التوبة ٦١

وقد ذكر الامام أحمد بن الحسين الموصللي المشهور بـ (ابن وحشي) في (شرحه) على الكتاب المسمى (شهاب الأخبار) للعلامة محمد بن سلامة القضاعي المتوفى سنة ٤٥٤ هـ: ان بغض أبي طالب كفر، ونصّ على ذلك أيضاً من أئمة المالكية العلامة علي الأجهوري في (فتاويه) والتلمساني في (حاشيته على الشفا)، فقال: عند ذكر أبي طالب لاينبغي أن يذكر إلا بحماية النبي صلى الله عليه وآله وسلم لأنه حماه، ونصره بقوله، وفعله، وفي ذكره بمكروه أذية للنبي صلى الله عليه وآله وسلم، ومؤذي النبي كافر، والكافر يقتل، وقال أبو الطاهر: من أبغض أبا طالب فهو كافر.

والحاصل: أن إيذاء النبي صلى الله عليه وآله وسلم كفر يقتل صاحبه إن لم يتب، وعند المالكية يقتل وإن تاب...

وروى الطبراني والبهيقي، ان ابنة أبي لهب واسمها سبيعة وقيل: درة، قدمت المدينة مسلمة مهاجرة، فقيل لها، لاتغني عنك هجرتك، وأنت بنت حطب النار، فتأذت من ذلك فذكرته للنبي صلى الله عليه وآله وسلم، فاشتد غضبه، ثم قام على المنبر فقال:

[مابال أقوام يؤذونني في نسبي وذوي رحمي، فمن آذى نسبي وذوي رحمي، فقد آذاني ومن آذاني فقد آذى الله تعالى].

وأخرج ابن عساكر عن علي عليه السلام أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: [من آذى شعرة مني فقد آذاني ومن آذاني فقد آذى الله تعالى]، فبغض أبي طالب والتكلم فيه يؤذي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، ويؤذي أولاده الموجودين في كل عصر، وقد قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: [لاتؤذوا الأحياء بسب الأموات](٩٣).

ثانياً: «الأدلة البدهية»

وكان وجود أبي طالب لنصرة الرسول ضرورة من ضرورات الخلقة ومبدأ لابد منه لظهور البعثة وانتشار الدعوة.

عبد العزيز سيد الأهل

---

(٩٣) اسنى المطالب ٤٢ - ٤٣

أبو طالب لم يكن مشركاً:

لما كان الانسان مخلوقاً، فهو بحاجة لأن يعبد الخالق، وبحاجة إلى دين يدله على هذا الخالق ويربطه به، فالانسان المؤمن، يعبد الله عز وجل، إلهاً واحداً، لاشريك له وهو على كل شيء قدير.

ومن كان في الضلالة، فإنه يعبد ماشاء من دون الله عز وجل، من صنم أو مادة أو هوى أو غير ذلك، فلو كان أبو طالب يعبد الأوثان والأصنام، ويعتقد بها لما رضي أن يحطمها محمد صلى الله عليه وآله وسلم، ويعيبها ويذكرها بكل سوء، ويدعو إلى نبذها، وذلك طوال عشرة أعوام وهي الفترة التي عاشها أبو طالب، مع الرسول صلى الله عليه وآله وسلم بعد البعثة، إذن فأبو طالب لم يكن مشركاً ولا كافراً، ولم يكن راضياً عن الشرك والكفر أو داعياً لهما.

أبو طالب على ملة إبراهيم:

ذكرنا أن الانسان لابد له من خالق يعبده، ولابد له من دين يتبعه، وثبت أن أبا طالب لم يكن كافراً، ولامشركاً، فما هو الرب الذي يعبده؟! وماهو الدين الذي كان يتبعه؟!... نعم لقد كان يعبد الله عز وجل وحده لاشريك له، وكان على ملة إبراهيم (الحنيفية)، ومما يؤكد ذلك:

١ ـ قول الامام علي بن أبي طالب عليه السلام: والله ماعبد أبي ولاجدي عبد المطلب ولاهاشم ولاعبد مناف صنماً قط، قيل له فما كانوا يعبدون، قال: كانوا يصلّون إلى البيت على دين إبراهيم عليه السلام، متمسكين به.

ب ـ قول ابن أبي الحديد: إن أبا طالب كان من المتألهين أصحاب الورع والتحرج عن القبايح[٩٤].

جـ ـ قول السيد البرزنجي ودحلان:

فالظاهر أن أبا طالب كان على ملة آبائه ـ ملة إبراهيم عليه السلام ـ ولو عبد أبو طالب صنماً يلزم أن يكون أول من أشرك من هذه السلسلة المباركة (والأصل عدم ذلك)، فهو تبع لعبد المطلب في كل أحواله من مكارم الأخلاق، وحماية الذمار والرياسة، حتى خرج من الدنيا وهو على ملة عبد المطلب، وهذا هو الذي أشار إليه أبو طالب لما قال لكفار قريش

---

(٩٤) شرح النهج ١/٣٦

«هو على ملة عبد المطلب» فخاطبهم بكلام مجمل له محمل صحيح يخرجه عن الشرك، ويدخله في زمرة الموحدين، لما ستعلمه من مناقب عبد المطلب الدالة على أنه كان موحداً، وعمّى عليهم الأمر ليبقى جاهه وحمايته عندهم[٩٥].

د ـ قول السيد عبد العزيز سيد الأهل:

أما بنو عبد مناف وبنو زهرة، فقد جعلوا مجالسهم في شق الباب ـ أي باب الكعبة شرّفها الله ـ وانضووا جميعاً تحت لواء أبي طالب، ولم يكن لهم شأن بالآلهة والأصنام، وإنما سدنة الكعبة وحراسها، وعليهم سقاية الحجيج ورفده، فله ولقومه الباب، وللناس الجدران والظهور.

ويستطرد قائلاً: وعند بناء الكعبة اشترط أبو طالب، أن لايدخل في بنائها لبنة ولاطينة إلا من كسب طيب، ولاينفق عليها من كسب امرأة بغي، ولامن ربح جاء من ربا، ومال كانت فيه مظلمة لأحد من الناس، ولايرش على طينها ماء إلا في إناء مطهر، ولايحمله إلا كل كريم شريف[٩٦].

هـ ـ حمده لله عز وجل، وتعظيمه له والثناء عليه في كل مناسبة:

فقد افتتح خطبته التي ألقاها عندما طلب يد زوجته فاطمة بنت أسد بن هاشم رضوان الله عليها بقوله: «الحمد لله رب العالمين، رب العرش العظيم، والمقام الكريم، والمشعر والحطيم».

وكذلك فعل عندما خطب خديجة بنت خويلد، أم المؤمنين رضوان الله عليها فقال: «الحمد لله الذي جعلنا من ذرية إبراهيم وزرع إسماعيل».

وعندما تم عقد قران محمد صلى الله عليه وآله وسلم على خديجة عليها السلام، قال أبو طالب عليه السلام: «الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات».

وفي رواية «الحمد لله الذي أذهب عنا الكرب ودفع عنا الهموم».

٣ ـ كفالته لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم:

أبو طالب كفل المصطفى ... ودافع عنه وجافى المجافي

فقد انفرد أبو طالب، بكفالة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم، بعد وفاة جده عبد

---

(٩٥) اسنى المطالب ٣٠

(٩٦) أبو طالب عم النبي ١٧

المطلب، وكان عمره ثمانية أعوام، وقام بهذه الكفالة خير قيام، حتى أن المشركين، كانوا يقولون عن محمد صلى الله عليه وآله وسلم (يتيم أبي طالب) وهو لم يقم بهذه الكفالة القيام الحسن لأن محمداً ابن أخيه فحسب، وإنما لعلمه أنه هو النبي المبعوث رحمة للعالمين، ألم تسمع إلى قوله في إحدى قصائده:

راعيت فيه قرابة موصولة وحفظت فيه وصية الأجداد

٤ ـ عدم تكذيبه للرسول صلى الله عليه وآله وسلم:

آ ـ أجمعت أقوال الموافقين والمخالفين: أن أبا طالب لم يكذّب لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، قولاً ولم يفند له رأياً، ولم يسّفه له معتقداً، ولم يردّ له طلباً، منذ ولد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وبعد مبعثه إلى وفاة أبي طالب.

ب ـ أبو طالب ينفي عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم تهمة الكذب:

ألم تسمع قسمه لقريش: «والله ماكذب ابن أخي قط»

وقوله لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عن قريش: «زعموا أنك تؤذيهم»!!؟ فعليك سلام الله أيها المؤمن الصادق كيف علمتنا الأدب مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

جـ ـ إن أبا طالب كان يطلق على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم (الصادق، والناصح الأمين) ويكرر ذلك في كل مناسبة، المرة تلو المرة، ليرسخ ذلك في أذهان المشركين الذين كانوا يتهمونه بالكذب كما يتضح من معجزة الأرضة والصحيفة، ومعجزة السبع الذي قتل عتيبة، ألم تسمع لقوله عن النبي الكريم: «حدثني ابن أخي وكان والله صادقاً» انظر أيها القارىء الكريم إنه يقسم على صدقه.

وقوله: «ومحمد عندي الصدوق الأمين»

وقوله في وصيته لقريش: «وإني أوصيكم بمحمد خيراً فهو الأمين في قريش، والصدّيق في العرب»

وقوله مخاطباً لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في إحدى قصائده:

ودعوتني وعلمت أنك ناصحي ولقد صدقت وكنت ثم أمينا

٥ ـ حمايته لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وللمسلمين:

فقد اشتهر بين الخاص والعام، وبين المحب والمبغض، أن أبا طالب نصر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وحفظه ودافع عنه، ورد عنه كيد الكائدين، وحسد الحاسدين،

ومكر الماكرين، ودسائس الحاقدين، وبذل في سبيل ذلك كل غال ورخيص، وتحمل في سبيل ذلك من الصعوبات والمشاق مالايمكن لعقل بشر أن يتصوره، سيد البطحاء، وزعيم قريش، ساقي الحجيج، تصل به الحال أن يأكل الخبط وورق الشجر عندما حصرته قريش مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، في شعب أبي طالب العام السابع للبعثة، ودام الحصار ثلاثة أعوام، كل ذلك دفاعاً عن رسول الله وعن المسلمين، إنه الإيمان الصحيح المقرون بالعمل ﴿آمنوا وعملوا﴾.

٦ ـ النفس الكبيرة:

وإذا كانت النفوس كباراً تعبت في مرادها الأجسام

من فضل الله عز وجل على أبي طالب أن هيأ له عوامل وأعطاه قابليات أهلته لحمل المهمة الخطيرة (الإيمان بالله عز وجل وبرسوله صلى الله عليه وآله وسلم وحماية الرسول الكريم والدفاع عنه وعن المسلمين، والتبشير بالدين الإسلامي) فقام بالمهمة خير قيام، ومن هذه العوامل:

الوراثة: فقد ورث عن أبيه، كل خصال الخير والفضائل، والخلق القويم، والبعد عن السفاسف والرذائل، وصدق الله عز وجل:

﴿ذرية بعضها من بعض والله سميع عليم﴾. آل عمران ٣٤

البيئة: عاش أبو طالب مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم نصف قرن، ثمانية أعوام مع جد الرسول عبد المطلب، وعشرة أعوام بعد البعثة، فاكتسب منه، الخلق المحمدي والشمائل الحلوة والخصال الحميدة، والإيمان الصحيح، وأبو طالب أهل لأن يتقبل ذلك، فـ «المرء من جليسه والطبع سّراق»

عقل الفتى ممن يجالسه الفتى فاجعل جليسك أعقل الجلساء

وقال آخر:

إذا كنت في قوم فصاحب خيارهم ولاتصحب الأردى فتردى مع الردي

عن المرء لاتسأل وسل عن قرينه فكل قرين بالمقارن يقتدي

فنتج عن ذلك أن هذه النفس الكبيرة والشخصية العالية التي منحها الله عز وجل لعبده الصالح أبي طالب، بعدت به عن الشرك والكفر فأبعدت صاحبها عن الحسد والجشع والطمع والغرور، فلم تستطع عادات الجاهلية القبيحة أن تستولي عليه، وإنما أسلم قياده

للحق، فانطلقت أقواله وأفعاله عن إسلام صحيح صادق طوّق تلك الشخصية النادرة، وإيمان عميق مبصر توج ذلك الإسلام.

وهكذا سعد أبو طالب بخدمة محمد صلى الله عليه وآله وسلم:

وإذا سخر الإله أناساً لسعيد فإنهم سعداء

ثالثاً «الأدلة العقلية والنقلية»

المجموعة الأولى: الأدلة الفقهية:

أ ـ بقاء فاطمة بنت أسد على عصمة أبي طالب:

وإلى هذا أشار الامام السجّاد علي زين العابدين بن الحسين عليهما السلام حين قيل له:

إن هاهنا قوماً يزعمون أن أبا طالب كافر، فأجاب عليه السلام:

واعجباً كل العجب! يطعنون على أبي طالب أوعلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وقد نهاه الله تعالى أن يقر مؤمنة مع كافر في غير آية من القرآن، ولايشك أحد أن فاطمة بنت أسد رضي الله عنها من المؤمنات السابقات، فإنها لم تزل تحت أبي طالب حتى مات أبو طالب رضي الله عنه(٩٧).

ومعلوم أنه لايجوز أن تكون المسلمة زوجة لكافر أومشرك، وذكر السيد عبد العزيز سيد الاهل في كتابه أبوطالب عم النبي/٩: إن هذا الحكم كان موجوداً في حياة أبي طالب قال: وعند خروج بني هاشم من الشعب حرّم الدين الجديد المشركة على المسلم، والمشرك على المسلمة.

ب ـ عن الامام الباقر عليه السلام:

ألم تعلموا أن أمير المؤمنين علياً عليه السلام كان يأمر أن يحج عن عبد الله والد الرسول وآمنة والدة الرسول وأبي طالب في حياته، ثم أوصى في وصيته بالحج عنهم. ٣٨٣/٧ الغدير

أقول: (وغير المسلم لايحج عنه)

جـ ـ روى ابن معد في كتابه (الحجة) ٢٢ من طريق شيخنا الصدوق عن داود الرقي قال:

دخلت على أبي عبد الله عليه السلام ولي على رجل دين، وقد خفت نواه، فشكوت

---

(٩٧) الغدير ٧/ ٣٨٠ عن ابن أبي الحديد ٣١٢/٣ والحجة ١٢٣ وشيخ الأبطح ٧٦ وأعيان الشيعة ١٣٦/٣٩ و١٣٧

ذلك إليه، فقال: إن مررت بمكة فطف عن عبد المطلب طوافاً وصل عنه ركعتين، وطف عن أبي طالب طوافاً وصل عنه ركعتين، وطف عن عبد الله طوافاً وصل عنه ركعتين، وطف عن آمنة طوافاً وصل عنها ركعتين، وطف عن فاطمة بنت أسد طوافاً وصل عنها ركعتين، ثم ادع الله عز وجل أن يرد عليك مالك، قال: ففعلت ذلك، ثم خرجت من باب الصفا فإذا غريمي واقف يقول: ياداود جئني هناك فأقضي حقك. الغدير ٣٩٣/٧

أقول: (وغير المسلم لايطاف عنه ولايصلى عنه)

المجموعة الثانية: أحاديث الفوز والنجاة

أ ـ حديث تحريم النار:

عن علي بن حسان عن عمه عبد الرحمن بن كثير قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول:

«نزل جبريل على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال: يامحمد! **إن الله تعالى يقرئك** السلام، ويقول لك: إني حرّمت النار على صلب أنزلك، وعلى بطن حملك، وحجر كفلك، فقال: ياجبريل! من تقول ذلك؟ قال: أما الصلب الذي أنزلك فصلب عبد الله ابن عبد المطلب وأما البطن الذي حملك، فآمنة بنت وهب، وأما الحجر الذي كفلك فعبد مناف بن عبد المطلب وفاطمة بنت أسد»(٩٨).

ويعلق السيد فخار على هذا الحديث قائلاً:

وعبد مناف بن عبد المطلب هو: أبو طالب رضي الله عنه، فكيف يحرم الله النار على هؤلاء المذكورين وهم به مشركون، وبوحدانيته كافرون، والله تعالى يقول:

﴿إن الله لايغفر أن يشرك به ويغفر مادون ذلك لمن يشاء﴾. النساء / ٤٨ ـ ١١٦

فتأمل هداك الله هذه الأخبار، فإنها دالة على أن القوم لله تعالى عارفون، وبوحدانيته مؤمنون.

وقد ذكر أبو الفتوح الرازي في تفسيره القيّم:

(إن الله عزّ وجل حرّم على النار صلباً حملك، وبطناً حملك، وثدياً أرضعك، وحجراً

---

(٩٨) الحجة ٥٥ والغدير ٣٧٨/٧ عن التعظيم والمنة للسيوطي ٢٥

كفلك)، مراده أبو طالب صلوات الله وسلامه عليه[٩٩].

وأخرج تمام الرازي في (فوائده) باسناده عن عبد الله بن عمر قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم:

[إذا كان يوم القيامة شفعت لأبي وأمي وعمي أبي طالب وأخٍ لي كان في الجاهلية].

وفي تاريخ اليعقوبي: ٢/٢٦ روي عنه صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال:

[إن الله عزّ وجل وعدني في أربعة في أبي وأمي وعمي وأخٍ كان لي في الجاهلية][١٠٠].

وفي شرح ابن الحديد ٣/٣١١ قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم:

[قال لي جبرائيل: إن الله شفعك في ستة: بطن حملتك آمنة، وصلب أنزلك عبد الله بن عبد المطلب، وحجر كفلك أبو طالب، وبيت آواك عبد المطلب، وأخ كان لك في الجاهلية.][١٠١] الخ.

قيل يارسول الله: وما كان فعله؟ قال: [كان سخياً يطعم الطعام ويجود بالنوال]، وثدي أرضعك: حليمة بنت ذؤيب[١٠١].

ب ـ حديث كل الخير أرجو:

عن عبد الله عن العباس بن عبد المطلب رضي الله عنهم أنه سأل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فقال ماترجو لأبي طالب؟ فقال:

[كل خير أرجو من ربي]

فلولا علم النبي الكريم بإيمان عمه أبي طالب، ما كان يرجو له كل الخير من ربه تعالى، مع ما أخبره الله تعالى من خلود الكفار في النار، وحرمان الله تعالى لهم الخيرات، وتأبيدهم في العذاب على وجه الاستحقاق والهوان ويعلق السيد دحلان على هذا الحديث، قائلاً:

ورجاؤه صلى الله عليه وآله وسلم محقق، ولا يرجو كل خير إلا لمؤمن ولا يجوز أن يراد بهذا ما

---

(٩٩) هامش ٢٢ من أسنى المطالب

(١٠٠) الغدير ٧/٣٧٨ عن ذخائر العقبي ٧ والدرج المنيفة للسيوطي ٧ ومسالك الحنفا ١٤، وقال فيه: أخرجه أبو نعيم وغيره، وفيه التصريح: بأن الأخ من الرضاعة، فالطرق عديدة يشد بعضها بعضا، فإن الحديث الضعيف يتقوى بكثرة طرقه وأمثلها حديث ابن مسعود فإن الحاكم صححه.

(١٠١) الغدير ٧/٣٧٨ وأسنى المطالب هامش ٢٤، ومؤمن قريش ٢٣٦ عن تفسير علي بن إبراهيم ٣٥٥/٤٩٠ والحجة ٤٨

حصل له من تخفيف الشر وبعض الشر أهون من بعض، وحصول كل الخير انما يكون بدخول الجنة(١٠٢).

وقد أحسن من قال:

وكل خير ترجّاه النبي له ... وهو الذي قط ما خابت أمانيه

جـ. حديث الشفاعة:

وقف رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم على قبر عمه عند وفاته، وقال:

[أمَ والله لأشفعن لعمي شفاعة يعجب بها أهل الثقلين](١٠٣).

ومن الأمور المسلم بها أن شفاعته صلى الله عليه وآله وسلم لاتنال كافراً ولا مشركاً وإنما هي للمؤمنين، فقد قال صلى الله عليه وآله وسلم [إني أخرت شفاعتي لأمتي، وهي بالغة إن شاء الله من مات لا يشرك بالله شيئاً].

فهذا دليل أكيد وقاطع على إيمان عمه.

د ـ حديث أنا وكافل اليتيم:

قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم:

[أنا وكافل اليتيم كهاتين في الجنة] وأشار بأصبعيه وقرن بينهما.

هذا الحديث الشريف يشمل كافل المصطفى عمه أبا طالب الذي أحسن كفالته ورعايته حتى اشتهر محمد صلى الله عليه وآله وسلم بين قريش وعرف بـ /يتيم أبي طالب/.

فأبو طالب لم يدعّ اليتيم ولم يقهره، ولم يرتكب أي مخالفة شرعية حتى يحرم من أجره أو ينقص منه، بل على العكس لقد قام بالمهمة خير قيام حين أكرمه الله عز وجل وعبد المطلب بكفالة محمد صلى الله عليه وآله وسلم، قال تعالى مخاطباً رسوله الكريم:

﴿ألم يجدك يتيماً فآوى﴾. الضحى /٦

---

(١٠٢) أسنى المطالب ٤٥ عن طبقات ابن سعد وفي الغدير ٣٧٣/٧ عنه وعن ابن عساكر في الخصايص الكبرى ٨٧/١، والدينوري في نهاية الطالب والطرائف وابن أبي الحديد في (شرح النهج) ٣١١/٣ والسيوطي في التعظيم والمنة ٧ عن ابن سعد ومؤمن قريش ٢٧٣ عن تذكرة الخواص ١٠ ومعجم القبور ١٨٩/١ وأعيان الشيعة ١٣٦/٣٩ والحجة ٧٢ عن شمس الدين الذهبي في تاريخ الاسلام ١٣٨/١

(١٠٣) والحجة ٢٦٥ عن ابن سعد في الطبقات ١٠٥/١، والبيهقي في دلائل النبوة والغدير ٣٨٦/٧ عن الشيخ المفيد، وسبط ابن الجوزي. في تذكرة الخواص ١٠ وابن أبي الحديد في شرح نهج البلاغة ٣١٤/٣ والسيرة الحلبية ٣٧٣/١٠ وتاريخ ابن كثير ٣/١٢٥ والاصابة ١١٦/٤ وشرح شواهد المغني ١٣

فأي جزاء يلقى من كفل سيد البشر وفخر ربيعة ومضر، محمد بن عبد الله رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم؟ إنه الجزاء الأوفى «الجنة»، مع الأنبياء والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقاً.

ويقول السيد فخار: وقد كنت سمعت جماعة من أصحابنا العلماء مذاكرة يروون عن الأئمة الراشدين من آل محمد صلوات الله عليهم انهم سئلوا عن قول النبي المتفق على روايته المجمع على صحته: [أنا وكافل اليتيم كهاتين في الجنة] فقالوا: أراد بكافل اليتيم عمه أبا طالب لأنه كفله يتيماً من أبويه، ولم يزل شفيقاً حدباً عليه(١٠٤).

المجموعة الثالثة: وهي وقائع من السيرة النبوية مايتعلق بقوله تعالى لنبيه الكريم:

﴿وأعرض عن المشركين﴾. الحجر ٩٣، الأنعام ١٠٦

عدم الأكل من المشركين:

آ ـ كان عقبة بن أبي معيط يكثر مجالسة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، واتخذ ضيافة فدعا إليها رسول الله فأبى أن يأكل من طعامه حتى ينطق بالشهادتين، ففعل(١٠٥).

فكيف يأكل ويشرب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مع عمه أبي طالب طوال السنين العشرة بعد البعثة لو لم ينطق بالشهادتين.

ب ـ عدم الجلوس على فراش المشركين: عندما ذهب أبو سفيان إلى المدينة المنورة، يلتمس تمديد /صلح الحديبية/، فدخل على ابنته أم حبيبة بنت أبي سفيان(*)، فلما ذهب ليجلس على فراش رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم طوته عنه، فقال: يابنية! ماأدري! أرغبت بي عن هذا الفراش، أم رغبت به عني؟ قالت: بل هو فراش رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وأنت رجل مشرك نجس، ولم أحب أن تجلس على فراش رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم(١٠٦)

فكيف كان يجلس وينام رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مع عمه أبي طالب تلك السنين الطويلة، عشرة بعد البعثة منها ثلاث سنوات في /حصار الشعب/ حيث كان

---

(١٠٤) الحجة ١٤٢ و١٤٣

(١٠٥) الغدير ٨/٢٧٧، لكن عقبة بتحريض من أبي بن خلف ارتدّ ونال من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فضرب عنقه علي بن أبي طالب عليهما السلام بعد غزوة بدر، معجزة لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حيث كان قال له: [إن وجدتك خارجاً من جبال مكة أضرب عنقك] (١٠٦) سيرة ابن هشام ٣/٣٩٦

(*) ام حبيبة رضي الله عنها أم المؤمنين زوجة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم.

يلازمه.

جـ ـ عدم قبول هدية المشرك: قدم البراء بن عامر بن صعصعة على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم المدينة، وأهدى له هدية، فأبى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أن يقبلها، وقال: [ياأبا براء! لاأقبل هدية مشرك، فأسلم أن أردت أن أقبل هديتك][107].

د ـ عدم الاستعانة بغير المسلمين:

في غزوة أحد لم يقبل الرسول صلى الله عليه وآله وسلم طلب اليهود لمساعدته، لأنهم رفضوا أن يسلموا، وقال:

[فانا لا نستنصر بأهل الكفر على أهل الشرك][108].

فكيف كان يستنصر بعمه على أهل الشرك لولم يكن مؤمناً، ولأبي طالب مواقف تذكر فتشكر.

هـ ـ رد جوار المشرك:

عند عودته صلى الله عليه وآله وسلم من الطائف دخل مكة المكرمة بجوار المطعم بن عدي ليطوف بالكعبة شرفها الله، ثم رد عليه جواره، لأنه لم يسلم وقال:

[إني لأكره أن أقيم في جوار مشرك لأكثر من يوم][109] وفي رواية لثلاثة أيام.

فكيف بقي بجوار عمه هذه المدة الطويلة؟!!!

و ـ حديث: [اللهم لاتجعل لفاجر ولالفاسق عندي نعمة][110].

هكذا دعا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ربه، وهومستجاب الدعوة حتماً، فقل للجاحدين والمعاندين:

أين تذهب الأيادي البيضاء الكثيرة المستمرة، التي لأبي طالب على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وعلى الإسلام والمسلمين، والله عز وجل يقول:

﴿هل جزاء الاحسان إلا الاحسان﴾. الرحمن ٦٠

المجموعة الرابعة: القرائن:

آ ـ قوله تعالى لرسوله الكريم:

---

(١٠٧) البحار ٢٠/١٤٧

(١٠٨) كتاب المغازي للواقدي ١٦١ السيرة الحلبية ٢/١٧

(١٠٩) البحار ١٩/٨

(١١٠) مؤمن قريش ٢٣٩ عن الكشاف ٢/٤٤٤ و٤/٣٩٦، وتجد الحديث في تفسير ابن كثير ٤/٣٣٠

﴿هو الذي أيدك بنصره وبالمؤمنين﴾. الانفال ٦٣

هذه الآية الكريمة، وإن كان سبب نزولها في أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام(١١١) أو في غيره، إلا أنها تشمل أبا طالب، صاحب المواقف الحميدة في سبيل نصرة الإسلام والمسلمين والدفاع عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

وهذه الآية دليل أيضاً على أن نصرة أبي طالب للرسول الكريم كانت بدافع الإيمان، لا بدافع الحميّة الجاهلية، كما يقول الكفار المشركون، خاصة وأن الإسلام حارب العصبية الجاهلية.

ب ـ قوله تعالى:

﴿فالذين آمنوا به، وعزروه، ونصروه، واتبعوا النور الذي أنزل معه أولئك هم المفلحون﴾. الأعراف ١٥٧

يقول الشيخ زيني دحلان حول هذه الآية:

وقد صدقه ـ أي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ـ أبو طالب، ونصره بما اشتهر وعلم، ونابذ قريشاً بسببه، بما لاينكره أحد من نقلة الأخبار، فيكون من المفلحين.

وقال القائلون بعدم النجاة: إنه نصره، لكنه لم يتبع النور الذي أنزل معه، ـ وهو الكتاب العزيز ـ الداعي إلى التوحيد، ولايحصل الفلاح إلا بحصول مارتب عليه من الصفات كلها.

قال البرزنجي: أقول: إن أريد بالفلاح ـ أصل النجاة من النار ـ فهو إنما يترتب على الإيمان الذي هو التصديق عند المحققين، وقد حصل ذلك.. وإن أريد الفلاح التام، فلا يلزم من عدمه حصول الكفر، على أنّا نقول: قد اتبعه وأمر باتباعه، لأن الظاهر من العواطف، أي في قوله: «آمنوا به واتبعوه» كما هو الأصل فيه، ان الاتباع غير الإيمان، وإذا كان غيره فيحمل الإيمان على التصديق، وهو حاصل، وإنما كان الاتباع فيما كان شرع حينئذٍ، ولم يكن إلا التوحيد وصلة الأرحام، وترك عبادة الأصنام، كما مرّ عن أبي طالب أنه سأل النبي الكريم، بمَ بعثت؟ فأخبره صلى الله عليه وآله وسلم انه بعث بصلة الأرحام، وأن يعبد الله ولايعبد معه غيره، ولم يكن في ذلك الوقت، فرضت الصلاة، ولا الزكاة، ولا الصوم، ولا الحج، ولا الجهاد، فلم يبق إلا قول «لا إله إلا الله»، فإن اعتبر بما يؤدي

---

(١١١) كما جاء في ينابيع المودة للقندوزي ١/١٨ عن أبي نعيم الحافظ بإسناده عن أبي صالح عن ابن عباس، وعن أبي هريرة، وجعفر الصادق (ع)

التوحيد، فقد مرّ أنه نطق بالوحدانية، وبحقيقة الرسالة، وتصديق النبي الكريم في أشعاره، وإنما طلب النبي صلى الله عليه وآله وسلم ذلك منه عند وفاته ليحوز إيمان الوفاة، وإن لم يعتد به عند الموت، فتكون تلك القرائن دالّة على أنه كان مصدقاً بقلبه، وإنما امتنع من النطق به خشية أن ينسبوه إلى الجزع من الموت ـ والخوف من الموت عندهم عار ـ وقد كانوا عريقين في السيادة والمفاخرة، بحيث لا يرضون أن ينسب إليهم أقل قليل مما يخالفها، فلا يبعد أن يكون ذلك عندهم عظيماً ـ وذلك عذر. . وهذا بحسب الظاهر، وأما في باطن الأمر، فالسبب الحقيقي في عدم نطقه بحضور القوم: المبالغة في المحافظة على حماية النبي الكريم، ونصرته، لعلمه بأنه إذا نطق بذلك وعلموا أنه اتبع النبي صلى الله عليه وآله وسلم، لم يعتدوا بحمايته وجاهه عندهم، بل يخفرون ذمته، وينتهكون حرمته، ويبالغون في إيذاء النبي صلى الله عليه وآله وسلم.

وقد كان أبو طالب حريصاً على أن يكون أمر النبي الكريم في دعوته الخلق إلى الله تعالى باقياً بعد موته، فلذلك كان محافظاً على بقاء حرمته في قلوب قريش، فلو نطق بالشهادتين وعلموا ذلك منه، فإنه يفوت غرضه في كمال النصرة والحماية[112].

جـ ـ هذا كتاب الله وهو الحجة القاطعة لكل خصام لدى كل مسلم يهتف بنا قائلاً:

﴿ولا تقولوا لمن ألقى إليكم السلم لست مؤمناً﴾. النساء ٩٤

ومن المعلوم أن المراد بالسلم في الآية هو: السلام، وكلاهما بمعنى الاستسلام، كما نص على ذلك الزمخشري في (كشافه) فهو نظير قوله تعالى:

﴿وألقوا إلى الله يومئذ السلم﴾. النحل ٨٧

أي أنهم استسلموا للأمر، وانقادوا إليه، وإذا رجعت إلى شعر أبي طالب محللاً منه نفسيته ومستكشفاً ميله وهواه، لوجدته أصدق شاهد، على استسلام شيخ الأبطح وإنقياده لهذا الدين، بل لوجدت روح الإيمان الصادق تتجلى لك من خلال أبياته، وتلوح لعينيك ظاهرة بين فجواته، ومنفرجاته، هذا شيخ الأبطح ينشدك فيه منادياً:

ياشاهد الله عليّ فاشهد إني على دين النبي محمد (أحمد)

من ضلّ في الدين فإني مهتدي

حقاً! إن لم يكن هذا صريحاً في الإيمان، فلا أقل أنه صريح في إلقاء السلم، كما

---

(١١٢) أسنى المطالب ٢٨ ص ٢٩

لايخفى وإلا فما الذي حدا أمنع الناس داراً وأعزّهم جواراً أن يهتف بهذا النداء، ويشهد شاهد الله على مايقول، سوى الانقياد لمحمد صلى الله عليه وآله وسلم.

بهذا ونحوه، يلزمك الكتاب المجيد بالاعتراف في إيمان أبي طالب، ولايدع لك مجالاً للتوقف فيه(١١٣).

د ـ كمثل أهل الكهف:

يقول الصادق عليه السلام: ان جبريل عليه السلام، أتى النبي الكريم فقال:

يامحمد إن ربك يقرئك السلام، ويقول لك: إن أصحاب الكهف أسروا الإيمان وأظهروا الشرك، فآتاهم الله أجرهم مرتين، وان أبا طالب أسر الإيمان وأظهر الشرك فآتاه الله أجره مرتين(١١٤).

أقول: فإن أبا طالب أسرّ الإيمان ليتمكن من الدفاع عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم

وإذا كان أصحاب الكهف، هربوا بدينهم قال تعالى:

﴿.. فأووا إلى الكهف ينشر لكم من رحمته، ويهيء لكم من أمركم مرفقاً﴾. الكهف ١٦

﴿إنهم إن يظهروا عليكم يرجموكم أو يعيدوكم في ملتهم ولن تفلحوا إذاً أبدا﴾. الكهف ٢٠

فإن أبا طالب عليه السلام، لجأ مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، إلى الشعب (شعب أبي طالب) حين حاصرتهم قريش عام السابع للبعثة، واستمر الحصار ثلاث سنوات، لاتنسى مرارتها.

هـ ـ كمؤمن آل فرعون:

ويقول الامام الحسن العسكري عليه السلام:

«وإن أبا طالب كمؤمن آل فرعون، يكتم إيمانه».

أقول: وإن كتمان إيمانه لم ينف عنه صفة الإيمان، وقد وردت سورة من القرآن باسم المؤمن أو غافر، تحكي قصته، وإذا كان مؤمن آل فرعون قد دافع عن موسى عليه السلام ﴿وقال رجل مؤمن من آل فرعون، يكتم إيمانه، أتقتلون رجلاً أن يقول ربي الله، وقد

---

(١١٣) شيخ الأبطح ٨٤ و ٨٥

(١١٤) الحجة ٣٦٢ عن الكافي ٢٤٤ وأمالي الصدوق ٣٦٦، وروضة الواعظين ١٢١ والغدير ٧/ ٣٩٠، عن المجلسي في البحار والسيد في الدرجات الرفيعة، والفتوني في (ضياء الصالحين) وأبو الفتوح الرازي في (تفسيره) ٤/ ٢١٢

جاءكم بالبينات من ربكم وإن يك كاذباً فعليه كذبه، وإن يك صادقاً يصبكم بعض الذي يعدكم، إن الله لايهدي من هو مسرف كذّاب﴾. غافر أوالمؤمن ٢٨

فإن أبا طالب قد دافع عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، بالأقوال والأفعال، وأنقذ حياته مرات ومرات، واستمر على ذلك طوال نصف قرن من الزمن، فإن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، كان معرضاً للقتل، والاغتيال، من اليهود منذ ولادته، لأنهم يعرفونه أنه النبي المبعوث، وسبب حقدهم عليه صلى الله عليه وآله وسلم، أن اليهود كانوا يطمعون أن يكون هذا النبي منهم، وبعد البعثة كان صلى الله عليه وآله وسلم معرضاً للقتل والاغتيال، من اليهود ومن المشركين أيضاً، وكان أبو طالب يخاف على رسول الله، وقد وقف مدافعاً عنه، وعن الاسلام والمسلمين حتى اشتهر ذلك عنه بين الخاص والعام.

و ـ يقول السيد أحمد خيري الحسيني في كتابه (أبو طالب رضي الله عنه):

أيمنع في الاثنين تعذيب من عدا ... وكان على المختار أقسى النوازل
ويخلد في الضحضاح من كان حصنه ... جزاءء ويلقى مهملاً في الهوامل

إشارة إلى ماورد من تخفيف العذاب عن أبي لهب كل يوم اثنين لأنه أعتق فيه جاريته ـ ثويبه ـ لما بشرته بمولد النبي الكريم ـ انظر فتح الباري /٩/١١٤ ـ وجاه النبي الكريم الذي من أجله يخفف العذاب يوماً في الأسبوع عمن آذاه، وضاره مضارة أوجبت نزول سورة خاصة في تحقيره ونبأ تعذيبه ﴿تبت يدا أبي لهب وتب﴾ هذا الجاه جدير بأن يكرم الله تعالى من أجله من نصره وكافح عنه وكفله وأحبه، وذلك بأن يعفو عنه عفواً شاملاً، وأنف الشانىء في الرغام[١١٥].

ز ـ القول بنجاة بعض من كان يعيش في الجاهلية:

١ ـ عن الشريد: ردفت مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يوماً، فقال: هل معك من شعر أمية بن أبي الصلت شيئاً؟ قلت نعم، قال: «فأنشدته بيتاً، فقال: [هيه] ثم أنشدته بيتاً فقال: [هيه] حتى أنشدته مائة بيت، فقال: [إن كاد ليسلم]، وقال: [فلقد كاد ليسلم في شعره][١١٦].

---

(١١٥) أسنى المطالب هامش ٣٥/ و/٣٦/

(١١٦) صحيح مسلم ١/٤٨ و٤٩

٢ ـ وهـذا زيـد بن عمـر وقـد خرج يطلب الحنيفيـة، دين إبـراهيم، حتى أخـذ طريقه إلى الشام، ومنها إلى مكة، ولكنه مات في طريقه إليها، فيروون عن عائشة أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال:

[دخلت الجنة فوجدت لزيد بن عمرو دوحتين][١١٧].

٣ ـ ويروون أن سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل، وعمر بن الخطاب وهو ابن عمه قال لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم! استغفر لزيد بن عمرو، قال: نعم فإنه يبعث أمة وحده[١١٨].

٤ ـ ويروون عنه صلى الله عليه وآله وسلم، قوله عن قس بن ساعدة [رحم الله قساً، يحشر يوم القيامة أمة وحده][١١٩].

٥ ـ ومن ذلـك قولهم إن حاتم الطـائي يدخـل النار لكفره، لكن لايعذب مطلقاً لجوده، وإن كسرى أنوشروان لايعذب لعدله.

هذا هو المعروف من حالهم، فإذا عرجت بهم على أبي طالب، قالوا هو في ضحضاح من النـار، تغـلي منـه أم رأسه... ياسبحان الله!!! أترى كسرى ينفعه عدله، وحاتم يدفع عنه العذاب جوده، ولاتنفع أبا طالب قرابته القريبة من الشفيع محمد صلى الله عليه وآله وسلم، ولايغني عنه جهاده بين يديه، وذبه عنه، وتعريضه أولاده للقتل دونه، ومدائحه له، ونعماؤه عليه مدة حياته وإلى آخر ماهنالك!!؟...

وليت شعـري، كيف يكـون أبـو طالب والحـالة هذه أسوأ حالاً من حاتم وكسرى في حين أن لكـل واحـد منهـما خصلة واحدة، نظير العدل والجود مثلاً، تكفل له النجاة حسب المدعى ـ ولايكون له نظير ذلك ـ لأبي طالب، وهو الذي له الخصال الحميدة التي لاتحصى.

أتـرى! يجوز عقـلاً، وينطبق على قاعـدة منطقاً، أن يكون أبو طالب طول حياته مع النبي الكـريم على حالتـه التي عرفتهـا من جلاد وجهاد، باليد والقلب واللسان، وبذل كل عدة وعتاد، بين يديه صلى الله عليه وآله وسلم، تكون نتيجة أعماله هذه مع النبي الكريم، أن يترقب فرصـة المـوت لذلـك العم البـار ليجعل إحسانه وجزاء بره وحنانه، ذمه وقدحه، من

---

(١١٧) السيرة النبوية ١/٩٦

(١١٨) على هامش السيرة ١/١٣٦ عن ابن اسحق وأشير اليه في السيرةالنبوية ١/٧٣ و٧٦ و٩٥

(١١٩) البحار ٦/٥٧ وفي السيرة النبوية ٢/٧٣ و٧٦ مايماثله، كما في (مروج الذهب) ١/٦٩ و٧٠ إشارة لذلك في قصة طويلة

جملة سنته، يخبر الناس تاره أنه جمرة من جمرات جنهم وطوراً أنه في ضحضاح من نار تغلي منه أم دماغه إلى غير ذلك[١٢٠].

٦ ـ عن السيد فخار قال:

ولقد أخبرني الشيخ أبو عبد الله ـ رحمه الله ـ عن الشريف أبي الحسن بن العريضي ـ رحمه الله ـ عن الحسين بن طحال المقدادي ـ رحمه الله ـ عن الحسن بن محمد بن الحسن بن علي الطوسي، عن والده الشيخ أبي جعفر محمد بن الحسن بن علي الطوسي ـ رحمهما الله ـ عن رجاله، عن الحسن بن جمهور العمي البصري ـ رحمه الله ـ يرفعه، قال: أنشد عمر بن الخطاب قول زهير بن أبي سلمى:

فلاتكتمن الله مافي نفوسكم ليخفى ومهما تكتم الله يعلم
يؤخر فيوضع في كتاب فيدخر ليوم الحساب أويعجل فينقم

فقال: عمر بن الخطاب: مارأيت جاهلياً أعلم بالحكم من زهير، ولو قلت: إن شعره شعر مؤمن يدخل الجنة لإقراره بالبعث والنشور، لقلت حقاً.

فيا لله! وللمسلم! ألا يرى اللبيب أن من أعجب العجب أن عمر بن الخطاب يسمع بيتي شعر لزهير في أحدهما ذكر الحساب، فيقطع له بالجنة ولايرتاب، مع شهادته عليه أنه جاهلي لم يدرك الإسلام، ولم يعرف الإيمان، وهذا أبو طالب بن عبد المطلب له ديوان شعر يضاهي شعر زهير جميعه في الكثرة، أويزيد عليه، يتضمن جميعه الإقرار بالرسول صلى الله عليه وآله وسلم، والتصديق له، والحث على اتباعه، والتوحيد لله تعالى وذكر المعاد والحساب، وأهل العصبية الباطلة، والحمية الفاسدة يجعلونه من الكفّار الخالدين في النار، ولايتدبرون مايؤثرون من أخباره الشاهدة بإيمانه، ولايتفكرون فيما يروونه من أشعاره الناطقة بإسلامه:

إذا الوحي فيهم لم يضرهم فإنني زعيم لهم أن لايضورهم الشعر

فثبت بما بيناه بطلان قول المتعصبين عليه، والناسبين الكفر إليه، وبعد ذلك كيف يتقدر من ذلك السيد الخطير اللبيب الكبير أن يعرف الحق ويعدل عنه معانداً، ويلقى الله بعد معرفته جاحداً، وقد كان حكيم زمانه وأديب أوانه، حتى أن حلمه ورياسته وشرفه، وسيادته أبين من الشمس عند من لم ينقد لهوى النفس، يقر له بذلك ساير الأنام في الجاهلية والاسلام[١٢١].

---

(١٢٠) شيخ الابطح ٩١ و٩٢

(١٢١) الحجة ٣٢٨ إلى ٣٣٢

٧ ـ روى المجلسي عن نوادر الراوندي باسناده عن موسى بن جعفر عن آبائه عليهم السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم [إن أهون أهل النار عذاباً ابن جدعان]. فقيل: يارسول الله! وما بال ابن جدعان أهون أهل النار عذاباً؟ قال: [إنه كان يطعم الطعام]. بحار الأنوار ٨/١١٦

ح ـ سادات العرب يشيدون بأبي طالب:

١ ـ أخبرني الشيخ الفقيه أبو عبد الله ـ رحمه الله ـ بإسناده إلى الحسن بن جمهور العمي رحمه الله ـ يرفعه، قال: قيل لتأبط شراً الشاعر(١٢٢) واسمه ثابت بن جابر: من سيد العرب؟ فقال: أخبركم؟ سيد العرب أبو طالب بن عبد المطلب(١٢٣).

٢ ـ وقيل للأحنف بن قيس التميمي(١٢٤) من أين اقتبست هذه الحكم؟! وتعلمت هذا الحلم؟ فقال: من حكيم عصره، وحليم دهره قيس بن عاصم المنقري(١٢٥).

---

(١٢٢) ثابت بن جابر بن سفيان أبو زهير الفهمي ـ المعروف بتأبط شرا ـ من مضر شاعر عداء من فتاكي العرب في الجاهلية كان من أهل تهامة، شعره فحل، استفتح الضبي مفضلياته بقصيدة مطلعها:

ياعيد كم لك من شوق وإبراق. . . ويقال: انه كان ينظر إلى الظب في الفلاة فيجري خلفه فلا يفوته، قتل في بلاد هذيل نحو ٨ ق. هـ والقي في غار يقال له (رخمان) فوجدت جثته فيه بعد مقتله. تأبط شراً، كني بذلك لأنه أخذ سيفاً أو سكيناً تحت إبطه وخرج، فسئلت أمه عنه، فقالت تأبط شراً وخرج. راجع (خزانة الادب) ١/٢٦٦ /والمحبر /١٦٩، والاعلام /٨٧٢

(١٢٣) الحجة ٣٣٢

(١٢٤) الاحنف بن قيس بن معاوية بن حصين السعدي المنقري التميمي. أبو بحر.

قيل اسمه: الضحاك، سيد تميم، واحد من العظماء والدهاة الفصحاء الشجعان الفاتحين. يضرب به المثل بالحلم، ولد في البصرة عام ٣ ق. هـ وأدرك النبي الكريم ولم يره انفذه عمر لغزو خراسان سنة ١٨ هـ فدخلها وملك مدنها. شهد صفين مع الامام علي عليه السلام، ولما انتظم الأمر لمعاوية عاتبه، فأغلظ له الاحنف في الجواب، فسئل معاوية عن صبره عليه، فقال: هذا الذي إذا غضب غضب له مائة ألف لايدرون فيم غضب. توفي بالكوفة عام ٧٢ هـ عن سبعين عاماً أو أكثر ـ راجع (وفيات الاعيان) ١/٢٣٠، وجمهرة الأنساب /٢٠٦ وتاريخ الخميس ٣/٣٠٩ وتاريخ الاسلام ٣/١٢٩ والاعلام ١/٢٦٢

(١٢٥) قيس بن عاصم المنقري التميمي، أبو علي، أحد أمراء العرب وعقلائهم والموصوفين بالحلم والشجاعة، كان شاعراً، اشتهر وساد في الجاهلية، وفد على النبي الكريم في وفد تميم سنة ٩ هـ فأسلم، فقال صلى الله عليه وآله وسلم لما رآه [هذا سيد أهل الوبر]

واستعمله على صدقات قومه، نزل البصرة في أواخر أيامه، وتوفي بها نحو ٢٠ هـ وقال فيه عبده بن الطيب راثياً:

وماكان قيس هلكه هلك واحد ... ولكنه بنيان قوم تهدما

راجع (الاصابة) ت ٧١٩٦، و(رغبة الأمل) ٤/٣١ و ٩٩ و ٢٣٤، و(خزانة الأدب) ٣/٤٢٨ و (سمط اللآلي) ٤٧٨ وهو الذي يقول فيه الشاعر

ولو شاء ربي كنت قيس بن عاصم ... ولو شاء ربي كنت عمرو بن مرثد

ولقد قيل لقيس: حلم من رأيت فتحلمت؟! وعلم من رويت فتعلمت؟ فقال: من الحكيم الذي لم تحل قط حبوته والحكيم الذي لم تنفد حكمته أكثم بن صيفي[١٢٦].

ولقد قيل لأكثم: ممن تعلمت الحكم والرياسة والحلم والسياسة، فقال: من حليف الحلم والأدب سيد العرب والعجم، أبي طالب بن عبد المطلب.

ويعلق السيد فخار على ذلك قائلاً: وكيف يختار أبو طالب الكفر الذي لا يختاره إلا المعاندون الجهلاء على الإيمان الذي لا يختاره إلا عاقل، ويعطي النظر حقه، فيتحقق حينئذٍ صدقه، وقد شاع العقلاء عقلاً، وبذ الفضلاء فضلاً، حتى أقرت بحكمته الحكماء، واعترفت بفضله الفضلاء، وسارت بذلك الركبان، وشاع في البلدان[١٢٧].

٤ ـ النصرة بالأقوال:

فاصدع بأمرك ماعليك غضاضة ... وأبشر بذاك وقرّ منك عيونا
ودعوتني وعلمت أنك ناصحي ... ولقد صدقت وكنت ثم أمينا

أبو طالب

إسلام وإيمان أبي طالب من خلال أشعاره:

١ ـ أهمية شعر أبي طالب:

أ ـ قال الامام الصادق عليه السلام: كان أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام يعجبه أن يروى شعر أبي طالب عليه السلام، وأن يدوّن، وقال: تعلموه وعلموه أولادكم فإنه كان على دين الله، وفيه علم كثير[١٢٨].

ب ـ عن أبي بصير عن محمد بن علي الباقر أنه قال: مات أبو طالب بن عبد المطلب مسلماً مؤمناً، وشعره في ديوانه يدل على إيمانه[١٢٩].

---

(١٢٦) أكثم بن صيفي بن رباح بن الحارث بن مخاشن بن معاوية التميمي حكيم العرب في الجاهلية، واحد المعمرين عاش زمناً طويلاً، وأدرك الإسلام وقصد المدينة في مائة من قومه يريدون الإسلام، فمات في الطريق ولم ير النبي الكريم، وأسلم من بلغ المدينة من أصحابه عام ٩ هـ راجع جمهرة الأنساب / ٢٠٠ و(الأعلام) ١/ ٣٤٤

(١٢٧) الحجة ٣٣٢ ـ ٣٣٥

(١٢٨) مؤمن قريش ٢٦٢ الغدير ٧/ ٣٩٥ عن بحار الأنوار ٩/ ٢٤ وضياء العالمين للفتوني، والحجة ٢٥ عن أبي الفرج الأصفهاني

(١٢٩) الحجة ١٤٠

جـ ـ قال ابن شهر آشوب المازندراني في كتابه (متشابه القرآن) المخطوط في ضمن تفسير قوله تعالى :

﴿ولينصرن الله من ينصره﴾ . سورة الحج ٤٠

مالفظه:إن أشعار أبي طالب الدالة على إيمانه تزيد على ثلاثة آلاف بيت يكاشف فيها من كاشف النبي الكريم ويصحح نبوته(١٣٠) .

د ـ قال السيد فخار: وهذا أبو طالب بن عبد المطلب له ديوان شعر يضاهي شعر زهير جميعه في الكثرة أو يزيد عليه ، يتضمن جميعه الإقرار بالرسول صلى الله عليه وآله وسلم والتصديق له ، والحث على اتباعه ، والتوحيد لله تعالى ، وذكر المعاد والحساب(١٣١) .

هـ ـ قال الامام عبد الواحد السفاقسي في (شرح البخاري) : إن في شعر أبي طالب هذا دليلاً على أنه كان يعرف بنبوة النبي صلى الله عليه وآله وسلم قبل أن يبعث لما أخبره به / بحيراء الراهب / وغيره من شأنه ، مع ماشاهده من أحواله ومنها الاستسقاء به في صغره ، ومعرفة أبي طالب بنبوة النبي الكريم جاءت في كثير من الأخبار زيادة على أخذها من شعره(١٣٢) .

وقال ابن أبي الحديد في (شرحه) ٢ / ٣١٥ بعد ذكر جملة من أشعار أبي طالب : فكل هذه الأشعار قد جاءت مجيء التواتر ، لأنه إن لم يكن آحادها متواترة فمجموعها يدل على أمر واحد مشترك ، وهو تصديق محمد صلى الله عليه وآله وسلم ومجموعها متواتر كما أن كل واحدة من قتلات علي عليه السلام لفرسان منقولة آحاد مجموعها متواتر يفيد العلم الضروري بشجاعته ، وكذلك القول فيما روي من سخاء حاتم وحلم الأحنف ومعاوية وذكاء إياس وخلاعة أبي نواس وغير ذلك(١٣٣) .

٢ ـ لامية أبي طالب المشهورة :

هذه قصيدة طويلة تبلغ مائة وأحد عشر بيتاً تجدها مثبتة في ديوانه عليه السلام ، وذكر العلامة السيد حسين الكركي المجتهد المفتي سبط المحقق الكركي خمسة أبيات منها ، وقال : أخرج حديثها في (الجمع بين الصحيحين) مسنداً من حديث عبد الرحمن بن عبد الله بن

---

(١٣٠) أسنى المطالب هامش ١٢ والغدير ٧/ ٣٤١

(١٣١) الحجة ٣٢٩ ـ ٣٣٠

(١٣٢) الغدير ٧/ ٣٤١ عن السيرة النبوية لدحلان ، هامش الحلبية ١/ ٨٨ ومؤمن قريش ١٢٣

(١٣٣) الغدير ٧/ ٣٤٠ و٣٤٢

دينار عن أبيه قال: سمعت ابن عمر يتمثل بشعر أبي طالب، وهي قصيدة مشهورة بين الرواة، وذكرها بطولها مشروحة الشيخ عبد القادر بن عمر البغدادي في (خزانة الأدب) ١/ ٢٥١

قال ابن كثير: هذه القصيدة بليغة جداً لا يستطيع أن يقولها إلا من نسبت إليه، وهي أفحل من المعلقات السبع وأبلغ في تأدية المعنى.

وقال العلامة جلال الدين السيوطي في (مزهر اللغة) ١/ ١٠٨

زاد الناس في قصيدة أبي طالب التي فيها (وأبيض يستسقي الغمام بوجهه) وطولت بحيث لا يدري أين منتهاها؟ وقد سألني الأصمعي عنها فقلت: صحيحة، قال: أتدري اين منتهاها قلت: لا

وقال العسقلاني في (إرشاد الساري) ٢/ ٢٢٧ قصيدة بليغة جليلة من بحر الطويل، وعدة أبياتها مائة وعشرة أبيات، قالها لما تمالت قريش على النبي صلى الله عليه وآله وسلم ونفّروا عنه من يريد الإسلام، وذكر أبياتاً منها في (المواهب اللدنية) ١/ ٤٨

وقال العيني في (عمدة القاري) ٣/ ٤٣٤: قصيدة طنانة، وهي مائة بيت وعشرة أبيات، وقال ابن أبي الحديد في (الشرح) ٢/ ٣١٥ واتركوا هذا كله جانباً، ماقولكم في قصيدته اللامية التي شهرتها كشهرة (قفا نبك) وإن جاز الشك فيها أو في شيء من أبياتها جاز الشك في (قفا نبك) وفي بعض أبياتها، وذكر أبياتاً منها هو وابن هشام في (حماسته) وابن عساكر الدمشقي في / تاريخه الكبير / ١/ ٣٣٣، وابن كثير في (البداية والنهاية) والماوردي الشافعي في (أعلام النبوة) ٧٧، والحلبي الشافعي في (سيرته) ١/ ١٢٥ والعلامة الدحلان في (السيرة النبوية) بهامش السيرة الحلبية ١/ ٨٨، وفي كتابه (أسنى المطالب في نجاة أبي طالب / ١١/ أورد ثمانية أبيات، وقال: وفي القصيدة أبيات كثيرة مثل هذه في المعنى والبلاغة، وأتى على عشرة أبيات منها الألوسي البغدادي في (بلوغ الأرب) ١/ ٣٢٦ ثم قال: وكلها على هذا المنوال ومطلع القصيدة:

خليليّ! ما أذني لأول عاذل ... بصغواء في حق ولا عند باطل

٣ ـ الأشعار التي تدل على الإيمان:

قال تعالى: ﴿ومن يكفر بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر فقد ضلَّ ضلالاً بعيداً﴾. النساء ١٣٦

١ ـ الإيمان بالله :

أ ـ يقول أبو طالب معلناً إيمانه بالله عز وجل :

مليك الناس ليس له شريك ... هو الوهاب والمبدي المعيد[١٣٤]

ومن فوق السماء له / بحق / ... ومن تحت السماء له عبيد*

ب ـ وفي خطابه للنجاشي :

فلا تجعلوا لله نداً وأسلموا ... فإن طريق الحق ليس بمظلم

جـ ـ ويذكر أن الأمر بيد الله عز وجل :

فوالله لولا الله لاشيء غيره ... لأصبحتم لا تملكون لنا شربا

د ـ وأن الله تعالى ليس بغافل :

وبالبيت حق البيت من بطن مكة ... وبالله إنّ الله ليس بغافل

ثم يؤكد ذلك قائلاً وهو يمدح محمداً صلى الله عليه وآله وسلم :

رشيد حليم عادل غير طائش ... يوالي إلهاً ليس عنه بغافل

هـ ـ وأن الله عز وجل رب المشارق والمغارب :

تكون لغابركم عبرة ... ورب المغارب والمشرق

٢ ـ الإيمان بالملائكة : ويعلن عن إيمانه بالملائكة فيقول :

نبي ـ أتاه الوحي ـ من عند ربه ... ومن قال لا ، يقرع بها سن نادم

وظلم نبي جاء يدعو إلى الهدى ... وأمر ـ (أتى من عند ذي العرش قيم)

فتجده يشير للأمر الذي جاء من عند الله الحي القيوم وأحياناً يكون ذلك الأمر بواسطة الملائكة

٣ ـ الإيمان بالكتب : ويعلن عن إيمانه بالكتب التي أنزلها الله عز وجل على رسله : أ ـ

ألم تعلموا أنا وجدنا محمداً ... نبياً كموسى خط في أول الكتب

ب ـ ويذكر التوراة المنزلة على موسى عليه السلام :

بتأويله التوراة حتى تيقنوا ... وقال لهم رمتم أشد مرام

جـ ـ ويذكر الانجيل المنزل على عيسى عليه السلام ، فيقول للنجاشي :

---

(١٣٤) مؤمن قريش ٤٠ عن إيمان أبي طالب ٢٠ وديوان أبي طالب والحجة ٨ وشيخ الأبطح ٨٢

* وفي رواية : ملاك

وإنكم تتلونه في كتابكم بصدق حديث لاحديث الترجم(١٣٥)

د ـ ويذكر القرآن الكريم:

أو تؤمنوا بكتاب منزلٍ عجبٍ على نبي كموسى أوكذي النون

مشيراً إلى قوله تعالى عن الجن:

﴿قل أوحي إلي أنه استمع نفر من الجن فقالوا إنا سمعنا قرآناً عجبا يهدي إلى الرشد فآمنا به﴾. الجن /١

٤ ـ الإيمان بالرسل:

أ ـ ويعلن عن إيمانه بالرسل فيذكر عاداً وثموداً والريح الصرصر العاتية وعاقر ناقة صالح، فيقول:

كما ذاق من كان من قبلكم ثمود وعاد فماذا بقي

غداة أتتهم بها صرصرٌ وناقة ذي العرش إذ تستقي

فحلَّ عليهم بها سخطة من الله في ضربة الأزرق

غداة يعض بعرقوبها حسام من الهند ذي رونق

ب ـ ويذكر موسى وذي النون:

أو تؤمنوا بكتاب منزل عجب على نبي كموسى أوكذي النون

جـ ـ ويذكر موسى وعيسى ومحمد عليهم صلوات الله وسلامه:

أتعلم مليك الحبش أن محمداً نبياً كموسى والمسيح ابن مريم

د ـ ١ ـ ويذكر الرسول صلى الله عليه وآله وسلم بعلامته خاتم النبوة:

أمين حبيب في العباد مسوم بخاتم ربٍ قاهرٍ في الخواتم

د ـ ٢ ـ ويمدح الرسول صلى الله عليه وآله وسلم:

فخير بني هاشم أحمد رسول الإله على فترة

مشيراً إلى قوله تعالى: ﴿قد جاءكم رسولنا يبين لكم على فترة من الرسل﴾. المائدة ١٩

د ـ ٣ ـ ويعلن عن إيمانه بمحمد صلى الله عليه وآله وسلم وعن اعتناقه الدين الإسلامي فيقول:

ياشاهد الله علي فاشهد إني على دين النبي أحمد

من ضل في الله فإني مهتدي

---

(١٣٥) راجع ماذكرناه سابقاً حول إيمان الأنبياء بمحمد صلى الله عليه وآله وسلم وبشارتهم به

٥ ـ الإيمان باليوم الآخر:

ويعلن عن إيمانه باليوم الآخر فيقول:

أ ـ وإن سبيل الرشد يعرف «في غدٍ» وإن نعيم اليوم ليس بدائم

ب ـ نبي أتاه الوحي من عند ربه «ومن قال: لا، يقرع بها سن نادم»

جـ ـ ولاشك أن الله رافع أمره ومعليه في الدنيا «ويوم التجادل»

مشيراً إلى قوله تعالى:

﴿يوم تأتي كل نفس تجادل عن نفسها﴾. النمل ١١١

د ـ مليك الناس ليس له شريك هو الوهاب والمبدي المعيد

٦ ـ ويعلن عن إيمانه بالله وتسليمه لقضاء الله عز وجل فيقول:

أ ـ ألا هل أتى بحرينا[١٣٦] صنع ربنا على نأيهم «والله بالناس أرود»

ب ـ أمين حبيب في العباد مسوم بخاتم ربٍ غالبٍ «في الخواتم»

مشيراً إلى قوله تعالى:

﴿ولله عاقبة الأمور﴾. الحج ٤١

٧ ـ ويعلن عن صدق توكله على الله عز وجل وحسن ثقته به ويدعو إلى التمسك بالصبر فيقول:

لاتيأسنَّ إذا ماضقت من فرجٍ يأتي به الله في الروحات والدلج

فما تجرع كأس الصبر معتصم بالله إلا سقاه الله بالفرج[١٣٧]

أقول: وهكذا فقد شهد عليه السلام أن لاإله إلا الله محمد رسول الله، واستكمل الإيمان بجميع أصوله.

ولله در الأميني حيث يقول:

أنا لاأدري! كيف تكون الشهادة والاعتراف بالنبوة إن لم يكن فيها هذه الأساليب المتنوعة المذكورة في هذه الأشعار؟ ولو وجد واحدٌ منها في شعر أحدٍ ونثره لأصفق الكل على إسلامه، لكن جميعها لايدل على إسلام أبي طالب. فاعجب واعتبر![١٣٨].

---

(١٣٦) يقصد به جعفر رضي الله عنه حين كان يقود المهاجرين المسلمين في الحبشة

(١٣٧) الحجة ٢٩٥

(١٣٨) الغدير ٧/٣٤١

«القسم الثاني»

الفصل الأول

١ ـ «النصرة بالأفعال»

لايمنعنك من حق تقوم به ... أيد تصول ولاسلق بأصوات
فإن كفك كفي إن مليت[١٣٩] بهم ... ودون نفسك نفسي في الملمات

أبو طالب

«ألم يكفله أبو طالب؟.
ألم يلزمه محاضراً ومسافراً، ومسالماً ومحارباً؟.
ألم يحرص على اطلاعه على ألوان الحياة العربية في اصطحابه إياه؟، وفي تحصيله له وسائل التجارة؟
ثم لما تبين له الحق، ألم يلتحق به، ويذود عنه، ويمنعه، وينصر دعوته نصراً كان أساس انتشارها وبذر نمائها»

السيد صدر الدين شرف الدين
(هاشم وأمية، ١١٥ و ١١٦)

١ ـ دفاع أبي طالب عن محمد صلى الله عليه وآله وسلم:

أ ـ عندما بلّغ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عمه أبا طالب أنه قد نزل عليه الوحي وبُشِّر بالرسالة، أجابه:
(أخرج ـ ابن أبي ـ فإنك الرفيع كعباً والمنيع حزباً والأعلى أباً، والله لاسلقك لسان إلا سلقته ألسنٌ حداد، واجتذبته سيوف حداد، والله لتذلنَّ لك العرب ذلَّ البهم لحاضتها ولقد

---

(١٣٩) يروى: فتكت، رميت

كان أبي ـ يقصد عبد المطلب ـ يقرأ الكتب جميعاً، ولقد قال: إن من صلبي لنبياً، لوددت أني أدركت ذلك الزمان فآمنت به، فمن أدركه من ولدي فليؤمن به).

قال الأميني: أترى أن أبا طالب يروي ذلك عن أبيه مطمئناً فلينشط رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم هذا التنشيط لأول يومه، ويأمره بإشهار أمره والإشادة بذكر الله، وهو مخبت بأنه هو ذاك النبي الموعود به بلسان أبيه وبالكتب السالفة، ويتكهن بخضوع العرب له، أتراه سلام الله عليه يأتي بهذه كلها ثم لايؤمن به؟!.

إنْ هذا إلا اختلاق(١٤٠).

ب ـ يوم الدار، يوم الإنذار: عند نزول قوله تعالى:

﴿وأنذر عشيرتك الأقربين﴾

طلبَ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من عليٍ عليه السلام أن يدعو له بني عبد المطلب وكانت الدعوة في دار أبي طالب، وأطعمهم رسول الله وهم كثيرون من طعام قليل حتى شبعوا، وتكررت الدعوة مرتين، فالتفت أبو طالب لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وقال: (ماأحب إلينا معاملتك، وأقبلنا لنصيحتك، وأشد تصديقنا لحديثك، وهؤلاء بني أبيك مجتمعون، وإنما أنا أحدهم، غير أني أسرعهم إلى ماتحب، فامضِ لما أمرت به، فوالله لاأزال أحوطك وأمنعك، غير أن نفسي لاتطاوعني على فراق دين عبد المطلب).

قال الأميني: لم يكن دين عبد المطلب سلام الله عليه إلا دين التوحيد والإيمان بالله وملائكته وكتبه غير مشوب بشيء من الوثنية(١٤٠).

قال ابن الأثير؛ قال أبو لهب: هذا ولله السوء، خذوا على يديه قبل أن يأخذ غيركم، فقال أبو طالب: والله لنمنعه مابقينا.

وروى أبو عمر الزاهد الطبري عن ابن عباس عن علي بن أبي طالب عليه السلام قال: «فلما أراد النبي صلى الله عليه وآله وسلم أن يتكلم اعترضه أبو لهب فتكلم بكلمات وقال: قوموا فقاموا وانصرفوا.

---

(١٤٠) الغدير ٣٤٨/٧ عن محمد الدينوري في كتابه نهاية الطلب وغاية السؤل في مناقب آل الرسول، والطرائف لابن طاووس ٨٥، وضياء العالمين لشيخنا أبي الحسن الشريف، ومؤمن قريش ١٤٥، ١٤٦ عن شيخ الأبطح ٢٢ والعباس ١٨ ـ ٢١

(١٤٠) مكرر الغدير ٣٥٣

قال: فلما كان من الغد أمرني فصنعت مثل ذلك الطعام والشراب، فدعوتهم، فأقبلوا ودخلوا، فأكلوا وشربوا، فقام رسول الله صلى الله عليه واله وسلم يتكلم فاعترضه أبو لهب، فقال أبو طالب:

اسكت ياأعور! ماأنت وهذا؟، ثم قال: لايقومن أحد. قال: فجلسوا ثم قال للنبي صلى الله عليه وآله وسلم: قم ياسيدي! فتكلم بما تحب، وبلغ رسالة ربك، فإنك الصادق المصدق».

وفي رواية: ان أبا طالب قال لرسول الله صلى الله عليه واله وسلم:

(ياابن أخي! إن أردت أن تدعو إلى ربك فأعلمنا حتى نخرج معك بالسلاح).

وأخرج ابن سعد (في الطبقات الكبرى) حديث الدعوة عن عليٍ وفيه ثم قال لهم صلى الله عليه واله وسلم:

[من يؤازرني على ماأنا عليه ويجيبني على أن يكون أخي وله الجنة].

فقلت: أنا يارسول الله، وإني لأحدثهم سناً وأحمشهم ساقاً، وسكت القوم، ثم قالوا: ياأبا طالب! ألا ترى ابنك، وفي رواية قد أمرك أن تسمع لأبنك، قال أبو طالب: دعوه فلن يألو ابن عمه خيرا[141].

قال الطبري رحمه الله عن آية ﴿وأنذر عشيرتك الأقربين﴾: ـ أي رهطك الأدنين ـ، واشتهرت القصة بذلك عند الخاص والعام، وفي الخبر المأثور عن البراء بن عازب أنه قال: لما نزلت هذه الآية جمع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بني عبد المطلب وهم أربعون رجلاً، الرجل منهم يأكل المسن ويشرب العسّ، فأمر علياً عليه السلام برجل شاة فأدمها[142]، ثم قال: [إدنو باسم الله] فدنا القوم عشرة عشرة، فأكلوا حتى صدروا، ثم دعا بقعب من لبن، فجرع منه جرعة، ثم قال: [هلموا اشربوا باسم الله] فشربوا حتى رووا.

فبدرهم أبو لهب فقال: هذا ماسحركم به الرجل.

فسكت صلى الله عليه وآله وسلم يومئذ ولم يتكلم.

ثم دعاهم من الغد إلى مثل ذلك من الطعام والشراب، ثم أنذرهم رسول الله، فقال:

[يابني عبد المطلب! إني أنا النذير إليكم من الله عز وجل والبشير، فأسلموا وأطيعوني

---

(١٤١) الغدير ٧/٣٥٤

(١٤٢) أدمها: خلطها وجعل فيها إدام يؤكل

تهتدوا].

ثم قال: [من يؤاخيني ويؤازرني ويكون وليي ووصيي بعدي وخليفتي في أهلي ويقضي ديني]، فسكت القوم، فأعادها ثلاثاً، كل ذلك يسكت القوم ويقول عليٌ أنا، فقال في المرة الثالثة: [أنت]، فقام القوم وهم يقولون لأبي طالب: أطع إبنك فقد أُمِّر عليك[143] أورده الثعلبي في تفسيره

جـ ـ أبو طالب يرد أشراف قريش:

ج/١: مشى بعض أشراف قريش لأبي طالب يشكون إليه مالاقوه من ابن أخيه، فقالوا: ياأبا طالب! إن ابن أخيك قد سبَّ آلهتنا، وعاب ديننا، وسفّه أحلامنا، وضلل آباءنا، فإما أن تكفه عنا وإما أن تخلي بيننا وبينه فإنك على مثل ما نحن عليه من خلافه فنكفيكه، فألان لهم أبو طالب في القول، وتلطف لهم في الرد الجميل[144].

ج/٢: قال عقيل بن أبي طالب: جاءت قريش إلى أبي طالب فقالوا: إن ابن أخيك يؤذينا في نادينا وفي كعبتنا وفي ديارنا، ويُسمعنا مانكره، فإن رأيت أن تكفه عنا فافعل، فقال لي: ياعقيل! إلتمس ابن عمك فأخرجته من كبس من أكباس أبي طالب، فجاء يمشي معي، يطلب الفيء فيطأ فيه لايقدر عليه، حتى انتهى إلى أبي طالب، فقال: ياابن أخي! والله لقد كنت لي مطيعاً، جاء قومك يزعمون أنك تأتيهم في كعبتهم وفي ناديهم فتؤذيهم وتسمعهم مايكرهون، فإن رأيت أن تكف عنهم، فحلّق رسول الله بصره إلى السماء، وقال:

[والله ماأنا بقادرٍ أن أرد مابعثني به ربي، ولو أن يشعل أحدهم من هذه الشمس ناراً].

فقال أبو طالب: والله! ماكذب قط، فارجعوا راشدين.

قال الأميني: هكذا أخرجه البخاري في (تاريخه) بإسنادٍ رجاله كلهم ثقاة، وبهذا اللفظ ذكره المحب الطبري في (ذخائر العقبى) ٢٢٣، غير أن ابن كثير لما رأى كلمة (راشدين) قيّمة في حق أبي طالب حذفها في تاريخه ٤٢/٣ حيا الله الأمانة[145].

---

(١٤٣) الكامل لابن الأثير ٤١/٢ والسيرة الحلبية ٦٢١/١ وشيخ الأبطح ٢٢ والطبري ٦٣/٢ وينابيع المودة ٢٨/٢ (١٦٨) والغدير ٦٥٤/٧

(١٤٤) مؤمن قريش ١٥٩

(١٤٥) الغدير ٣٥٤/٧

ج/٣: ومشى نفر من قريش إلى أبي طالب مرةً أخرى، وقالوا له: ياأبا طالب! إن لك شأناً وشرفاً ومنزلة فينا، وإنا قد أنهيناك من ابن أخيك فلم تنهه عنا، وإنا والله لانصبر على هذا، من شتم آبائنا وتسفيه أحلامنا وعيب آلهتنا، حتى تكفّه عنا، أو ننازله وإياك في ذلك حتى يهلك أحد الفريقين.

فقال أبو طالب لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: فأبقِ عليَّ وعلى نفسك ولاتحملني من الأمر مالاأطيق.

أقول: فأبو طالب لم يكذب رسول الله أو يطلب منه الرجوع عن الدعوة إلى الله، وإنما قال هذا الكلام ليؤكد لكفار قريش تصميم محمدٍ على الدعوة للدين الإسلامي وثباته على ذلك، لأنه صادق فيما جاء به من عند الله تعالى.

وفعلاً أجابه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قائلاً:

[ياعماه! لو وضعوا الشمس في يميني والقمر في يساري على أن أترك هذا الأمر حتى يظهره الله أو أهلك فيه ماتركته].

فقال أبو طالب لرسول الله: أقبل ياابن أخي وأردف قائلاً له: إذهب ياابن أخي فقل ماأحببت فوالله لاأسلمك لشيء أبدا(١٤٦).

وأنشد أبو طالب:

تالله لن يصلوا إليك بجمعهم ... حتى أوسد في التراب دفينا
فاصدع بأمرك ماعليك غضاضةً ... وأبشر بذاك وقرَّ منك عيونا
ودعوتني وعلمت أنك ناصحي ... ولقد صدقت وكنت ثم أمينا
ولقد علمت بأن دين محمدٍ ... من خير أديان البرية دينا(١٤٧)

---

(١٤٦) مؤمن قريش ١٦١ عن الطبري ٢/٦٤ و٦٧ والسيرة النبوية ١/١٩٦ والحلبية ١/٣٢٣ والهشامية ١/٢٨٣ و٢٨٥ والحديدي ٣/٣٠٥ و٣٠٦ وأبو طالب ٥٧ و٦١ وهاشم وأمية ١٦٦ وأعيان الشيعة ٣٩/١٢٧ و١٢٨ وقد أسندت في الغدير ٧/٣٦٣ إلى مصادر عدة

(١٤٧) مؤمن قريش ١٦١ عن الحديدي ٣/٣٠٦ والسيرة النبوية ١/٨٥ و١٩٧ وثمرات الأوراق ٢/٤ والعباس ٢٢ و٢٣ وهاشم وأمية ١٦٧ والكشاف ١/٤٤٨ (٢/١٠) وتذكرة الخواص ٩ ومعجم القبور ١/١٨٦ والمناقب ٣٤ وديوان أبي طالب ٧ وأعيان الشيعة ٣٩/١٢٨ والبيت الأول في الحلبية ١/٣٢٢، والأخيران في الاصابة ٤/١١٦ وأسنده في الحجة ٦٣ إلى مصادر عدة، وفي شيخ الأبطح ٢٧ مسندة لعدة مصادر وفي ٨٨ أيضاً، وأرجعت في الغدير ٧/٣٣٤ إلى عدة مراجع، وذكر فيه: أن الثعلبي في (تفسيره) رواها وقال: قد اتفق على صحة نقل هذه الأبيات عن أبي طالب مقاتل وعبد الله ابن عباس والقسم ابن محضره وعطاء ابن دينار، كما أن البرزنجي عده من كلام أبي طالب المعروف،

وأما ماذكر من إضافة بيتٍ خامس من قبل القرطبي وابن كثير:

لولا الملامة أو حذاري سبةٍ لوجدتني سمحاً بذاك مبينا

فإن السيد دحلان يقول في أسنى المطالب حوله: فقيل: إن هذا البيت موضوع أدخلوه في شعر أبي طالب، وليس من كلامه أ هـ ـ وقوله هو الصحيح، لأن معنى هذا البيت لايستقيم مع من قبله وفي ذلك تناقض لايصح.

قال الأميني: هب أن البيت الأخير من صلب مانظمه أبو طالب عليه السلام، فإن أقصى مافيه: أن العار والسبة الذين كان أبو طالب عليه السلام يحذرهما خيفة أن يسقط محله عند قريش، فلا تتسنى له نصرة النبي المبعوث صلى الله عليه وآله وسلم، إنما منعاه من الابانة والإظهار لاعتناق الدين، وإعلان الإيمان بما جاء به النبي الأمين، وهو صريح قوله: (لوجدتني سمحاً بذاك مبينا) أي مظهرا، وأين هو عن اعتناق الدين في نفسه، والعمل بمقتضاه من النصرة والدفاع، ولو كان يريد به عدم الخضوع للدين لكان تهافتاً بيناً بينه وبين أبياته الأولى التي ينص فيها: أن دين محمدٍ من خير أديان البرية دينا،وأنه صلى الله عليه وآله وسلم صادق في دعوته أمين على أمته(١٤٨).

د ـ قريش تعرض عمارة ابن الوليد: مشت قريش إلى أبي طالب بعمارة بن الوليد، قائلين له: ياأبا طالب! هذا عمارة بن الوليد أنهد فتى في قريش وأشعره وأجمله، فخذه فلك عقله ونصرته، واتخذه ولداً فهو لك، وأسلم لنا ابن أخيك هذا الذي قد خالف دينك ودين آبائك، وفرق جماعة قومك وسفه أحلامهم، فنقتله ـ فإنما رجلٌ لرجل، فأجابهم أبو طالب: والله بئس ماتسومونني! أتعطونني ابنكم أغذوه لكم، وأعطيكم ابني تقتلونه؟! هذا والله لايكون أبداً، فقال المطعم بن عدي بن نوفل بن عبد مناف لأبي طالب وهو من أحلافه، والله ياأبا طالب لقد أنصفك قومك، وجهدوا على التخلص مما تكرهه فما أراك تريد أن تقبل

وقد أخرجه البيهقي في الدلائل كما يقول شارح الكشاف ٢/١٠ من طريق ابن إسحق عن يعقوب بن عتبة عن مغيرة ابن الأخنس.

وفي هامش ٢٥٧ ذكر محقق الحجة: ذكرها ابن دحلان في أسنى المطالب ١٠ بإسقاط البيت الأول، وأوردها العلامة محب الدين أفندي في تنزيل الآيات على الشواهد من الأبيات، شرح شواهد الكشاف ١٤٥، والعلامة أبو السعود بهامش تفسير الفخر الرازي ٤/٣٩ والآلوسي البغدادي في بلوغ الأرب ١/٣٢٥، وعبد القادر البغدادي في خزانة الأدب ١/٢٦١ وأبو الفداء في تاريخه ١/١٢٠، كما ذكرت في البداية والنهاية ٣/٤٢، والمواهب اللدنية ١/٦١، وفتح الباري ١٥٣ و١٥٥، وطلبة الطالب ٥

(١٤٨) الغدير ٧/٦٣٥

منهم شيئاً، فأجابه أبو طالب: والله، ماأنصفوني! ولكنك قد أجمعت خذلاني ومظاهرة القوم علي، فاصنع مابدا لك[149].

فقال أبو جهل: ماجواب ماجئناك فيه، وشكوناه إليك من ابن أخيك فقال: سأنهاه عن ذلك، فانصرفوا.

وقد نظم أبو طالب قصيدة عرّض فيها بالمطعم بن عدي على خذلانه إياه، ثم ذكر من خذله ونصب له العداء من قريش، وهي:

ألا قل لعمرٍ والوليد ومطعمٍ ... ألا ليت حظي من حياطتكم بكر[150]
من الخور حبحاب كثير رغاؤه ... يرش على الساقين من بوله قطر[151]
تخلف خلف الود ليس بلاحقٍ ... إذا ماعلى الفيفاء قيل له وبر[152]
أرى أخوينا من أبينا وأمنا ... إذا سئلا قالا إلى غيرنا الأمر
بلى لهما أمر، ولكن تجرجما ... كما جرجمت من رأس ذي علقٍ صخر[153]
أخص خصوصاً عبد شمس ونوفلاً ... هما نبذانا مثلما ينبذ الجمر
هما أغمرا للقوم في أخويهما ... فقد أصبحا منهم أكفهم صفر
هما أشركا في المجد من لاأباً له ... من الناس إلا أن يرس له ذكر[154]
وتيم ومخزوم وزهرة منهم ... وكانوا لنا مولى إذا بني النصر
فوالله لاتنفك منا عداوة ... ولامنهم ماكان من نسلنا شفر[155]

---

(149) مؤمن قريش ١٦٧ عن الطبري ٢/٦٧ والسيرة الحلبية ١/٣٢٣ والنبوية ١/١٩٧ والهشامية ١/٢٨٦ والحديدي ٣/٣٠٦ وأبو طالب ٦١ و٦٣ والبحار ٦/٤٤٦ وتذكرة الخواص ٩ والغدير ٧/٣٦٠ مسنده لعدة مصادر، والأعيان ٣٩/١٢٩ والحجة ٣٥٦

(150) البكر: الفتي من الإبل

(151) الخور: الضعف، الحبحاب: القصير الدميم السيء الخلق، ويروى جبجاب ومعناه الكثير ولايرد هنا وخبخاب بمعنى المزيل

(152) الفيفاء: المفازة لاماء فيها، الوبر: دويبة تشبه السنونو وهي دونه

(153) تجرجم: سقط وانحدر، وذوعلق: جبل لبني أسد، لهم فيه يوم على ربيعة بن مالك

(154) رسّ الحديث: حدث به في إسرار

(155) ليس هنا شفر أي ليس هنا أحد

فقد سفهت أحلامهم وعقولهم ... وكانوا كجفرٍ بئس ما صنعت جفر
وماذاك إلا سؤدد خصّنا به ... إله العباد واصطفانا له الفخر[156]
رجال تماروا حاسدين وبغضة ... لأهل العلى فبينهم أبداً وتر
(وليد) أبوه كان عبداً لجدنا ... إلى عجلةٍ زرقاء حال بها السحر[157]

هـ ـ أبو طالب ينتقم من ابن الزبعرى:

قال السيد فخار: أخبرني السيد عبد الحميد ابن التقي الحسيني النسابة رحمه الله بإسناده إلى الأصبغ ابن نباته، قال: سمعت أمير المؤمنين علياً عليه السلام يقول: «مرّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بنفرٍ من قريش وقد ذبحوا جزورا، وكانوا يسمونها (الظهيرة) ويذبحونها على النصب، فلم يسلم عليهم، فلما انتهى إلى دار الندوة، قالوا: يمر بنا يتيم أبي طالب فلم يسلم علينا، فأيكم يأتيه فيفسد عليه مصلاه؟ فقال عبد الله ابن الزبعرى السهمي: أنا أفعل، فأخذ الفرث والدم فانتهى إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم (وهو ساجد) فملأ به ثيابه ومظهره، فانصرف النبي صلى الله عليه وآله وسلم حتى أتى عمه أبا طالب، فقال: [ياعم! من أنا] فقال: ولمَ ياابن أخي؟! فقص عليه القصة، فقال: وأين تركتهم؟ فقال: بالأبطح، فنادى أبو طالب في قومه: ياآل عبد المطلب، ياآل هاشم، ياآل عبد مناف، فأقبلوا عليه من كلِ مكان ملبين، فقال كم أنتم؟ قالوا نحن أربعون قال: خذوا سلاحكم، وأخذوا سلاحهم وانطلق بهم حتى انتهى إلى أولئك النفر، فلما رأوه أرادوا أن يتفرقوا، فقال لهم: ورب هذه البنية ـ الكعبة ـ لايقومن منكم أحد إلا جللته بالسيف، ثم أتى إلى صفاة (حجر صوان) كانت بالأبطح فضربها ثلاث ضربات، حتى قطعها ثلاثة أفهار (الفهر: قطعة تملأ الكف) ثم قال: يامحمد! سألتني من أنت، ثم أنشأ يقول، ويومي إلى النبي الكريم:

---

(١٥٦) ذكرها ابن هشام في سيرته ٢٨٦ عدا هذه الأبيات الثلاثة، وقال: تركنا منها بيتين أقذع فيهما، وذكرهما الأميني في الغدير ٣٦١/٧، وذكر قول ابن هشام وعقب عليه: حذف ابن هشام منها ثلاثة أبيات لاتخفى على أحد غايته الوحيدة... الخ، وذكر بعد هذه الثلاثة

(١٥٧) يريد بالوليد: الوليد بن المغيرة الذي كان أبوه عبداً لجده، كان الوليد هذا من المستهزئين بالرسول صلى الله عليه وآله وسلم، وهو من بين الذين مشوا إلى أبي طالب مع من مشى من قريش بشأن الرسول، وهو الذي عناه الله تعالى في قوله: ﴿ذرني ومن خلقت وحيداً﴾ وقد كان يسمى الوحيد، مؤمن قريش ١٦٨

أنـت الـنـبـي محمـد قرم أغـر مسـود

حتى أتى على الأبيات، ثم قال: يامحمد! أيهم الفاعل بك؟ فأشار النبي إلى عبد الله بن الزبعرى السهمي الشاعر، فدعاه أبو طالب فوجأ أنفه حتى أدماه، ثم أمر بالفرث والدم فأمرّ على رؤوس الملأ كلهم، ثم قال: ياابن أخي! أرضيت، ثم قال: سألتني من أنت؟ أنت محمد بن عبد الله ثم نسبه إلى آدم عليه السلام، ثم قال: أنت والله! أشرفهم حسباً، وأرفعهم منصباً، يامعشر قريش! من شاء منكم يتحرك فليفعل، أنا الذي تعرفونني، وفي رواية: فأنزل الله صدراً من سورة الأنعام: ﴿ومنهم من يستمع إليك، وجعلنا على قلوبهم أكنة أن يفقهوه وفي آذانهم وقراً﴾(١٥٨).

ونورد بعض من أبيات هذه القصيدة:

أنـت الـنـبـي محمـد قرم أغـرّ مسـود(١٥٩)
لمسـوديـن أكـارم طابـوا وطـاب المـولـد
نِعـمَ الأرومـة أصـلهـا عمـرو الخضم الأوحـد(١٦٠)
هشـم الـربـيكـة في الجـ فان وعيش مكـة أنكـد(١٦١)
فجـرت بذلـك سنـة فيـهـا الخـبـيـزة تثـرد
ولنـا السقـايـة للحجيج بها يهاث الـعـنـجـد(١٦٢)
والمأزمـان ومـاحـوت عرفـاتهـا والمسجـد(١٦٣)

---

(١٥٨) الحجة ٣٤٧ و٣٤٨، وذكر القصة العلامة الشيخ عبد الرحمن الصفوري الشافعي في (نزهة المجالس) ٢/١٢٢ بأن مؤذني النبي عقبة بن أبي معيط، وأن أبا طالب أنشد: والله لن يصلوا إليك بجمعهم... الخ، وذكر مثل ذلك في ابن حجة الحموي في (ثمرات الأوراق) بهامش (المستطرف) ٢/٣ ناقلاً عن كتاب (الأعلام) للقرطبي، ويحتمل أن القضية صدرت بواقعتين، وأورد القصة العلامة الفتوني في (ضياء العالمين) ناسباً لها إلى أعلام السنة وأساطينهم، مسندة للأصبغ بن نباتة عن أمير المؤمنين علي عليه السلام.

(١٥٩) القرم: السيد العظيم، وقيل: الفحل أقرب الموارد (م/قرم) وفي ابن أبي الحديد ٣/٣١٥ (أعز) بدل (أغر)

(١٦٠) عمرو، هو: هاشم بن عبد مناف، الخضم: الكريم

(١٦١) هشم الثريد: كسر الخبز وفته، وبله بالمرق حتى يكون زبداً، الربيكة: الزبدة التي يخالطها اللبن، وهو هنا كناية عن الخبز والمرق، الجفان: بكسر الجيم، جمع جفنة، بفتح الجيم وسكون الفاء: القصعة الكبيرة، أنكد: أي قليل

(١٦٢) يهاث: يذاب، العنجد: الزبيب، أو الأسود منه، أو ضرب منه

(١٦٣) المأزمان: مضيق بين جمع وعرفة، وآخر بين مكة ومنى

أنّـى تضـام ولم أمـت وأنـا الشجـاع العـربـد[١٦٤]
وبطـاح مكـة لايـرى فيـهـا نجـيـع أسـود
وبـنـو أبـيـك كأنهـم أسـد الـعـريـن توقـدوا
شم قماقـمـة غيـ ـوث ندى بحـار تزبـد
ولقـد عهـدتـك صادقـاً في الـقـول لاتـتـزيـد
مازلـت تنطـق بالـصـواب وأنـت طفـل أمـرد[١٦٥]

و ـ أبو طالب يفقد النبي :

عن الواقدي، قال: كان أبو طالب بن عبد المطلب لايغب صباح النبي صلى الله عليه وآله وسلم ولامساءه، ويحرسه من أعدائه، ويخاف أن يغتالوه، فلما كان ذات يوم فقده فلم يره، وجاء المساء فلم يره، وأصبح الصباح فطلبه في مظانه فلم يجده، فلزم أحشاءه، وقال: واولداه، وجمع عبيده ومن يلزمه في نفسه، فقال لهم: إنّ محمداً قد فقدته في أمسنا ويومنا هذا، ولاأظن إلا أنّ قريشاً قد اغتالته وكادته، وقد بقي هذا الوجه ماجئته، وبعيد أن يكون فيه، واختار من عبيده عشرين رجلاً، فقال: امضوا! وأعدوا السكاكين، وليمض كل رجل منكم وليجلس إلى جانب سيد من سادات قريش، فإن أتيت ومحمد معي فلا تحدثوا أمراً، وكونوا على رسلكم حتى أقف عليكم، وإن جئت ومامحمد معي فليضرب كل رجل منكم الرجل الذي إلى جنبه من سادات قريش، فمضوا وشحذوا سكاكينهم حتى رضوها، ومضى أبو طالب في الوجه الذي أراده، ومعه رهط من قومه، فوجده في أسفل مكة قائماً يصلي إلى جانب صخرة، فوقع عليه وقبّله، وأخذ بيده، وقال: ياابن أخي! لقد كدت أن تأتي على قومك، سر معي، فأخذ بيده، فجاء إلى المسجد وقريش في ناديهم جلوس عند الكعبة، فلما رأوه قد جاء ويده في يد النبي صلى الله عليه وآله وسلم، قالوا: هذا أبو طالب قد جاءكم بمحمد، إن له لشأناً؟! فلما وقف عليهم والغضب في وجهه، قال لعبيده: أبرزوا مافي أيديكم، فأبرز كل منهم مافي يده، فلما رأوا السكاكين، قالوا: ماهذا ياأبا طالب؟ قال: ماترون! إني طلبت محمداً فلم أره منذ يومين، فخفت أن تكونوا كدتموه ببعض شأنكم،

---

(١٦٤) العربد: بكسر العين وفتح الباء: الشديد في كل شيء، وذكر الأفاعي

(١٦٥) مؤمن قريش ١٧٤ و١٧٥ عن الحديدي ٣/٣١٥، والحجة ٧٢، وشيخ الأبطح ٢٨ وهاشم وأمية ١٧٣ و١٧٤ وديوان أبي طالب ١٢ و١٣ وأعيان الشيعة ٣٠/١٤٣، والغدير ٧/٣١٥ وقد قال ابن أبي الحديد: أنها من شعره المشهور

فأمرت هؤلاء أن يجلسوا حيث ترون، وقلت لهم: إن جئت وليس محمد معي فليضرب كل منكم صاحبه الذي إلى جنبه ولا يستأذنني فيه ولو كان هاشمياً، فقالوا: وهل كنت فاعلاً؟! فقال: اي ورب هذه ـ وأومأ إلى الكعبة ـ فقال له المطعم بن عدي بن نوفل بن عبد المطلب ـ وكان من أحلافه ـ لقد كدت تأتي على قومك؟ فقال: هو ذاك، ومضى به وهو يقول:

ألا أبلغ قريشاً حيث حلت ... وكل سرائر منها غرور
فإني والضوابح عاديات ... وماتتلوا السفاسرة الشهور[١٦٦]
لآل محمد راعٍ حفيظ ... وود الصدر مني والضمير
فلست بقاطع رحمي وولدي ... ولو جرّت مظالمها الجزور
أياً مر جمعهم أبناء فهر ... بقتل محمد والأمر زور
فلا وأبيك لا ظفرت قريش ... ولا أمّت رشاداً إذ تشير
بُني أخي ونوط القلب مني ... وأبيض ماؤه غدق كثير
ويشرب بعده الولدان رياً ... واحمد قد تضمنه القبور
أيا ابن الانف[١٦٧] أنف بني قصي ... كأن جبينك القمر المنير[١٦٨]

٢ ـ «الحِصَارُ فِيْ الشِعب»

ويكفيك في الشِعب الشهير شهادة ... بأنك في الإيمان قدوة باسل

أحمد خيري الحسيني ـ / أسنى المطالب ١٦/

أ ـ وعندما تأكدت قريش أن أبا طالب لم ولن يتخلى عن محمدٍ رسول الله، فقد سمعوا منه

---

(١٦٦) يروى بدل الضوابح، السوابح كل يوم، السفاسرة: أصحاب الأسفار، وهي الكتب، الشهور: العلماء، جمع الشهر، كذا فسر البيت في (تاج العروس) ٣/٢٧٢ و٣٢٠ والسفاسرة جمع سفير: القيم بالأمر، المصلح له، العالم بالأصوات، الرجل الظريف، الحداد الماهر

(١٦٧) الأنف: السيد

(١٦٨) الغدير ٧/٣٥٠ و٣٥١، ومؤمن قريش ١٧٢ و١٧٣ عن شيخ الأبطح ٦١ و٢٧ وأبو طالب ٦٧ و٦٨ وإثبات الوصية ٩٦ وأعيان الشيعة ٣٩/١٤٩، والحجة ٢٥٤، ٢٥٦ وذكر في الهامش: أن ابن سعد في (طبقاته الكبرى) ١/١٣٥ ذكر هذه الرواية بأسلوب آخر، وإن لم يختلف المضمون، ورواها السيد ابن طاووس في (الطرائف) مخطوط ـ عن الفقيه الحنبلي إبراهيم بن علي بن محمد الدينوري في كتابه (نهاية الطلب وغاية السؤل في مناقب آل الرسول) بإسناده عن عبد الله بن المغيرة بن المعقب، وذكر الشيخ المجلسي في البحار ٩/٣١، وقال: روى جامع الديوان ـ يعني ديوان أبي طالب ـ نحو هذا الخبر مرسلاً، ثم ذكر الأشعار هكذا! فذكر الأشعار وفيها زيادة عشرين بيتاً على ماذكر، وهي لاتوجد في الديوان المطبوع لسيدنا أبي طالب، ومنهم من يورد الأبيات:

اذهب بني فما عليك غضاضة ... اذهب وقرّ بذاك منك عيون

القصائد والأقوال العديدة المبيّنة لرأيه، ورأوا منه تلك المواقف الصلبة التي دافع فيها عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم دفاعاً حقيقياً، وعلموا تصميمه على عدم التخلي عن رسول الله، فمن أقواله:

كذبتم وبيت الله نبزى محمداً ... ولما نطاعن دونه ونناضل
ونسلمه حتى نصرَّع حوله ... ونذهل عن أموالنا والحلائل

ويروى: ونحميه حتى نصرع دونه

وقوله:

والله لن يصلوا إليك بجمعهم ... حتى أوسد في التراب دفينا
فاصدع بأمرك ماعليك غضاضة ... وابشر بذاك وقر منك عيونا

وقوله:

يرجون منا خطةً دون نيلها ... ضرابٌ وطعن بالوشيج المقوم
يرجون أن نسخى بقتل محمدٍ ... ولم تختضب سمرُ العوالي من الدم
كذبتم وبيت الله حتى تفلقوا ... جماجم تلقى في الحطيم وزمزم
وتقطع أرحام وتنسى حليلة ... حليلاً ويخشى محرم بعد محرم
على مامضى من مقتكم وعقوقكم ... وغشيانكم في أمركم كل مأثم
وظلم نبي جاء يدعو إلى الهدى ... وأمرٍ أتى من عند ذي العرش قيم
فلا تحسبونا مسلميه فمثله ... إذا كان في قوم فليس بمسلَم(١٦٩)

فلما سمع المشركون هذه الأقوال وأمثالها من أبي طالب، وشاهدوا قيام بني هاشم معه في نصره، سعت رجال قريش فيما بينهم واجتمعوا وتعاقدوا وقالوا: ننافي بني هاشم ونكتب صحيفةً ونودعها الكعبة، أن لانباعيهم ولانشاريهم، ولانحدثهم ولانستحدثهم ولانجتمع معهم في مجمع، ولانقضي لهم حاجة، ولانقتضيها منهم، ولانقتبسهم ناراً، حتى يسلّموا إلينا محمداً، ويخلّوا بيننا وبينه، أو ينتهي عن تسفيه آلهتنا، وأجمع أهل مكة على ذلك.

وكُتبت الصحيفة، وخُتمت بثمانين خاتماً وفي رواية بأربعين، وكان الذي كتب

---

(١٦٩) مؤمن قريش ١٩٠ عن النهج الحديدي ٣/٣١٢ ـ ٣١٣ والحجة ٣٧ و٣٨ بزيادة خمسة أبيات في أولها وبيتين بعد وتقطع.. وبيت في نهايتها، والغدير ٧/٣٣٣ و٣٣٤ مسنده بزيادة بيتٍ عن مافي الحجة، وذكر بعضها في اختلاف بالألفاظ في إيمان أبي طالب ١٣ وذكرت في هاشم وأمية ١٧١ و١٧٢، وأعيان الشيعة ٣٩/١٤١ بزيادة بيتٍ في نهايتها، وديوان أبي طالب ٢٩

الصحيفة منصور بن عكرمة بن عامر بن هاشم بن عبد مناف بن عبد الدار، وفي رواية بغيض، ويقال ان يده شلت، وعلقت الصحيفة في الكعبة.

وانحاز أبو طالب برسول الله ومن معه من بني هاشم وبني عبد المطلب (مؤمنهم وكافرهم) [١٧٠] إلى الشِعْب الذي يقال له شعب بني هاشم وشعب عبد المطلب وذلك بعد ست سنوات من مبعثه صلى الله عليه وآله وسلم فحصرتهم قريش، وأقاموا بالشعب ثلاث سنين باستثناء أبي لهب[١٧١] الذي مات كافراً، وأبي سفيان[١٧٢] بن الحارث بن عبد المطلب

---

(١٧٠) ربما أن المقصود (بكافرهم) أن بعضهم كان غير مؤمن أول دخوله الشعب ثم آمن، أو أن منهم من كان يكتم إيمانه ويظهر الشرك (ومثله مثل أبي طالب) بدليل أن الرسول صلى الله عليه وآله وسلم عدد رجالاً (ومنهم من بني هاشم) وطلب من المسلمين قبل غزوة بدر أن لايقتلوهم لأنهم خرجوا مكرهين، ومعلوم أن حصار الشعب دام ثلاث سنين، ذاق المحصورون الخوف والجوع والعطش وكان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يعاشرهم وينام معهم وهذا دليل على أنهم بعدوا عن الشرك ـ انظر إيمان العباس بن عبد المطاب رضي الله عنه*ـ.

ويعلق السيد الوالد على أهم نتائج (حصار الشعب) فيقول: وبنو هاشم والمطلب قبيلة واحدة بما ثبت في الحديث الصحيح الذي رواه الطبراني عن جبير بن مطعم قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: [بنو هاشم وبنو المطلب شيء واحد] وقد أعطاهم من خمس الخمس أيضاً، وبدلالة دخولهم الشعب حينما أبى بنو أمية وبنو نوفل الاشتراك معهم، بل تواطأوا مع قريش ضدهم فخرجوا من القرابة (المقالات الدينية ٢٩)

ونقل الأميني في الغدير ٨/٢٦٧ قال: قال جبير بن مطعم: لما قسّم رسول الله سهم ذي القربى بين بني هاشم وبني المطلب أتيته أنا وعثمان فقلت: يارسول الله! هؤلاء بنو هاشم لاينكر فضلهم لمكانك الذي وضعك الله به منهم، أرأيت بني المطلب أعطيتهم ومنعتنا؟ ونحن وهم بمنزلة واحدة! فقال: [إنهم لم يفارقوني] أو[إنهم لم يفارقونا في جاهلية ولا إسلام، وإنما هم بنو هاشم وبنو المطلب ـ شيء واحد] وشبك بين أصابعه، ولم يقسم رسول الله لبني عبد شمس ولا لبني نوفل في ذلك الخمس شيئاً كما قسم لبني هاشم وبني المطلب. صحيح البخاري ٥/٢٨ والاموال ٣٣١ وسنن البيهقي ٦/٣٤٠ ـ ٣٤٢ وسنن أبي داوود ٢/٣١ ومسند أحمد ٤/٢٨١ والمحلى ٧/٣٢٨ وينابيع المودة ١/٤٠ عن سنن النسائي عن سعيد بن المسيب

وقد أشار أبو طالب إلى من امتنع عن دخول الشعب فقال:

أخص خصوصاً عبد شمس ونوفلاً ... هما نبذانا مثلما ينبذ الجمر

(١٧١) أبو لهب: عبد العزى بن عبد المطلب بن هاشم، عم الرسول صلى الله عليه وآله وسلم، من أشد الناس عداوة للنبي والمسلمين، كان غنياً عتياً آذى المسلمين، وأذاقهم ألوان العذاب وحرّض على قتالهم، نزلت فيه وفي زوجته أم جميل (أم قبيح) سورة المسد بسم الله الرحمن الرحيم: ﴿تبت يدا أبي لهب وتب، ماأغنى عنه ماله وماكسب، سيصلى ناراً ذات لهب، وامرأته حمالة الحطب، في جيدها حبل من مسد﴾

وكان أحمر الوجه فلقب في الجاهلية بأبي لهب، هلك بعد وقعة بدر، في ٢ للهجرة ولم يشهدها.

الحجة ٢٠٩ عن الاعلام ٤/١٣٥، وتاريخ الاسلام ١/٨٤ و١٦٩، والمحبر ١٥٧

(١٧٢) أبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب بن هاشم، ابن عم الرسول صلى الله عليه وآله وسلم وأخوه من الرضاعة (أرضعتهما حليمة السعدية أياماً)، وقيل: اسمه المغيرة، والصحيح: أن المغيرة أخوه من أمه غزية بنت طريف بن

(الـذي آسلم وحسن إسـلامـه) وكـانت سنين صعبة حتى أن رسول الله وأبا طالب وخديجة أنفقـوا أمـوالهم جميعهـا ووصلوا إلى حد الضر والفاقة وأشرفوا على الهلاك حتى أكلوا الخبط وورق الشجر(١٧٣).

أ ـ إسلام العباس رضي الله عنه:

قال أهـل العلم بالتـاريـخ: إن العبـاس أسلم قديـماً، يكتم إسـلامـه، وخـرج مع المشركين يوم بدر فقال النبي الكريم: [من لقي العباس فلا يقتله فإنه خرج مستكرهاً] وهو

قريش، كان ترب النبي قبل البعثة، يألفه إلفاً شديداً، وعندما بعث عاداه وهجاه، وهجا أصحابه، وكان شاعراً، وقد رد عليه حسان بن ثابت بقوله:

هجـوت محمـداً فأجبـت عنـه ... وعنـد الله في ذاك الجـزاء

فلما كان عام الفتح وقبل دخول رسول الله مكة ألقى الله في قلبه الإيمان، ورحل معه ولده جعفر فلقيا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في الأبواء وأسلما، وقيل: بل لقيه هو وعبد الله بن أبي أمية بين (السقيا والعرج) (الأبواء والسقيا والعرج مواضع بين مكة والمدينة) فأعرض رسول الله عنهما فكلمته أم سلمة فيهما فقال صلى الله عليه وآله وسلم: [لاحاجة لي بهما]، يقال: فعلم أبو سفيان بذلك، وكان معه ولده، فقال: والله! ليأذن لي، أو آخذ بيد ابني هذا، ثم لنذهبن في الأرض حتى نموت عطشاً وجوعاً، فقال له علي بن أبي طالب عليه السلام: «ائت رسول الله من قبل وجهه، فقل له ماقال أخوة يوسف ليوسف: ﴿تالله لقد آثرك الله علينا وإن كنا لخاطئين﴾ فإنه لايرضى أن يكون أحد أحسن قولاً منه، ففعل ذلك، فقال رسول الله: [اليوم يغفر الله لكم وهو أرحم الراحمين].

قال محب الدين الطبري: شهد أبو سفيان (حنيناً) وأبلى فيها بلاء حسناً وقد ثبت مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حين فر القوم ولم تفارق يده لجام بغلة رسول الله، وهو من الخمسة الذين يشبهون رسول الله، وقد شهد له بالجنة، وقال صلى الله عليه وآله وسلم: [أبو سفيان من خير أهلي].

ونقلت المصادر أنه كان يصلي في كل ليلة ألف ركعة، وقال أبو سفيان بن الحارث ليلة حضرته الوفاة: لاتبكوا عليَّ فإني لم أقترف خطيئة منذ أسلمت، مات في المدينة سنة ٢٠ هـ ودفن في دار عقيل بن أبي طالب، وقال ابن قتيبة: دفن بالبقيع، وقيل سنة ١٦ هـ وقيل ١٥ هـ، وكان هو الذي حفر قبره بيده قبل أن يموت بثلاثة أيام وقال له رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم [الصيد كله في جوف الفرا]

وقد يتوهم البعض أن الخطاب كان لأبي سفيان بن حرب بن أمية، وهذا وهم

وهذا القول: (كل الصيد في جوف الفرا)، قيل: مثل معروف، وأصله أن ثلاثة نفر خرجوا يصطادون، فصاد أحدهم أرنباً، والآخر ظبياً، والثالث فرا (الحمار الوحشي)، فاستبشر صاحب الأرنب وصاحب الظبي بما نالا، وتطولا على الثالث، فقال: (كل الصيد في جوف الفرا) أي هذا الذي رزقت وظفرت به هو خير من صيدكما.

قال الميداني: وتألف النبي صلى الله عليه وآله وسلم أبا سفيان بن الحارث بهذا القول: حين استأذن على النبي فحجب قليلاً، ثم أذن له، فلما دخل قال: يارسول الله! ماكدت تأذن لي حتى تأذن لحجارة الجلهميتين، فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم: [ياأبا سفيان! أنت كما قيل: كل الصيد في جوف الفرا] الحجة ٢١ و٢١٠ و٢١١ عن الإصابة ت ٥٣٨ كنى، وسيرة ابن هشام ٤/٤٠١ و٤٠٠، وذخائر العقبى ٢٤١ و٢٤٣ والدرجات الرفيعة ١٦٥ و١٦٧ ومجمع الأمثال ٢/٢٨٢ (١٧٣) الحجة ١٨٩ ـ ١٩٠ ومؤمن قريش ١٩٢ عن الطبري ٢/٧٤ والكامل ٢/٥٩ والسيرة الهشامية ١/٣٧٥ و٣٧٦ والنبوية ١/٢٧٣ والحلبية ١/٣٧٤ والحديدي ٣/٣٠٧، والغدير ٧/٣٦٢ و٣٦٣

يكتب أخبار المشركين من أهل مكة إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم، وكان المسلمون يؤمنون به، وكان يحب الهجرة إلى المدينة لكن النبي الكريم كتب إليه: [ان مقامك بمكة خير لك] ولما بشر أبو رافع رق النبي صلى الله عليه وآله وسلم النبيَ بإسلام العباس فأعتقه. اخرجه ابو القاسم السهمي في (الفضائل).

وعن سويد بن الأصم: أن العباس كان ممن خرج مع المشركين مستكرهاً يوم بدر، فأسر فيمن أسر (الأصح أنه استأسر) وشدوا وثاقه، فسهر النبي صلى الله عليه وآله وسلم تلك الليلة لأنين عمه العباس، فقام رجل من الصحابة فأرخى وثاقه، فقال صلى الله عليه وآله وسلم: [مالي لاأسمع أنين العباس]، قال ذلك الرجل: أرخيت وثاقه، فقال صلى الله عليه وآله وسلم: [افعل ذلك بالأسارى كلهم] اخرجه ابو عمر وصاحب الصفوة - ينابيع المودة للقندوزي الحنفي ٢/٥١

وبعد أن ذكر السيد صدر الدين شرف الدين حديث الرسول صلى الله عليه وآله وسلم عن عمه العباس رضوان الله عليه أنه: [أجود قريش كفاً وأوصلها رحماً] استطرد قائلاً:

صدع النبي صلى الله عليه وآله وسلم بالرسالة فأسرع العباس للإيمان سراً وأبطأ عنه علانية، يحكي بذلك أخاه وزعيمه أبا طالب ويلاقيه من ذلك على حكمته العالية أن يكونا بإسرار الإسلام وإعلان الجاهلية أمنع للنبي ولدينه من إعلانهما الإسلام، ومجاهدتهما للأصنام.

فهو إذن في ظاهر الأمر غير مسلم ولكنه لايمنعه هذا الأمر الظاهر أن يسعى بين يدي ابن أخيه نبي الإسلام إلى المسجد ليقف منه موقف الحارس الأمين حين يصف قدميه للصلاة وخلفه علي في صف، وخلف علي خديجة في صف على دين ليس على وجه الأرض غيرهم عليه يومئذ.

كيف تسنى للعباس أن يحرس هذا الدين، ونبيه يعلن هذه الصلاة التي تنذر الأصنام بالموت، وتؤذن الشرك بأنّ يومه سيخسر بحرب تدمي فيها أعناق المشركين، وللأصنام الدولة يومئذٍ، وللشرك الصولة؟، إنما تسنى له ذلك برأيه الذي أملى عليه أن يسرع إلى الإسلام سراً، فيندفع للنصرة بطبيعة إيمانه، وأن يبطىء عنه علانية، فيستطيع أن يجهر بالحراسة.

ثم إذا حم النزاع بين النبي وبين قريش، وتفاقم الخطب، فأصبحت مكة في جو من الاضطراب والغليان، وجلى النبي من أجل ذلك عن مكة إلى دار هجرته المباركة، فما

يصنع العباس؟ أيلتحق بالنبي؟، أم يتخلف عنه في مكة؟ وإذا تخلف في مكة، أهو على دينه وعلى رأي أهلها في محمد وفي رسالته؟ أفي تخلفه معنى من معاني الخذلان والخروج على النبي؟

كلا، فقد كان العباس: «أنصر الناس للنبي بعد أبي طالب» (الاستيعاب)

وإذا قيل إنه: أنصر الناس للنبي، فقد تعين وقت النصرة المناسب، وزمنها الذي تعد فيه نصرة، وهو هذا الزمن الممتد من بدء الدعوة إلى يوم الفتح، ومن هذا الزمن أيام تأخر العباس في مكة وتخلفه عن النبي.

والنصرة التي تعتبر نصرة، إنما تكون في أزمة تشتد بالمنصور، وتستدعي أن يؤخذ بيده ويشد أزره، وأحوج ماكان النبي إلى النصرة في بدء الدعوة، وإبان النزاع بينه وبين قريش في مكة، فإذا كان في تخلف العباس عنه خذلان، فمتى نصره؟

أنصره حين تطوعت له العرب، وتم له الفتح، والتف حوله جنود الله يجتاحون جيش الشرك، ويخضدون شوكة الطغيان؟

لا، وإنه أنصر الناس للنبي بعد أبي طالب حقاً، وأسمى معانيه كان في تخلفه عن النبي في مكة، وفي إظهار الممالاة والمماشاة لثورة قريش على ابن أخيه فقد لبس من هذا الظاهر ثياب الصديق لثورة قريش - وإنه لعدوها الألد - وتدجج من تلك الممالاة بسلاح فتاك لايقل فتكاً عن سيوف المجاهدين وأسنة الدارعين في سوح القتال وميادين الحرب.

وبهذا ضمن إلى نفسه نصرة كان بها أنصر الناس للنبي بعد أبي طالب، وليست نصرته للنبي سوى نصرة المخلصين للقضية الإنسانية المضطهدة، وتحيز البر رة للنظام الحق.

خرج مع المشركين في بدر! فهو إذن لم يقنع من المماشاة بالتخلف فقط، وإنما أراد أن يؤكدها للمشركين بأنه دالف معهم إلى حرب ابن أخيه، وهاهو يتخطى موقفه السلبي إلى موقف إيجابي ليس وراءه شك أنه معهم يستلئم للحرب وينهد في الرعيل الأول ليناهض محمداً، ولكنه في الواقع كان الباً عليهم مع محمد يزوده بأخبارهم وخططهم وخفايا أسرارهم - (الاستيعاب) - على أنه لم يقنع من لبثه في المشركين بهذه المهمة، بل أضاف إليها أنه كان يعصم المسلمين من الظلم والاضطهاد ماوجد إلى ذلك سبيلا.

ثم ظن أنه استوفى نصيبه من هذا الجهاد الصامت العتيد، واشتاق إلى ظهور المطهمات يطل من قبب سروجها على الميادين، ويبعث منها الموت بسيفه إلى آجال

المشركين، كتب إلى النبي يستأذنه بالالتحاق به، غير أن النبي أقره في مكة على هذه الثغرة يسدها سداً لايستطيعه غيره، وكتب إليه [بقاؤك في مكة خير] (الاستيعاب).

وكان موقف العباس هذا سراً بينه وبين النبي لايعرفه حتى المسلمون، ويتراءى لنا ذلك من وصية النبي للمسلمين يوم بدر: ألا يقتلوا العباس إذا قابلوه. (هاشم وامية) ١٩٠ - ١٩٢

ب - علي ينام في مكان الرسول:

قال ابن كثير: كان أبو طالب مدة إقامتهم بالشعب يأمره صلى الله عليه وآله وسلم فيأتي فراشه كل ليلة حتى يراه من أراد به شراً وغائلة، فإذا نام الناس أمر أحد بنيه أو أخوانه أو بني عمه أن يضطجع على فراش المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم ويأمره أن يأتي بعض فرشهم فيرقد عليها.

وقال أبو طالب مخاطباً ابنه علياً الذي قال: «ياأبت! إني مقتول»:

اصبرن يابني فالصبر أحجى ... كل حي مصيره لشعوب
قد بذلناك والبلاء شديد ... لفداء الحبيب وابن الحبيب
لفداء الأغرّ ذي الحسب الثاقب ... والباع والكريم النجيب
إن تصبك المنون فالنبل تبرى ... فمصيب منها وغير مصيب

فأجابه علي عليه السلام:

أتأمرني بالصبر في نصر أحمد ... فوالله ماقلت الذي قلت جازعا
ولكنني أجمعت أن ترى نصرتي ... وتعلم أني لم أزل لك طائعا
سأسعى لوجه الله في نصر أحمد ... نبي الهدى المحمود طفلاً ويافعا(١٧٤)

(والجود بالنفس أقصى غاية الجود) أبو طالب وعلي يضحيان بنفسيهما في سبيل حماية وسلامة محمد صلى الله عليه وآله وسلم، إنها المفاداة النابعة من الإيمان.

وقد أحسن الشاعر حسن الخياط حين قال:

فعبأت من كهول القوم ندوتها ... تبيت الشر في سر وفي جهر
وحاصرت هاشم العلياء في شعب ... خلو من الماء والأشجار والثمر
تحت الهجير فلا مأوى يظللهم ... وأمرهم صار موكولاً إلى القدر

---

(١٧٤) مؤمن قريش ١٩٤ عن النهج الحديدي ٣/ ٣١٠، والمناقب ١/ /٣٧، والحجة ٧٠، والغدير ٧/ ٣٥٨، وأعيان الشيعة ٣٩/ ١٢ والسيرة النبوية ١/ ٢٧٦ والحلبية ١/ ٣٨، وأبو طالب ٧٣ و٧٤، وديوان أبي طالب ٩

والشيخ يدأب لاينفك يحرسهم من أول الليل حتى آخر السحر
في فحمة الليل يأتي بالنبي إلى مكان (حيدر) خوف الغادر المكر
مرّت ثلاث سنين وهي قائمة ذاقوا بها أسوأ الأحوال والنكر
وكلما دارت الأيام دورتها مَنّتهم قوة الإيمان بالظفر
حتى إذا ماانقضت أيام محنتهم عادوا لأم القرى بالأهل والأسر
وعاد (طه) لنشر الدين مبتهجاً حراً كريماً بوجه غير مستتر

وقد بات علي عليه السلام في فراش رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ليلة خرج مهاجراً من مكة المكرمة إلى المدينة المنورة.

عن موفق بن أحمد بسنده عن حكيم بن جبير عن علي بن الحسين رضي الله عنهما قال: إن أول من شرى نفسه ابتغاء مرضات الله علي بن أبي طالب كرّم الله وجهه، وقال عند مبيته على فراش رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم شعراً:

وقيت بنفسي خير من وطأ الثرى ومن طاف بالبيت العتيق وبالحجر
رسول إله خاف أن يمكروا به فنجّاه ذو الطول الإله من المكر
وبات رسول الله في الغار آمناً موقى وفي حفظ الإله وفي الستر
وبتّ أراعيهم ومابيتوا لي وقد وطنت نفسي على القتل والأسر

أيضاً الحمويني أخرجه بعينه، أيضاً الثعلبي عن عباس وأبي نعيم الحافظ بسنده عن ابن عباس قال:

بات علي على فراش رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ليلة خروجه من مكة ونزلت: ﴿ومن الناس من يشري نفسه ابتغاء مرضات الله﴾ ينابيع المودة ١/٩٠

٣ ـ «معجزة الأرضة»

وقد كان من أمر الصحيفة عبرة متى مايخبر غائب القوم يعجب
محا الله منها كفرهم وعقوقهم ومانقموا من ناطق الحق معرب
فأصبح ماقالوا من الأمر باطلاً ومن يختلق ماليس بالحق يكذب
فأمسى ابن عبد الله فينا مصدقاً على سخط من قومنا غير معتب
أبو طالب(١٧٥)

(١٧٥) الحجة ٢٠٥، والغدير ٣٦ عن الكامل ٢/٣٦

المعجـزة:

آ ـ «يـاعم! إن الأرضـة أكلت جميـع مافي الصحيفـة من القطيعة والظلم، فلم تدع فيها سوى اسم الله فقط».

هذا ماقـالـه رسـول الله صلى الله عليـه وآلـه وسلم لعمـه أبي طالب، فقـال له أبو طالب: ياابن أخي! أربك أخبرك بهذا؟ قال: «نعم» فقال أبو طالب: والثواقب، ماكذبتني قط

ثم انطلق أبـو طالب في عصـابـة من بني هاشم والمطلب حتى أتـوا المسجد، فأنكرت قريش ذلك، وظنوا أنهم خرجوا من شدة البلاء ليسلموا إليهم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

فقـال أبـو طالب: يامعشـر قريش! جرت بيننـا وبينكم أمور لم تذكر في صحيفتكم؟! فأتوا بها لعل الله أن يكون بيننا وبينكم صلح ـ وإنما قال ذلك خشية أن ينظروا فيها قبل أن يأتـوا بها ـ وهم لايشكّـون أن أبـا طالب يدفـع إليهم النبي صلى الله عليـه وآله وسلم، فوضعوها بينهم، وقبـل أن تُفتـح قالـوا لأبي طالب: قد آن لكم أن ترجعـوا عما أحـدثتموه علينا وعلى أنفسكم، فقـال أبـو طالب: أتيتكم في أمـر هو نصف بيننا وبينكم، إن ابن أخي أخبر ني ولم يكـذبني: [أن الله قد بعث على صحيفتكم دابـة فلم تترك فيهـا إلا اسم الله فقط] فإن كان كما يقـول، فأفيقـوا عما أنتم عليـه، فوالله لانسلمـه حتى نمـوت من عنـد آخـرنا، وإن كان باطـلاً: دفعنـاه إليكم فقتلتم أو استحييتم، فقالوا: رضينا، ففتحوها فوجدوها كما قال صلى الله عليه وآله وسلم.

فقـالـوا: هذا سحـر ابن أخيك!!! وزادهم بغياً وعدواناً، فقال لهم أبو طالب بعد أن وجـد الأمـر كما أخـبر به رسـول الله صلى الله عليـه وآلـه وسلم: أتبـين لكم أيّنـا أولى بالسحـر والكهانة، علام نحصر ونحبس وقد بان الأمر، وتبين أنكم أولى بالظلم والقطيعة.

ب ـ تمزيق الصحيفة:

ودخل أبو طالب ومن معه بين أستار الكعبة، ودعا ربه قائلاً: (اللهم انصرنا على من ظلمنا، وقطع رحمنا، واستحل مايحرم عليه منا)(١٧٦).

---

(١٧٦) الغدير ٧/٣٦٢ و٣٦٣، ومؤمن قريش ٢٠٢ عن النبوية ١/٢٧٦ و٢٧٧، والحلبية ١/٣٨١ و٣٨٢، والهشامية ٢/١٦، والكـامـل لابن الأثـير ٢/٧١، والحجة ٤١، والبحـار ٦/٤٢٥ و٥٢٣، وعلى هامش السيرة ٣/٩٧ وأعيان الشيعة ٣٩/١٣٠ و١٣٢

وعند ذلك مشت طائفة من قريش في نقض الصحيفة وعمد إليها هشام بن عمرو وزهير بن أمية، والمطعم بن عدي، وزمعة بن الأسود، وأبو البختري فمزقوها*

جـ ـ أبو طالب يذكر أيام الشعب:

من حق أبي طالب أن يذكر حصار الشعب في قصائده، لأنه بهذا الحصار بلغ قمة الإيمان، ألم تر كيف تخلى عن زعامته، وصار من أخلص أتباع محمد صلى الله عليه وآله وسلم وأنه قدّم نفسه وابنه فداء لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأنه أنفق كل مايملك، وتحمل الخوف والجوع حتى أكل الخبط وورق الشجر، نعم: هكذا يدفع الإيمان صاحبه فيتحمل الصعاب.

جـ/١: يقول في إحدى قصائده:

---

* في رواية محمد بن اسحق: أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم نهى يوم بدر عن قتل أبي البختري، واسمه الوليد بن هشام، لأنه كان أكن الناس عن رسول الله بمكة، وكان لايؤذيه ولايبلغه عنه شيء يكرهه، وكان فيمن قام في نقض الصحيفة التي كتبتها قريش على بني هاشم، فلقيه المجذر بن زياد البلوي حليف الأنصار، فقال له: إن رسول الله نهانا عن قتلك ـ ومع أبي البختري زميل له خرج معه من مكة يقال له: جنادة بن مليحة ـ فقال أبو البختري: وزميلي؟ فقال المجذر: والله مانحن بتاركي زميلك، مانهانا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إلا عنك وحدك، قال: إذن والله لأموتن أنا وهو جميعاً، لاتتحدث نساء أهل مكة: أني تركت زميلي حرصاً على الحياة، فنازله المجذر، وارتجز أبو البختري فقال:

لن يسلم ابن حرة زميله ... حتى يموت أو يرى سبيله

ثم اقتتلا، فقتله المجذر، فجاء إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فأخبره، وقال: والذي بعثك بالحق لقد جاهدت أن يستأسر فآتيك به، فأبى إلا القتال، فقاتلته فقتلته. البحار ١٩/٣٠٣

قال الواقدي: ونهى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عن قتل أبي البختري، وعن قتل الحارث بن عامر بن نوفل، وكان كارهاً للخروج إلى بدر، فلقيه حبيب بن يساف فقتله ولايعرفه، وعن قتل زمعة بن الأسود، فقتله ثابت بن الجدع ولايعرفه، البحار ٩/٣٣٥

وقال صلى الله عليه وآله وسلم يوم بدر، حين أسر أصحابه من أسروا من كفّار قريش: [لو كان مطعم بن عدي حياً وكلمني في هؤلاء لاطلقتهم له» الحجة ٢٦٢

هكذا علمنا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الوفاء:

وماحملت من ناقة فوق رحلها ... أبرّ وأوفى ذمة من محمد

وقد ذكر أبو طالب الذين مزقوا الصحيفة، فقال:

جزى الله رهطاً بالحجون تتابعوا ... على ملأ يهدي لحزم ويرشد

قعوداً لدى خطم الحجون كأنهم ... مقاولة، بل هم أعزّ وأمجد

أعان عليها كل صقر كأنه ... إذا مامشى في رفرف الدرع أحرد

ألا أبلغا عني على ذات بينها ... لؤياً وخصّا من لؤي بني كعب
ألم تعلموا أنا وجدنا محمداً ... نبياً كموسى خطّ في أول الكتب(١٧٧)
وأن عليه في العباد محبة ... ولاحيف فيمن خصّه الله بالحب
وأن الذي رقشتم في كتابكم ... يكون لكم يوماً كراغية السقب(١٧٨)
أفيقوا، أفيقوا قبل أن تحفر الزبى(١٧٩) ... ويصبح من لم يجنِ ذنباً كذي ذنب
ولاتتبعوا أمر الغواة وتقطعوا ... أواصرنا بعد المودة والقرب
وتستجلبوا حرباً عواناً وربما ... أمرّ على من ذاقه حلب الحرب(١٨٠)
فلسنا ـ وبيت الله ـ نُسلم أحمداً ... لعزّاء من عضّ الزمان ولاكرب
ولمّا تبن منّا ومنكم سوالف ... وأيدٍ أترّت بالمهندة الشهب(١٨١)
بمعترك ضنك ترى كسر القنى ... به والضباع العرج تعكف بالشرب(١٨٢)
كأن مجال الخيل في حجراته ... ومعمعة الأبطال معركة الحرب
أليس أبونا هاشم شد أزره ... وأوصى بنيه بالطعان وبالضرب
ولسنا نملُّ الحرب حتى تملنا ... ولانشتكي مما ينوب من النكب
ولكننا أهل الحفائظ والنهى ... إذا طار أرواح الكماة من الرعب(١٨٣)

---

(١٧٧) راجع ماذكرناه سابقاً حول بشارة الأنبياء بالرسول الكريم.

(١٧٨) رقشتم: رقش كتب وسطر، السقب: هو ولد الناقة، والمراد به: سقب ناقة صالح عليه السلام الذي رغا ـ أي صاح ـ ثلاث رغوات بعد عقرانه، وأهلك الله ثموداً، وضرب به المثل، قال علقمة الفحل:

رغا فوقهم سقب السماء فداحض ... بشكته لم يستلب وسليب

(١٧٩) الزبى: بضم الزاي وفتح الباء المعجمتين، جمع الزابية: وهي الرابية التي لايعلوها ماء، ويروى: الربى، بالراء المهملة، والمعنى واحد، وفي رواية ابن هشام ١/٣٥٣: (أن يحفر الثرى)

(١٨٠) ويروى: وتستحلبوا، بالحاء المهلة، والاستحلاب: طلب الحليب، استعير هنا لثوران الفتن طلباً للحرب، والحرب العوان: أشهر الحروب، والحلب بالتحريك: اللبن المحلوب وأراد به مايترتب على الحرب من الخسائر، وفي ابن هشام ١/٣٥٣: (جلب الحرب)

(١٨١) ويروى ـ أبيرت، / واترت: قطعت، وعند ابن هشام ١/٣٥٣: (وأيد أترت بالقاسية الشهب)

(١٨٢) في ابن أبي الحديد ٣/٣١٣ (قصد) بدل (كسر) والعرج: هي الضباع، فهو بدل مما قبله، وتعكف بالبناء للفاعل والسرب، بالسين المهملة جمع السربة، وهي: القطيع والجماعة من الضباء والخيل ونحوها، ويروى بفتح الشين المعجمة: جمع الشارب، وهو الأصح

(١٨٣) الحجة هامش ١٩٤ وذكر الأبيات ابن هشام ١/٣١٩ مع زيادة بيتين في آخرها، وابن دحلان في (أسنى المطالب) ١٠، وذكر الأبيات الثلاثة الأوليات الألوسي البغدادي في (بلوغ الأرب) ١/٣٢٥ وعبد القادر البغدادي في

جـ/٢ ـ وقال أيضاً مخاطباً قريشاً:

ألم تعلموا أن القطيعة مأثم ... وأمر بلاء قائم غير حازم
وأن سبيل الرشد يعلم في غدٍ ... وأن نعيم الدهر ليس بدائم
فلا تسفهنْ أحلامكم في (محمد) ... ولاتتبعوا أمر الغواة الأشائم
تمنيتمُ أن تقتلوه وإنما ... أمانيكم هذي كأحلام نائم
وانكم والله لاتقتلونه ... ولما تروا قطف اللحى والغلاصم
زعمتم بأنا مسلمون محمداً ... ولما نقاذف دونه ونزاحم
من القوم مفضال أبيٌّ على العدا ... تمكن في الفرعين من آل هاشم
أمين حبيب في العباد مسوم ... بخاتم رب قاهر في الخواتم
يرى الناس برهاناً عليه وهيبة ... وما جاهل في قومه مثل عالم
نبي أتاه الوحي من عند ربه ... ومن قال: لا، يقرع بها سن نادم[184]

جـ/٣ وقال أيضاً:

جزى الله عنا عبد شمس ونوفلاً ... وتيماً ومخزوماً عقوقاً ومأثما
بتفريقهم من بعد ودٍ وإلفة ... جماعتنا كي ماينالوا المحارما
كذبتم ـ وبيت الله ـ نبزى محمداً ... ولَما تروا يوماً لدى الشعب قائما[185]

جـ/٤/ قال ابن اسحاق فلما مزقت الصحيفة وبطل مافيها، قال أبو طالب فيما كان من أمر أولئك النفر الذي قاموا في نقضها:

ألا هل أتى بحرينا صنع ربنا ... على نأيهم والله بالناس أرود[186]
فيخبرهم أن الصحيفة مزقت ... وأن كل مالم يرضه الله مفسد

(خزانة الأدب) ١/٢٦١، وابن أبي الحديد في (شرحه) ٣/٣١٣ باختلاف يسير، (والروض الانف) ١/٢٢٠، (وتاريخ ابن كثير) ٣/٨٧، وطلبة الطالب ١٠، والغدير ٧/٣٣٢

(١٨٤) مؤمن قريش ١٩٧ عن الحديدي في (شرحه) ٣/٣١٣ عدا البيتين الأخيرين، والحجة ٤٣ و٤٤، وشيخ الأبطح ٣٨ و ٣٩، وهاشم وأمية ١٧٣، والغدير ٧/٣٣١ و ٣٣٢، وذكرت خمسة أبيات منها في (إيمان أبي طالب) ١٤، وذكرت الثلاثة الأخيرة كشاهد في العباس ٢٢،

و(أعيان الشيعة) ٣٩/١٤١ و١٤٢ عدا البيتين الأولين

(١٨٥) مؤمن قريش ١٩٩ عن (معجم البلدان) ٥/٢٧ و٣/٣٤٧ و(السيرة الهشامية) ٢/١١، وذكر البيت الأول على أنه مستهل قصيدة لأبي طالب في السيرة النبوية ١/٢٧٣، والحلبية ١/٣٧٥

(١٨٦) البحري: نسبة للبحر ـ ويراد به هنا ـ مهاجروا المسلمين للحبشة، الأرود: لين المعاملة، أرفق

تراوحها إفك وزورٌ مجمعٌ ... ولم يلف سحر آخر الدهر يصعد
تداعى لها من ليس فيها بقرقرٍ ... فطائرها في رأسها يتردد(١٨٧)
وكانت كفاء وقعة بأثيمةٍ ... ليقطع منها ساعد ومقلد
ويظعن أهل المكتين فيهربوا ... فرائصهم من خشية الشر ترعد
ويترك حراث يقلب أمره ... (أيتهم) فيها عند ذاك (وينجد)(١٨٨)
وتصـ ـد بين الأخشبين كتيبة ... لها حدج سهم وقوس ومرهد(١٨٩)
فمن ينشَ من حضار مكة عزه ... فعزتنا في بطن مكة أتلد(١٩٠)
نشأنا بها والناس فيها قلائل ... فلم ننفك نزداد خيراً ونحمد
ونطعم حتى يترك الناس فضلهم ... إذا جعلت أيدي المفيضين ترعد(١٩١)
جزى الله رهطاً بالحجون تتابعوا ... على ملأٍ يهدي لخدمٍ ويرشد
قعوداً لدى خطم الحجون كأنهم ... مقاولة بل هم أعزّ وأمجد(١٩٢)
أعان عليها كل صقرٍ كأنه ... إذا مامشى في رفرف الدرع أحرد(١٩٣)
ألا إن خير الناس نفساً ووالداً ... إذا عد سادات البرية أحمد
نبي الإله والكريم بأصله ... وأخلاقه وهو الرشيد المؤيد
حزيم على جلّى الأمور كأنه ... شهاب بكفي قابس يتوقد
من الأكرمين من لؤى ابن غالبٍ ... إذا سيم خسفاً وجهه يتربد
طويل النجاد خارج نصف ساقه ... على وجهه يسقى الغمام ويسعد(١٩٤)

---

(١٨٧) القرقر: اللين السهل، الضحوك بترجيع وعلو واستغراب، فيجوز أن يكون المراد ليس بدليل على معنى الكلمة الأولى - أوليس بهازل ضد الجاد - على معنى الثاني، ويراد من الطائر هنا: الحظ من الشر والشؤم، وقد جاء بالقرآن الكريم: ﴿وكل إنسان ألزمناه طائره في عنقه﴾ هود ١٣

(١٨٨) الحراث: المكتسب، يتهم: يأتي تهامة، ينجد: يأتي نجداً

(١٨٩) الأخشبان: جبلان بمكة، المرهد: الرمح اللين

(١٩٠) ينش: ينشأ: فحذف هنا الهمزة، التليد: القديم والأتلد: الأقدم

(١٩١) علق الأميني على هذا البيت بقوله المفيضين: الضاربون بقداح الميسر، يريد سلام الله عليه أنهم يطعمون إذا بخل الناس

(١٩٢) المقاولة: الملوك

(١٩٣) رفرف الدرع: مافصل منها، أحرد: بطيء المشي لثقل الدرع

(١٩٤) النجاد: حمائل السيف، وطويل النجاد: كناية عن طول القامة

عظيم الرماد سيدٌ وابن سيدٍ ... يحض على مقري الضيوف ويحشد[195]
ويبني لأبناء العشيرة صالحاً ... إذا نحن طفنا في البلاد ويمهد
هو القائل المهدي به كل منسرٍ ... عظيم اللواء أمره الدهر يحمد[196]
إذا قال قولاً لايعاد لقوله ... كوحي الكتاب في صفيح يخلد
بجيش له من هاشمٍ يتبعونه ... يسددهم رب الورى ويؤيد
همُ رجعوا سهل ابن بيضاء راضياً ... وسر إمام العالمين محمد
تتابع فيها كل ليث كأنه ... إذا مامشى في رفرف الدرع أحرد
قضوا ماقضوا في ليلهم ثم أصبحوا ... على مهلٍ وسائر الناس رُقد
سلوا من قريش كل كهلٍ وأمرد ... وان قد بغانا اليوم كهلٌ وأمرد
متى أشرك الأقوام في جُلِ أمرنا ... وكنا قديماً قبلها نتودد
وكنا قديماً لانقر ظلامة ... وندرك ماشئنا ولانتشدد
فيا لقصي هل لكم في نفوسكم ... وهل لكمُ في مايجيء به الغد
وإني وإياكم كما قال قائلٌ ... لديك البيان لو تكلمت أسود[197]

الفصل الثاني

أ ـ «أبو طالب يدافع عن المسلمين»

لم يقتصر دفاع أبي طالب على شخص الرسول الكريم فحسب، وإنما شمل المسلمين فمن ذلك

---

(١٩٥) عظيم الرماد: تعبير رمزي يراد منه الرجل المضياف ذو الجود الفياض واليد النديانة وعبر عنه بذلك لكثرة مايطهي من الطعام لضيوفه

(١٩٦) ويروى: ألظّ بهذا الصلح كل مبرء، الظّ: ألح ولزم

(١٩٧)أسود: جبل قتل فيه قتيل فلم يعرف قاتله، فقال أولياء المقتول: لديك البيان لو تكلمت أسود

الغدير ٧/٦٨٤ و٦٦٥ عن طبقات ابن سعد ١/١٧٣ و١٩٢ وسيرة ابن هشام ١/٣٩٩، ٤٠٤ وعيون الأخبار لابن قتيبة ٢/١٥١، وتاريخ اليعقوبي ٢/٢٢، والاستيعاب ترجمة سهل بن بيضا ٢٢/٥٧٠، وصفوة الصفوة ١/٣٥ والروض الانف ١/٢٣١، وخزانة الأدب للبغدادي ١/٢٥٢، وديوان أبي طالب ١٣ والسيرة الحلبية ١/٣٥٧ و٣٦٧ وسيرة زيني دحلان هامش الحلبية ١/٢٨٦ و٢٩٠ وطلبة الطالب ٩ و١٠ و٤٤ وأسنى المطالب ١١ و١٢، وفي نسب قريش ٦ و٧ وذكرت الثلاثة الأولى في أعيان الشيعة ٣٩/١٣٤ والبداية والنهاية ٣/٩٧ و٩٨

١ ـ يثأر لعثمان بن مظعون(١٩٨)

كان عثمان بن مظعون يقف بباب الكعبة ويعظ الناس أن لايعبدوا الأصنام، فوثبت عليه فتية من قريش وضربوه فوقعت ضربة أحدهم على عينة ففقأتها، وبلغ أبا طالب ذلك فغضب غضباً شديداً وقام في أمره حتى أخذ بثأره، وكانوا قد اجتمعوا إلى أبي طالب وناشدوه أن يدعها ويدوّن له الديّة، فأقسم لهم: إني لاأرضى حتى أقلع عين الذي قلع عينه، فكان ماأراد، وذكر هذه الحادثة في أبيات:

أمن تذكر دهرٍ غير مأمون ... أصبحت مكتئباً تبكي لمحزون
أمن تذكر أقوام ذوي سفه ... يغشون بالظلم من يدعى إلى الدين
لاينتهون عن الفحشاء ماأمروا ... والعذر فيهم سبيل غير مأمون
ألا ترون أذل الله جمعكم(١٩٨) ... انا غضبنا لعثمان بن مظعون
إذ يلطمون ولايخشون مقلته ... طعناً دراكاً وضرباً غير موهون
فسوف نجزيهم إن لم نمت عجلاً ... كيلاً بكيلٍ جزاءً غير مغبون
أوينتهون عن الأمر الذي وقفوا ... فيه ويرضون منا بعد بالدين
ونمنع الضيم من يبغي مضيمتنا ... بكل مضطردٍ بالكف مسنون
ومرهفاتٍ كأن الملح خالطها ... يشفى بها الداء من هام المجانين
حتى تقر رجال لاحلوم لها ... بعد الصعوبة بالاسماح واللين
أويؤمنوا بكتابٍ منزل عجب ... على نبي كموسى أوكذي النون
يأتي بأمرٍ جلي غير ذي عوجٍ ... كما تبين في آيات ياسين(١٩٩)

٢ ـ يجير أبا سلمة المخزومي:

أسلم أبوسلمة بن عبد الأسد المخزومي، فأرادت قريش أن تعذبه لتصرفه عن

---

(١٩٨) عثمان بن مظعون بن حبيب بن وهب الجمحي، أبو السائب: كان من حكماء العرب في الجاهلية، أسلم بعد ثلاثة عشر رجلاً، وهاجر إلى الحبشة الهجرة الأولى، شهد بدراً، ومات بعدها في السنة الثانية من الهجرة، وهو أول من مات بالمدينة من المهاجرين، وأول من دفن بالبقيع، ورثي:

ياعين جودي بدمع غير ممنون ... على رزية عثمان بن مظعون

راجع الاصابة ت ٥٤٥٥، وطبقات ابن سعد ٦/٢٨٦ ومعجم الشعراء ٨٩، وصفوة الصفوة ١/١٧٨ وحلية الأولياء ١/١٠٢، والأعلام ٤/٣٧٨، والحجة ٢٢١/١٣، ويروى: ألا يرون أقل الله خيرهم

(١٩٩) مؤمن قريش ١٧٨ عن الحديدي ٣/٣١٣ والحجة ٥٠ والغدير ٧/٣٣٥ وهاشم وأمية ٢٠١ وشيخ الأبطح ٣٠ وفيه زيادة وديوان أبي طالب ٩ و١٠ بزيادة وأعيان الشيعة ٣٩/٤٢

الإسلام فلجأ إلى أبي طالب، فخلصه من العذاب، فجاء وفدٌ من مخزوم إلى أبي طالب وقالوا له: ياأبا طالب! هبك منعت منا ابن أخيك محمداً، فما بالك ولصاحبنا تمنعه منا؟! فأجابهم: إنه استجار بي وهو ابن أختي[200] وإن أنا لم أمنع ابن أختي لم أمنع ابن أخي[201].

٣ ـ يوصي النجاشي بالمسلمين:

ولسيدنا أبي طالب أبيات كتبها إلى النجاشي بعد خروج عمرو بن العاص وصاحبه إلى بلاد الحبشة ليكيد جعفر بن أبي طالب وبقية المهاجرين المسلمين، يحض فيها النجاشي على إكرام جعفر وأصحابه وهي:

ألا ليت شعري كيف في الناس جعفر ... وعمرو وأعداء النبي الأقارب
وهل نال إحسان النجاشي جعفراً ... وأصحابه أم عاقَ عن ذاك شاغب
تعلم أبيت اللعن انك ماجدٌ ... كريم فلا يشقى إليك المجانب
وتعلم أن الله زادك بسطةً ... وأسباب خيرٍ كلها بك لازب[202][203]

---

(٢٠٠) برة بنت عبد المطلب شقيقة عبد الله والد الرسول الكريم وأبي طالب والزبير كان قد تزوجها أبو رهم بن عبد العزى العامري فولدت له أبا سبرة ثم تزوجها عبد الأسد بن هلال المخزومي فولدت له عبد الله وهو أبو سلمة، سلسلة آباء النبي ٣٠٨

(٢٠١) مؤمن قريش ١٨٠ عن شيخ الأبطح ٢٩، والنهج الحديدي ٣/٣٠٦ و٣٠٧ والسيرة الهشامية ٢/١٠ والنبوية ١/٢٥٦ وأعيان الشيعة ٣٩/١٣٠

(٢٠٢) مؤمن قريش ١٨٢ عن الحديدي ٢/٦١٤ البيتين الأولين، وقال: في أبيات كثيرة، والسيرة الهشامية ١/٦٥٧ بزيادة بيت واختلاف يسير في بعض الألفاظ، والحجة /٥٦/، مع اختلاف يسير في الألفاظ، والغدير ٧/٣٣٧، وأعيان الشيعة ٣٩/١٤٤ و١٦/٢٧ بزيادة بيت وبعض الاختلاف، وهاشم وأمية ١٦٤ البيتان الأولان

(٢٠٣) روي عن ابن مسعود قال: بعثنا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إلى أرض النجاشي، ونحن ثمانون رجلاً، معنا جعفر بن أبي طالب، وبعثت قريش خلفنا عمارة بن الوليد وعمرو بن العاص مع هدايا فأتوه بها فقبلها، وسجدوا له، وقالوا: إن قوماً منا رغبوا عن ديننا وهم في أرضك فسلمهم إلينا، فقال لنا جعفر: لايتكلم أحد منكم، أنا خطيبكم، فانتهينا إلى النجاشي، فقال عمرو وعمارة: إنهم لايسجدون لك، فلما انتهينا إليه زبرنا الرهبان: أن اسجدوا للملك، فقال لهم جعفر، لا نسجد إلا لله، فقال النجاشي: وماذاك؟! فقال جعفر: (أيها الملك! كنا قوماً أهل جاهلية نعبد الأصنام ونأكل الميتة، ونأتي الفواحش، ونقطع الأرحام، ونسيء الجوار، ويأكل القوي منا الضعيف، حتى بعث الله إلينا رسولاً منا، نعرف نسبه وصدقه وأمانته وصفاته، فدعانا إلى الله لنوحده ونعبده، ونخلع ماكنا نعبد نحن وآباؤنا من الحجارة والأوثان، وأمرنا بصدق الحديث، وأداء الأمانة، وصلة الرحم، وحسن الجوار، والكف عن المحارم والدماء،

٢ ـ أبو طالب يدافع عن الإسلام

وامتد دفاع أبي طالب ليشمل الدين الإسلامي الذي اعتنقه عن عقيدة ويقين وبصيرة، وإليك بعض مافعله:

أ ـ ينفي الكذب عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ويصفه بالصادق الناصح الأمين، ويصدقه فيما يقوله ويفعله:

ذكرنا أن أبا طالب عليه السلام لم يكذب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في قول ولم يسفه له رأياً ولم يرفض له طلباً (وهذا أمر مجمع عليه) وقام المشركون بإلصاق أوصاف بذيئة سيئة برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فنالوه في شخصه الكريم ونبوته ورسالته، فقالوا عنه: كذاب.قال تعالى:

﴿وعجبوا أن جاءهم منذر منهم، وقال الكافرون هذا ساحر كذاب﴾ ٣٨/٤

﴿ماسمعنا بهذا في الملة الآخرة إن هذا إلا اختلاق﴾ /٧

وهناك عدة آيات بهذا الخصوص، وقولهم هذا باطل لاأساس له من الصحة، إذ لم يعرف عنه صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال خلاف الحقيقة طوال حياته لاقبل البعثة ولابعدها، لابل إنّه يمقت الكذب والكذابين، وجاء الدين الإسلامي بالنهي عن الكذب.

وانبرى أبو طالب ينفي الكذب عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقد أقسم لقريش: والله، ماكذب ابنَ أخي قط.وانظر إلى قوله لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عن

ونهانا عن الفواحش، وقول الزور، وأكل مال اليتيم، وقذف المحصنات، فصدقناه وآمنا به، واتبعناه على ماجاء به من ربه، فعبدنا الله وحده ولم نشرك به شيئاً، وحرمنا ماحرّم علينا، وأحللنا ماأحّل لنا، فعدا علينا قومنا فعذبونا وفتنونا عن ديننا، ليردونا إلى عبادة الأوثان وإلى ماكنا عليه من الخبائث.

فلما قهرونا، وظلمونا، وضيقوا علينا، وحالوا بيننا وبين ديننا، خرجنا إلى بلادك، ورغبنا في جوارك ورجونا أن لانظلم عندك، فأعجب النجاشي قوله، فلما رأى ذلك عمرو قال: أصلح الله الملك، إنهم يخالفونك في عيسى بن مريم، فقال النجاشي: مايقول صاحبك في ابن مريم؟ قال: يقول فيه قول الله ﴿هو روح الله وكلمته أخرجه من العذراء البتول التي لم يقربها بشر﴾، فتناول النجاشي عوداً من الأرض فقال: يامعشر القسيين والرهبان! مايزيد هؤلاء على ما تقولون بابن مريم مايزن هذا، ثم قال النجاشي لجعفر: أتقرأ شيئاً مما جاء به محمد؟ فقرأ جعفر: ﴿كهيعص، . .﴾ إلى آخر قصة عيسى عليه السلام، والنجاشي والرهبان يبكون، ثم قال النجاشي مرحباً بكم وبمن جئتم من عنده، فأنا أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، وأنه الذي بشر به عيسى بن مريم، ولولا ماأنا فيه من الملك لأتيته حتى أحمل نعليه، إذهبوا فأنتم سيوم (آمنون) من سبكم غرم، وأمر لنا بطعام وكسوة وقال: ردّوا على هذين هداياهم).

لسان قريش: زعموا أنك تؤذيهم - إنه الإيمان، ومنتهى الأدب مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.واستمع لقوله عن محمد رسول الله:

ألم تعلموا أن ابننا لامكذب لدينا ... ولا يعنا بقول الأباطل

لابل إنه يصف رسول الله (بالناصح والصادق والأمين) فهو يقول عند روايته الحديث: حدثني ابن أخي، وكان والله صادقاً،ومحمدٌ عندي الصدوق الأمين.

وقوله بوصيته لقريش: وإني أوصيكم بمحمد خيرا فهو الأمين في قريش والصديق في العرب. وقوله:

ودعوتني وعلمت أنك ناصحي ... ولقد صدقت وكنت ثم أمينا

مازلت أعرفه بصدق حديثه ... وهو الأمين على الحرائب والحرم

ولقد عهدتك صادقاً ... بالقول لاتتزيد

مازلت تنطق بالصواب ... وأنت طفل أمرد

وإن كان أحمد قد جاءهم ... بصدق ولم يأتهم بالكذب

وصدّق أبو طالب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وعلم أنه مستجاب الدعوة حين نال عتيبة ابن أبي لهب من رسول الله فدعى عليه: اللهم ابعث عليه كلباً من كلابك، فقال أبو طالب لعتيبة: ما كان أغناك عن هذه الدعوة ياابن أخي (وفعلاً فقد عدا وحش على عتيبة فقتله حين كان مع قافلة يقصد الشام).

وصدّقه حين جاء لقريش قائلاً: (إن ابن أخي أخبرني ولم يكذبني قط أن الأرضة أكلت من صحيفتكم كل ما فيها من ظلم وقطيعة رحم ولم تترك فيها إلا اسم الله تعالى).

ب - ينفي عن رسول الله تهمة أنه ساحر:

ألصق المشركون برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم تهماً عديدة، منها قولهم عنه انه ساحر، قال تعالى:

﴿وقال الكافرون هذا ساحر كذاب﴾ ٣٨/٤

وهناك العديد من الآيات الكريمة بهذا الشأن

وعندما سمع الوليد بن المغيرة القرآن، قال عنه: ما فيكم رجلٌ أعلم بالشعر مني ولا برجزه ولا بقصيده، ولا بأشعار الجن، والله مايشبه الذي يقول شيئاً من هذا، والله إن لقوله لحلاوة وان عليه لطلاوة، وإنه لمنير مثمر، أعلاه مثمر وأسفله مغدق، وإنه ليعلو ومايعلى،

وانه ليحطم ماتحته، فقال له أبوجهل بعد أن استشاره: لايرضى عنك قومك حتى تقول فيه، قال فدعني حتى أفكر، فلما فكر، قال: هذا سحر يؤثر يأثره عن غيره، وإلى هذا أشارت الآية الكريمة:

﴿فقال إن هذا إلا سحر يؤثر﴾.

وعندما تبين لقريش صدق مانقله أبو طالب عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم (بأن الأرضة أكلت من صحيفتهم كل قطيعة وإثم، ولم يبق فيها إلا اسم الله تعالى) قالوا: إن هذا سحر ابن أخيك.

واتهامهم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أنه ساحر باطل، وإلا لكان السحر أصابهم هم أنفسهم، وهم يعرفون أن محمداً صادق ولكن العناد والكبرياء والتجبر أوقعهم في حبائل الشيطان وقادهم لعبادة الأوثان والأصنام قال تعالى: ﴿ولو نزّلنا عليك كتاباً في قرطاس فلمسوه بأيديهم لقال الذين كفروا إن هذا إلا سحر مبين﴾ الأنعام /٧

فتصدى أبو طالب لنفي هذه التهمة عن رسول الله.

فقال لأخيه الحمزة بن عبد المطلب سيد الشهداء وأسد الله وأسد رسوله حينما فرح بإسلامه:

ونـاد قريشـاً بالـذي قد أتيتـه ... جهاراً وقل: ماكان أحمد ساحراً

ويروى وباد...

وردّ على قريش قولهم عندما أبلغهم معجزة الأرضة فقال لهم: أتبين لكم أيّنا أولى بالسحر والكهانة وقال في قصيدة أخرى:

زعمت قريش أن أحمد ساحرٌ ... كذبوا ورب الراقصات إلى الحرم

مازلت أعرفه بصدق حديثه ... وهو الأمين على الحرائب والحرم(٢٠٤)

نفي أن الرسول صلى الله عليه وآله وسلم مسحور:

يقول السيد الوالد: وكما عصم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من الناس، فقد حفظه أن يصيبه السحر، وقد أنبّ الله المشركين حين وصموه بأنه مسحور، قال الله تعالى:

﴿وإذ هم نجوى إذ يقول الظالمون إن تتبعون إلا رجلاً مسحوراً، انظر كيف ضربوا لك الأمثال فضلّوا فلا يستطيعون سبيلا﴾ الاسراء ١٧ ـ ١٨

وقال تعالى: ﴿وقال الظالمون إن تتبعون إلا رجلاً مسحوراً﴾ الفرقان ٨

---

(٢٠٤) الغدير ٧/٣٧١ عن أبي الفرج الأصفهاني، والحجة ٢٧٨ و ٢٧٩ عن الشعبي، وأبو الفتح الكراجكي في (كنز الفوائد)

لسان قريش: زعموا أنك تؤذيهم - إنه الإيمان، ومنتهى الأدب مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.واستمع لقوله عن محمد رسول الله:

ألم تعلموا أن ابننا لامكذب لدينا ولا يعنا بقول الأباطل

لابل إنه يصف رسول الله (بالناصح والصادق والأمين) فهو يقول عند روايته الحديث: حدثني ابن أخي، وكان والله صادقاً،ومحمدٌ عندي الصدوق الأمين.

وقوله بوصيته لقريش: وإني أوصيكم بمحمد خيرا فهو الأمين في قريش والصديق في العرب. وقوله:

ودعوتني وعلمت أنك ناصحي ولقد صدقت وكنت ثم أمينا

مازلت أعرفه بصدق حديثه وهو الأمين على الحرائب والحرم

ولقد عهدتك صادقاً بالقول لاتتزيد

مازلت تنطق بالصواب وأنت طفل أمرد

وإن كان أحمد قد جاءهم بصدق ولم يأتهم بالكذب

وصدّق أبو طالب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وعلم أنه مستجاب الدعوة حين نال عتيبة ابن أبي لهب من رسول الله فدعى عليه: اللهم ابعث عليه كلباً من كلابك، فقال أبو طالب لعتيبة: ما كان أغناك عن هذه الدعوة ياابن أخي (وفعلاً فقد عدا وحش على عتيبة فقتله حين كان مع قافلة يقصد الشام).

وصدّقه حين جاء لقريش قائلاً: (إن ابن أخي أخبرني ولم يكذبني قط أن الأرضة أكلت من صحيفتكم كل ما فيها من ظلم وقطيعة رحم ولم تترك فيها إلا اسم الله تعالى).

ب - ينفي عن رسول الله تهمة أنه ساحر:

ألصق المشركون برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم تهماً عديدة، منها قولهم عنه انه ساحر، قال تعالى:

﴿وقال الكافرون هذا ساحر كذاب﴾ ٣٨/٤

وهناك العديد من الآيات الكريمة بهذا الشأن

وعندما سمع الوليد بن المغيرة القرآن، قال عنه: ما فيكم رجلٌ أعلم بالشعر مني ولا برجزه ولا بقصيده، ولا بأشعار الجن، والله مايشبه الذي يقول شيئاً من هذا، والله إن لقوله لحلاوة وان عليه لطلاوة، وإنه لمنير مشرق، أعلاه مثمر وأسفله مغدق، وإنه ليعلو ومايعلى،

وانه ليحطم ماتحته، فقال له أبوجهل بعد أن استثاره: لايرضى عنك قومك حتى تقول فيه، قال فدعني حتى أفكر، فلما فكر، قال: هذا سحر يؤثر يأثره عن غيره، وإلى هذا أشارت الآية الكريمة:

﴿فقال إن هذا إلا سحر يؤثر﴾.

وعندما تبين لقريش صدق مانقله أبو طالب عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم (بأن الأرضة أكلت من صحيفتهم كل قطيعة وإثم، ولم يبق فيها إلا اسم الله تعالى) قالوا: إن هذا سحر ابن أخيك.

واتهامهم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أنه ساحر باطل، وإلا لكان السحر أصابهم هم أنفسهم، وهم يعرفون أن محمداً صادق ولكن العناد والكبرياء والتجبر أوقعهم في حبائل الشيطان وقادهم لعبادة الأوثان والأصنام قال تعالى: ﴿ولو نزّلنا عليك كتاباً في قرطاس فلمسوه بأيديهم لقال الذين كفروا إن هذا إلا سحر مبين﴾ الأنعام /٧

فتصدى أبو طالب لنفي هذه التهمة عن رسول الله.

فقال لأخيه الحمزة بن عبد المطلب سيد الشهداء وأسد الله وأسد رسوله حينما فرح بإسلامه:

ونـاد قريشـاً بالـذي قد أتيتـه ... جهاراً وقل: ماكان أحمد ساحراً

ويروى وياد...

وردّ على قريش قولهم عندما أبلغهم معجزة الأرضة فقال لهم: أتبين لكم أيُّنا أولى بالسحر والكهانة وقال في قصيدة أخرى:

زعمت قريش أن أحمد ساحرٌ ... كذبوا ورب الراقصات إلى الحرم

مازلت أعرفه بصدق حديثه ... وهو الأمين على الحرائب والحرم(٢٠٤)

نفي أن الرسول صلى الله عليه وآله وسلم مسحور:

يقول السيد الوالد: وكما عصم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من الناس، فقد حفظه أن يصيبه السحر، وقد أنبّ الله المشركين حين وصموه بأنه مسحور، قال الله تعالى:

﴿وإذ هم نجوى إذ يقول الظالمون إن تتبعون إلا رجلاً مسحوراً، انظر كيف ضربوا لك الأمثال فضلّوا فلا يستطيعون سبيلا﴾ الاسراء ١٧ ـ ١٨

وقال تعالى: ﴿وقال الظالمون إن تتبعون إلا رجلاً مسحوراً﴾ الفرقان ٨

---

(٢٠٤) الغدير ٧/ ٣٧١ عن أبي الفرج الأصفهاني، والحجة ٢٧٨ و ٢٧٩ عن الشعبي، وأبو الفتح الكراجكي في (كنز الفوائد)

فبعد صراحة القرآن يجب على كل مسلم أن ينكر أن رسول الله صلى الله عليه واله وسلم سحره لبيد بن الأعصم اليهودي (حتى يخيل إليه أنه قد فعل الشيء ولم يكن فعله)، فإن القول بصحة هذا الحديث يطعن الدين الإسلامي في صميمه، ويجعل لليهود سلطة على نبي المسلمين، ومن العجيب أن كثيراً من علماء المسلمين وقف أمام هذا الحديث خائر القوى، فلا يجرؤ على نقده لمجرد وروده في كتب الصحاح، فلم يلتفتوا إلى القرآن العظيم، ولم يكترثوا بعصمة النبي صلى الله عليه وآله وسلم الواجب اعتقادها على كل مسلم ومسلمة.

على أن معنى الكتاب الصحيح: أنه أكثر أحاديث صحيحة من غيره، وإلا لزم لغو مذاهب المسلمين والاكتفاء ب (الصحيحين) مع أن عمل أصحاب المذاهب (ولاسيما أهل السنة) على خلافهما في أكثر العبادات، وذلك ليصدق قول الله تعالى:

﴿أفلا يتدبرون القرآن ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافاً كثيراً﴾ النساء ٨٤

على أن السحر من أساسه ليس إلا عبارة عن خيال يصاب به ضعاف العقول، فلا حقيقة له، قال الله تعالى:

﴿يخيل إليه[٢٠٥] من سحرهم أنها تسعى﴾ طه ٦٦

مما يبرهن على أن السحر مبني على الوهم والتهويل، وتأثير قوي النفس في ضعيفها، وأنه

---

(٢٠٥) أقول: قال بعض المفسرين: إن الضمير في /إليه/ عائد على موسى عليه السلام، والصحيح كما ذكر البعض الآخر أن الضمير عائد على فرعون، والدليل على ذلك:

١ ـ لاتأثير للسحر على موسى عليه السلام، لأن السحر من عمل الشيطان، والشيطان لاسبيل له على المؤمن، فمن باب أولى أن لايكون له تأثير على نبي من أولي العزم مؤيد بالعصمة.

٢ ـ السحر عبارة عن وهم، قال تعالى: ﴿يخيل إليه من سحرهم﴾، والتخيل لايمكن أن يتسرب إلى النبي.

٣ ـ السحر عبارة عن خداع النظر والرهبة قال تعالى: ﴿وسحروا أعين الناس واسترهبوهم وجاؤ وا بسحر عظيم﴾ الأعراف ٧٦ وخداع النظر والاسترهاب لايمكن أن يستولي على النبي.

٤ ـ ان موسى عليه السلام يعلم أن السحرة لايمكن أن ينجحوا، قال تعالى عن موسى الذي خاطب السحرة: ﴿ماجئتم به السحر إن الله سيبطله إن الله لايصلح عمل المفسدين﴾ يونس ٨١

٥ ـ إن موسى يعلم أن السحرة كاذبون، قال تعالى: ﴿قال لهم موسى ويلكم لاتفتروا على الله كذباً فيسحتكم بعذاب وقد خاب من افترى﴾ طه ٦١

٦ ـ إن موسى يعرف معجزة العصا، قال تعالى: ﴿وماتلك بيمينك ياموسى، قال هي عصاي أتوكأ عليها وأهش بها على غنمي ولي فيها مآرب أخرى، قال ألقها ياموسى، فألقاها فإذا هي حية تسعى﴾ طه ١٧ ـ ١٨

٧ ـ قوله تعالى: ﴿وسحروا أعين الناس﴾ لم يشمل فرعون، فجاء قوله تعالى: ﴿يخيل إليه﴾ فشمل فرعون.

٨ ـ إن ذكر موسى في الآية التي بعدها: ﴿فأوجس في نفسه خيفة موسى﴾ دليل على أن الضمير في الآية الأولى لايعود إليه.

لانجاح لصاحبه أصلاً، قال تعالى:

﴿ولا يفلح الساحر حيث أتى﴾

وقد طرق الشيخ محمد عبده مفتي الديار المصرية هذا البحث في آخر تفسيره لسورة العلق، فقال: والذي يجب اعتقاده أن القرآن مقطوع به، وأنه كتاب الله بالتواتر عن المعصوم صلى الله عليه وآله وسلم، فهو الذي يجب الاعتقاد بما يثبته، وعدم الاعتقاد بما ينفيه، وقد جاء نفي السحر عنه صلى الله عليه وآله وسلم حيث نسب القول بإثبات السحر إلى المشركين أعدائه، ووبخهم على زعمهم هذا، فهو ليس بمسحور قطعاً[٢٠٦].

أقول: السحر من عمل الشيطان، قال تعالى:

﴿وما كفر سليمان ولكن الشياطين كفروا يعلمون الناس السحر﴾ البقرة ١٠٢

والشيطان لا سلطان له على عباد الله المؤمنين:

قال تعالى: ﴿إن عبادي ليس لك عليهم سلطان﴾

فكيف يكون للشيطان سبيل على محمد خاتم الأنبياء وسيد المرسلين المؤيد بالوحي والمسدد بالعصمة ؟!!!

جـ ـ أبيات لأبي طالب يمدح بها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم والدين الإسلامي:

جـ/١

ألا إن خير الناس نفساً ووالداً ... إذا عُدّ سادات البرية أحمد

نبي الإله والكريم بأصله ... وأخلاقه وهو الرشيد المؤيد

جريء على جلّى الخطوب كأنه ... شهاب بكفي قابس يتوقد

من الأكرمين من لؤي بن غالب ... إذا سيم خسفاً وجهه يتربد[٢٠٧]

جـ/٢ ويقول في لاميته المشهورة:

لعمري لقد كلفت وجداً بأحمد ... وأحببته حب الحبيب المواصل

حدبت بنفسي دونه وحميته ... ودافعت عنه بالذرا والكلاكل

---

٩ ـ إن خوف موسى هو أن ينصرف الناس قبل أن يلقى عصاه فيفتنوا، فقد قال علي بن أبي طالب عليه السلام في الخطبة الرابعة في نهج البلاغة: «لم يوجس موسى خيفة على نفسه، بل أشفق من غلبة الجهال ودول الضلال» فطمأنه الباري عز وجل: ﴿قلنا لا تخف إنك أنت الأعلى﴾

(٢٠٦) مبادىء الفقه اللإسلامي ج١ العبادات ١٢

(٢٠٧) ص ١٠٥

فما زال في الـدنـيـا جمالاً لأهـلهـا وشيناً لمن عادى وزين المحافل[٢٠٨]
حليـماً رشيـداً حازماً غير طائش يوالي إلـه الخلق ليس بماحـل[٢٠٩]
فأيـده رب الـعـبـاد بنـصـره وأظهـر ديناً حقه غير باطـل[٢١٠]

جـ/٣ ويقول:

إذا قيـل من خير هذا الـورى قبـيـلاً وأكـرمـهـم أسـرة
أنـاف بعـبـد منـاف أبٌ وفـضـله هاشـم الـغـرة
وحـل من المـجـد في هاشـم مكـان الـنـعـائـم والـنـثـرة[٢١١]
فخـير بني هاشـم أحـمـد رسـول الإلـه على فترة[٢١٢]

ج/٤ وقال:

إذا اجـتمعت يومـاً قريش لمفخـر فعبـد منـاف سرهـا وصميمها[٢١٣]
وإن حصلت أشـراف عبـد منـافها ففي هاشم أشـرافهـا وقـديمهـا
وإن فخـرت يومـاً فإن محمـداً هو المصطفى من سرها وصميمها[٢١٤]

---

(٢٠٨) ويروى: (وزيناً على رغم العدو المخاتل)، ويروى: (وزيناً لمن والاه رب المشاكل)

(٢٠٩) الماحل: الكاذب، ويروى في الديوان:

حليـم رشـيـد عادل غير طائش يوالي إلهـاً ليس عنـه بغـافـل

(٢١٠) يروى: غير ناصل، وهو الصحيح المثبت في الديوان، يقال: نصل الشيء من الشيء أي خرج منه، أو الناصل: الزائل المضمحل، يقال: نصل الشعر، إذا أزال عنه الخضاب

(٢١١) النعائم: منزل من منازل القمر، صورته كالنعامة، وهي ثمانية أنجم، والنثرة، بفتح النون وسكون الثاي المثلثة: كوكبان بينهما قدر شبر، وفيها لطخ بياض كأنه قطع سحاب

(٢١٢) الحجة ٢٨١ عن السيد علي خان في (الدرجات الرفيعة) ٦٣ الذي نسب البيتين الأخيرين إلى طالب بن أبي طالب

(٢١٣) سرها وصميمها: خالصها وكريمها، يقال: فلان من سر قومه: أي من خيارهم ولبابهم وأشرافهم

(٢١٤) الغدير ٣٦٢/٧ عن سيرة ابن هشام ٢٧٥/١ و٢٨٣ وطبقات ابن سعد ١٨٦/١، والحجة ٢٩٣ عن ديوان أبي طالب ٢٤، وأسنى المطالب ٢١، ومؤمن قريش ١٧٠ عن شيخ الأبطح الذي كرر قول الدحلان في (أسنى المطالب): هذه الأبيات من غرر مدائح أبي طالب للنبي صلى الله عليه وآله وسلم الدالة على تصديقه، وذكرت في (كنز الفوائد)، للكراجكي، و(متشابه القرآن) لابن شهراشوب، وذكرت أبياتها الأربعة الأولى باختلاف في كلماتها في أعيان الشيعة ١٤٨/٣٩

٣ ـ «أبو طالب داعية للإسلام»

١ ـ يفرح بإسلام ابنه علي، ويدعوه لأن يتبع رسول الله ويلازمه:

أ ـ فقد قال لعلي: أي بني! ماهذا الدين الذي أنت عليه؟ قال: ياأبت! آمنت بالله وبرسول الله وصدقته بما جاء به، وصليت معه لله، واتبعته. فزعموا أنه قال له: أما إنه لم يدعك إلا إلى خير فالزمه(٢١٥)

ب ـ وروي عن علي عليه السلام قال: قال أبي: يابني! الزم ابن عمك فإنك تسلم من كل بأس عاجل وآجل، ثم قال لي:

إن الوثيقة في لزوم محمد فاشدد بصحبته علي يديكا(٢١٦)

جـ ـ أخرج أبوبكر الشيراوي في (تفسيره): ان النبي صلى الله عليه وآله وسلم لما نزل عليه الوحي في المسجد الحرام، وقام يصلي فيه، فاجتاز به علي عليه السلام، وكان ابن تسع سنين، فناداه: [ياعلي! إليَّ أقبل]، فأقبل إليه ملبياً فقال له النبي: [إني رسول الله إليك

---

(٢١٥) مؤمن قريش ١٥٣ عن الطبري ٢/٥٨ والإصابة ٤/٢١٦ والسيرة الهشامية ١/٢٦٤، والنبوية ١/١٧٦، والحلبية ١/٣٠٦، وشرح النهج ٣/٣٠٥ وينابيع المودة ١٦٨ (٢/٢٨) والرياض النضرة ٢/١٥٩، وغاية المرام ٥٠٠ وأبوطالب ٥٠، والعباس ٢٣، والغدير ٧/٣٥٦ مستندة إلى بعض المصادر مما ذكرنا، وإلى تفسير الثعلبي، وعيون الأثر ١/٩٤ وأسنى المطالب ١٠، وذكرها الاسكافي في نقض العثمانية رسائل الجاحظ ٥١ وذكرت في (الامام علي صوت العدالة) ١/٣٥ و٥٧ و٥٨

(٢١٦) مؤمن قريش ١٥٤ عن (الشرح الحديدي) ٣/٣١٤، والحجة على الذاهب ٦٣، وأعيان الشيعة ٩ ج٣ ق١ و٣٩/١٤٤، وهاشم وأمية ١٦٣

خاصة وإلى الناس كافة، فقف عن يميني فصل معي]، فقال: «يارسول الله! حتى أمضي وأستأذن أبا طالب والدي»، فانطلق إليه يستأذنه في اتباعه، فقال: (ياولدي! تعلم أن محمداً أمين الله منذ كان، امض إليه واتبعه تفلح وترشد)[٢١٧]

٢ ـ صل جناح ابن عمك:

أخرج ابن الأثير: أن أبا طالب رأى النبي صلى الله عليه وآله وسلم وعلياً يصليان، وعلي عن يمينه، فقال لجعفر رضي الله عنه: (صل جناح ابن عمك، وصل عن يساره)[٢١٨] وكان إسلام جعفر بعد إسلام أخيه علي، وقال أبو طالب في ذلك:

إنّ علياً وجعفراً ثقتي ... عند ملم الخطوب والنوب
لاتخذلا وانصرا ابن عمكما ... أخي لأمي[٢١٩] من بينهم وأب
إن أبا معتب[٢٢٠] قد أسلمنا ... ليس أبو معتب بذي حدب
والله لاأخذل النبي ولا ... يخذله من بني ذو حسب
حتى ترون الرؤوس طائحة ... منا ومنكم هناك بالقضب
نحن وهذا النبي ننصره ... نضرب عنه الأعداء كالشهب
إن نلتموه بكل جمعكمُ ... فنحن في الناس ألأم العرب[٢٢١]
أراهما عرضة اللقاء لذا ... ساميت أو أنتمي إلى حرب

---

(٢١٧) الغدير ٣٥٦/٧ عن أبي بكر الشيرازي في (تفسيره) والحجة ٢٤٣ عن ابن أبي الحديد في (شرحه) ٣١٤/٣

(٢١٨) مؤمن قريش ١٥٤ عن النهج الحديدي ٢٧٢/٣، والسيرة النبوية ١٧٧/١ والحلبية ٣٠٤/١ والإصابة ١١٦/٤، والحجة ٦٥، والبحار ٤٠٣/٦ و٤٤٤ و٤٤٥، وأعيان الشيعة ٣/٩ق١ و١١/٣٩ و١٣٩، وهاشم وأمية ١٦٣، والغدير ٣٥٧/٧ مسندة بالإضافة لبعض المصادر مما ذكرنا إلى (أسد الغابة) ٢٨٧/١، وأسنى المطالب ٦، و(الأوايل) للعسكري، وتفسير علي بن إبراهيم ٣٥٣، وأبو طالب ٥٠، وذكرها الاسكافي في حادثة في رسالته (نقض العثمانية) راجع رسائل الجاحظ ٤٩ و٥١

(٢١٩) لأن والدة أبي طالب وعبد الله والد الرسول هي فاطمة بنت عائذ بن عمران بن مخزوم، وتكنى أم حكيم البيضاء

(٢٢٠) أبو معتب: أبو لهب

(٢٢١) مؤمن قريش ١٥٥ عن النهج الحديدي ٢٧٢/٣ و٣١٤، والحجة ٢١٥، وديوان أبي طالب ١١، وشيخ الأبطح ٣٨، وإيمان أبي طالب ١٩ وأعيان الشيعة ٣/٩ ق١ و١١/٣٩ و١٦ و١٤٤، ومعجم القبور ١٩٦ و٢٠١، والغدير ٣٥٦/٧ مسندة لديوان أبي طالب، والأوايل للعسكري، ونقض العثمانية ورسائل الجاحظ ٤٩

وقال البر زنجي والدحلان: تواترت الأخبار أن أبا طالب كان يحب النبي صلى الله عليه وآله وسلم ويحوطه وينصره ويعينه على تبليغ دينه ويصدقه فيما يقول، وأمر أولاده كجعفر وعلي باتباعه ونصرته[٢٢٢].

وقال الامام محمد الباقر عليه السلام: وأمره ـ يقصد أبا طالب ـ لولديه علي وجعفر أن يسلما ويؤمنا بما يدعو إليه، وأنه خير الخلق، وأنه يدعو إلى الحق والمنهاج المستقيم، وأنه رسول الله رب العالمين، فثبت ذلك في قلوبهما، فحين دعاهما رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أجاباه في الحال، وماتلبثا لما قرره أبوهما عندهما من أمره، فكانا يتأملان فعال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فيجدانها كلها حسنة تدعو إلى سداد ورشاد[٢٢٣]

٣ ـ وكان أبو طالب مشجعاً لزوجته فاطمة بنت أسد بن هاشم للدخول في الإسلام، راضياً عن إيمانها فكانت رضوان الله عليها من السابقات للإسلام، أسلمت بعد عشر فكانت الحادية عشر، وأول من بايعت رسول الله من النساء وكانت تساعد زوجها بخدمة الرسول صلى الله عليه واله وسلم لأنه عاش في بيتها، حتى أن الرسول الكريم كان يقول عنها [أمي][٢٢٤]

٤ ـ ويفرح كثيراً بإسلام أخيه الحمزة أسد الله وأسد رسوله وسيد الشهداء، فيقول:

فصبراً ـ أبا يعلى[٢٢٥] ـ على دين أحمد ... وكن مظهراً للدين وفقت ناصرا
وحط من أتى بالحق من عند ربه ... بصدق وعزم لاتكن حمز كافرا
فقد سرني إذ قلت: انك مؤمن ... فكن لرسول الله في الله ناصرا
وباد[٢٢٦] قريشاً، بالذي قد أتيته ... جهاراً، وقل: ماكان أحمد ساحرا[٢٢٧]

---

(٢٢٢) أسنى المطالب ٦

(٢٢٣) الحجة ١٤٠

(٢٢٤) أول كتاب شيخ الأبطح

(٢٢٥) أبا يعلى: كنية الحمزة رضوان الله عليه

(٢٢٦) يروى: وناد

(٢٢٧) مؤمن قريش عن الشرح الحديدي ٣/٣١٥، والحجة على الذاهب ٧١، والمناقب ٣٦، والبحار ٦/٤٥٤، والعباس ٢٢، وإيمان أبي طالب ١٦، وقد أسندها المحقق لكل من الحديدي، ولم يذكر رقم الصفحات، وذكرت في الأعيان ٣٩/١٤٤ و١٤٥، وذكر الأول والثالث في مجمع البيان ٧/٣٧، وفي الغدير ٧/٣٥٧ عن أسد الغابة ١/٢٨٧، والإصابة ٤/١١٦ والسيرة الحلبية ١/٢٨٧، وأسنى المطالب ١٠

٥ ـ ويفرح كثيرا بإسلام أخواته بنات عبد المطلب.

٦ ـ دعا النجاشي ملك الحبشة للإسلام فأسلم:

أتعلم مليك الحبش أن محمداً ... نبيّ كموسى والمسيح بن مريم
أتى بالهدى مثل الذي أتيا به ... فكل بأمر الله يهدي ويعصم
وإنكم تتلونه في كتابكم[٢٢٨] ... بصدق حديث لاحديث الترجم
فلا تجعلوا لله نداً وأسلموا ... فإن طريق الحق ليس بمظلم
وإنك ماتأتيك منّا عصابة ... لقصدك إلا ارجعوا بالتكرم[٢٢٩]

٧ ـ وكان يطمع بإسلام أخيه أبي لهب:

فقد قال أبو لهب لما سمعهم يتحدثون في شأنه ويفيضون في أمره: دعوا عنكم هذا الشيخ ـ يعني أبا طالب ـ فإنه مغرم بابن أخيه ـ يقصد محمداً رسول الله ـ والله لايقتل حتى يقتل أبو طالب، ولايقتل أبو طالب حتى تقتل بنو هاشم كافة، ولاتقتل بنو هاشم حتى تقتل بنو عبد مناف، ولاتقتل بنو عبد مناف حتى تقتل أهل البطحاء، فأمسكوا عنه وإلا ملنا معه.

فخاف القوم أن يفعل ذلك، فكفوا، فلما بلغت أبا طالب مقالته طمع في نصرته، فقال يستعطفه ويرققه:

عجبت لحلم بابن شيبة حادث ... وأحلام أقوام لديك ضعاف
يقولون شايع من أراد محمداً ... بسوء، وقم في أمره بخلاف
أضاميم، اما حاسد ذو خيانة ... وإما قريب منك غير مصاف
فلا تركبن الدهر منه ظلامة ... وأنت امرؤ من خير عبد مناف
يذود العدى عن ذروة هاشمية ... إلافهم في الناس خير إلاف

---

(٢٢٨) إشارة لقوله تعالى عن عيسى عليه السلام: ﴿ومبشراً برسول يأتي من بعدي اسمه أحمد﴾، وقوله تعالى: ﴿الذين يتبعون الرسول النبي الأمي الذي يجدونه مكتوباً عندهم في التوراة والإنجيل﴾

(٢٢٩) مؤمن قريش ١٨٣ عن الحجة ٥٦ و٥٧، والبحار ٥٢١/٦، وإيمان أبي طالب ١٨، وشيخ الأبطح ٨٧ و٨٨ ومجمع البيان ٣٧/٧ بدون البيت الأخير، وأعيان الشيعة ١٦/٣٩ عدا البيت الرابع، مع اختلاف في بعض الألفاظ

فإنّ له قربى إليك قريبة ... وليس بذي خلف ولا بمضاف
ولكنه من هاشم في صميمها ... إلى أنجم فوق النجوم صوافي
وإن غضبت منه قريش فقل لها: ... بني عمنا! ماقومكم بضعاف
وزاحم جميع الناس عنه وكن له ... وزيراً على الأعداء غير مجاف
ولاتتركنه ماحييت لمعظم ... وكن رجلاً ذا نجدة وعفاف
ومابالكم تغشون منه ظلامة ... ومابال أحقاد هناك خوافي
فما قومنا بالقوم يخشون ظلمنا ... ومانحن فيما ساءهم بخفاف
ولكننا أهل الحفائظ والنهى ... وعز ببطحاء المشاعر وافي[230]

فلما أبطأ عنه ماأراد، قال: يستعطفه:

وإن امرأ من قومه أبو معتب ... لفي منعة من أن يسأم المظالما
أقول له وأين منه نصيحتي ... أبا معتب ثبت سوادك قائما
ولاتقبلن الدهر ماعشت خطة ... تسب بها إمّا هبطت المواسما
وولِ سبيل العجز غيرك فيهمُ ... فإنك لم تخلق على العجز دائما
وحارب فإن الحرب نصف ولن ترى ... أخا الحرب يعطي الخسف حتى يسالما[231]

٨ ـ رواية أبي طالب للحديث:

أ ـ روى الخطيب البغدادي بإسناده إلى جعفر الصادق عن أبيه محمد الباقر عن أبيه زين العابدين عن أبيه الحسين عن أبيه علي بن أبي طالب عليهم السلام، قال: «سمعت أبا طالب يقول: حدثني محمد بن أخي، وكان والله صادقاً، قال: قلت له: بم بعثت يامحمد؟ قال: [بصلة الأرحام، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة].

ب ـ وأخرج الخطيب بسنده إلى أبي رافع مولى أم هانىء بنت أبي طالب، أنه سمع أبا طالب يقول: (حدثني محمد ابن أخي: أن الله أمره بصلة الأرحام، وأن يعبد الله لايعبد

---

(٢٣٠) الحجة ٣٤٢ عن ابن أبي الحديد في (شرحه) ٣/٣٠٧ مع إضافة خمسة أبيات، وأوردها ابن الشجري في (حماسته) ١٦، والغدير ٧/٣٩٢

(٢٣١) الحجة ٣٤٥ عن ابن أبي الحديد في (شرحه) ٣/٣٠٧، وابن هشام في (السيرة) ١/١٢٩، والغدير ٧/٣٩٢

معه أحد)، قال: (ومحمد عندي الصدوق الأمين).

جـ ـ وقال أيضاً: سمعت ابن أخي يقول: (اشكر ترزق، ولاتكفر تعذّب)[٢٣٢]

٩ ـ أبو طالب يدعو إلى مكارم الأخلاق:

ألم تسمع قوله بوصيته لقريش، فبعد أن وصفهم، وبين مكانتهم، أوصاهم بتعظيم الكعبة شرفها الله، وصلة الأرحام، وترك البغي والعقوق، وإجابة داعي الله، وإعطاء السائل، وصدق الحديث.

(وهكذا كانت مسيرته خلال حياته)، ثم أوصاهم بمحمد خيراً، وقال عنه: (هو الجامع لكل ماأوصيتكم به)، إشارة إلى الحديث النبوي الشريف: [إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق].

٤ ـ «وصايا أبي طالب»

١ ـ أوصى قريشاً، فقال:

يامعشر قريش! أنتم صفوة الله من خلقه، وقلب العرب، فيكم السيد المطاع، وفيكم المقدم الشجاع الواسع الباع.

واعلموا: أنكم لم تتركوا للعرب من المآثر نصيباً إلا أحرزتموه، ولاشرفاً إلا أدركتموه فلكم بذلك على الناس الفضيلة، ولهم به إليكم الوسيلة، والناس لكم حرب، وعلى حربكم إلب، وإني أوصيكم بتعظيم هذه البنية ـ الكعبة ـ فإن فيها مرضاة للرب، وقواماً للعيش، وثباتاً للوطأة.

صلوا أرحامكم ولاتقطعوها، فإن صلة الرحم منسأة في الأجل، وزيادة في العدد، اتركوا البغي والعقوق، ففيهما هلكت القرون قبلكم.

أجيبوا الداعي، وأعطوا السائل، فإن فيهما شرف الحياة والممات، وعليكم بصدق الحديث، وأداء الأمانة، فإن فيهما محبة في الخاص، ومكرمة في العام.

وإني أوصيكم بمحمد خيراً، فإنه الأمين في قريش والصدّيق في العرب، وهو الجامع لكل ماأوصيكم به، وقد جاء بأمر قبله الجنان، وأنكره اللسان مخافة الشنآن.

---

(٢٣٢) أسنى المطالب ٦، ووردت هذه الروايات في كتاب (الحجة) ١٣٥ و١٣٦ لفخار عن أبي فرج الأصفهاني، وفي (نهاية الطلب) للشيخ إبراهيم الحنبلي عن عروة الثقفي، وفي (الإصابة) لابن حجر من طريق اسحق بن عيسى الهاشمي ٤/١١٦، والخطيب البغدادي بسنده عن أبي رافع مولى أم هانىء بنت أبي طالب

وأيم الله! كأني أنظر إلى صعاليك العرب وأهل الأطراف والمستضعفين من الناس وقد أجلبوا دعوته، وصدقوا كلمته، وعظّموا أمره، فخاض بهم غمرات الموت، فصارت رؤساء قريش وصناديدها أذناباً، ودورها خراباً، وضعفاؤها أرباباً، وإذا أعظمهم عليه أحوجهم إليه، وأبعدهم منه أخصهم عنده.

دونكم يامعشر قريش! ابن أبيكم، كونوا له ولاة، ولحزبه حماة، والله لايسلك أحد سبيله إلا رشد، ولايأخذ بهديه إلا سعد، ولو كان لنفسي مدة وفي حياتي تأخير، لكففت عنه الهزاهز، ولدفعت عنه الدواهي.(٢٣٣)

٢ ـ وأوصى بني هاشم قائلاً:

يامعشر بني هاشم! أطيعوا محمداً، وصدّقوه تفلحوا وترشدوا.(٢٣٤)

وهاشماً كلها أوصي بنصرته ... أن يأخذوا دون حرب الناس أمراسا

٣ ـ وأوصى بني عبد المطلب:

أخرج ابن سعد في (الطبقات الكبرى): أن أبا طالب لما حضرته الوفاة دعا بني عبد المطلب، فقال: لن تزالوا بخير ماسمعتم من محمد وماتبعتم أمره، فاتبعوه وأعينوه ترشدوا(٢٣٥).

٤ ـ وخص بوصيته علياً وجعفر والحمزة والعباس، فقال:

أوصي بنصر نبي الخير أربعة ... ابني علياً، وعم الخير عباسا

وحمزةالأسد المخشي صولته ... وجعفراً أن تذودوا دونه الناسا

كونوا فداء لكم أمي وماولدت ... في نصر أحمد دون الناس أتراسا

---

(٢٣٣) أسنى المطالب ٧، الروض الأنف ١/٢٥٩، السيرة الحلبية ١/٣٧٥، تاريخ الخميس ١/٣٣٩، مؤمن قريش ٢١١ عن السيرة النبوية ١/٨٦ و٨٧، ثمرات الأوراق ٢/١٤ و١٥، وشيخ الأبطح ٣٩ ـ ٤١، وقد ذكر في أحد المصادر (غير أني أشهد بشهادته وأعظم مقالته) وجاءت هذه الجملة مع كامل الوصية في أعيان الشيعة ٣٩/١٦٤ و١٦٥ وفي العباس ٢١، وقسمها الأخير في (علي صوت العدالة) ٣٦ و ٥٩ و ٦٠ وفي آخرها زيادة عما ذكرناه (أن محمداً هو الصادق الأمين، فأجيبوا دعوته، واجتمعوا على نصرته، وارموا عدوه من وراء حوزته، فإنه الشرف الباقي لكم على الدهر) وفي الغدير ٧/٣٦٧ و٣٦٨

(٢٣٤) أسنى المطالب ٨

(٢٣٥) مؤمن قريش ٢١٦ عن السيرة النبوية ١/٨٦ و٢٨١، والحلبية ١/٣٨٨ و٣٩١ وأبو طالب ٩١، والغدير ٧/٣٦٨ والحجة ٣٢٦

بكـل أبيض مصقـول عوارضـه تخالـه في سواد الليـل مقبـاسـا[٢٣٦]

٥ ـ وأوصى ابنه الكبير (طالباً) فقال:

ابني طالب! إن شيخـك ناصـح فيـما يقـول مسـدد بك راتـق
فاضـرب بسيفـك من أراد مساتـه أبـداً وإنـك للمنـيـة ذائـق
هذا رجـائـي فيـك بعـد منيتي وأنـا عليـك بكـل رشـد واثـق
فاعـضـد قواه يابـني وكـن له إني بجـدك لامحـالـة لاحـق
آهـا! اردد حسـرة لفـراقـه إن لم أجـده وهـو عالٍ باسـق
أتـرى أراه واللـواء أمـامـه وعـلي ابـني للواء معـانـق[٢٣٧]

ويرحم الله البرزنجي حيث يقول: بعيد جداً أن يعرف ـ يقصد أبا طالب ـ الرشد في اتباعه ـ يقصد محمداً ـ ويأمر غيره، ثم يتركه هو.

٥ ـ «الوفاة»

أ ـ وفاة أبي طالب:

وفي السنة العاشرة للبعثة فجع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بوفاة كافله وناصره وحاميه عمه أبي طالب عن عمر يناهز الخامسة والثمانين، وبعد وفاته بفترة وجيزة فجع الرسول الكريم بوفاة وزيرة الصدق زوجته أم المؤمنين خديجة بنت خويلد رضي الله عنها فحزن عليهما حزناً شديداً، ودفنهما في الحجون بمكة المكرمة، وسمى ذلك العام: «عام الحزن»[٢٣٨].

ويرحم الله الشيخ عبد الحسين صادق العاملي حيث يقول:

عامـاً قضى عمـه فيـه وزوجتـه قضـاه بالحـزن يبكيـه ويبكيهـا

وهبط جبريل الأمين على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مبلغاً أمر ربه عزّ وجل:

---

(٢٣٦) مؤمن قريش ٢١٧ عن أبي طالب ١٧ (البيتان الأوليان)، والمناقب ٣٥١، وأعيان الشيعة ٣٩/١٤٥ و٢/١٢٠ و١٢١، ومجمع البيان ٧/٣٧، والحجة ٣٢٦، والغدير ٧/٣٤٢ و٤٠١

(٢٣٧) الحجة ٣٢٧، وذكر ذلك ابن شهر آشوب في المناقب، والعلامة الفتوني في ضياء الصالحين ناسباً إلى الواحدي وغيره

(٢٣٨) مؤمن قريش ٢٢٩ عن النهج ١/١٠ والبحار ٦/٥٤٣، وشيخ الأبطح ٥١، ومعجم القبور ١/١٩٧، وأعيان الشيعة ٧/٣ ق١ و ٣٩/١٢٧ والغدير ٧/٣٧٢ عن (طبقات ابن سعد) ١/١٠٦، و(الامتاع) للمقريزي ٢٠٧، وتاريخ ابن كثير ٣/١٣٤، و(السيرة الحلبية) ١/٣٧٣ والسيرة لزيني دحلان هامش الحلبية ١/٢٩١، وأسنى المطالب ١١

«اخرج منها ـ أي مكة فقد مات ناصرك (وفي رواية) فما لك بها ناصر بعد أبي طالب»

ب ـ عدم الصلاة على جنازته :

ولم يصل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم على عمه أبي طالب وزوجته خديجة عليهما السلام، لأن صلاة الجنازة لم تكن قد فرضت بعد، فقد سئل أبو الجهم بن حذيفة : أصلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم على أبي طالب؟ فقال : وأين كانت الصلاة يومئذ؟! إنما فرضت بعد موته. (٢٣٩)

وذكر الشريف النسابة العلوي العمري المعروف بالموضح بإسناده :

أن أبا طالب لما مات لم تكن نزلت الصلاة على الموتى، فما صلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم عليه ولا على خديجة، وإنما ترك النبي الكريم المشي في جنازة أبي طالب اتقاء شر سفهاء قريش. (٢٤٠)

الفصل الثالث

١ ـ «الأحاديث النبوية الواردة في إيمان وإسلام أبي طالب»

١ ـ وقت الوفاة :

أ ـ فعندما أبلغه علي بوفاة عمه بكى صلى الله عليه وآله وسلم وقال له :

[اذهب فغسله وكفنه وواره، غفر الله له ورحمه](٢٤١)

ب ـ وقال اليعقوبي في (تاريخه) : لمّا قيل لرسول الله : ان أبا طالب قد مات، عظم ذلك في قلبه، واشتد له جزعه، ثم دخل فمسح جبينه الأيمن أربع مرات، وجبينه الأيسر ثلاث مرات، ثم قال :

---

(٢٣٩) الغدير ٧/٣٧٢ عن أسنى المطالب ٣٥ و٧/٣٩٩ عن أبي الفرج الأصفهاني

(٢٤٠) الحجة ٢٦٧ و٢٦٨

(٢٤١) مؤمن قريش ١٢٣ عن النبوية ١/٨٤ عن أبي داود والنسائي وابن الجارود وابن خزيمة، ومعجم القبور ١/٢٠٤، وتذكرة الخواص ١٠، وإيمان أبي طالب ١٠، وأعيان الشيعة ٣٩/١٦١ : (امض فغسله، فإذا رفعته على سريره فأعلمني) والغدير ٣/٩٩ و٧/٣٧٢ عن طبقات ابن سعد ١/١٠٥، والواقدي، وابن عساكر والبيهقي، وسبط ابن الجوزي في (التذكرة) ٦ والبر زنجي في (نجاة أبوي النبي) كما في أسنى المطالب ٣٥، وقال : أخرجه أيضاً أبو داود بن الجارود وابن خزيمة، وابن أبي الحديد ٣/٣١٤، والحلبي في السيرة ١/٣٧٣، والسيد زيني دحلان في السيرة هامش الحلبية ١/٩، والحجة ٢٦٦

[ياعم! ربّيت صغيراً، وكفلت يتيماً، ونصرت كبيراً، فجزاك الله عني خيراً](٢٤٢)

جـ ـ ومش بين يدي سريره، وجعل يعرضه، ويقول:

[وصلتك رحم، وجزيت خيراً](٢٤٣)، وفي رواية: [جزاك الله ياعم خيراً]

٢ ـ التأبين:

أ ـ ووقف رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم على قبر عمه، وقال:

[أمَ والله! لأشفعن لعمي شفاعة يعجب بها أهل الثقلين](٢٤٤)

ب ـ ورثى عمه والحزن يملأ فؤاده، قائلاً:

[ياأبتاه! ويأبا طالباه! واحزناه عليك ياعماه! كيف أسلو عنك يامن ربيتني صغيراً، وأحببتني كبيراً، وكنت عندك بمنزلة العين من الحدقة، والروح من الجسد](٢٤٥)

٣ ـ بعد الموت:

أ ـ قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بعد وفاة عمه أبي طالب:

[ياعم! ماأسرع ماوجدت فقدك](٢٤٦)

ب ـ وقال أيضاً: [مازالت قريش كاعة ـ وفي رواية كاعين: أي جبانين ـ حتى مات أبو طالب](٢٤٧)

---

(٢٤٢) الغدير ٣/٣٧١ عن اليعقوبي في (تاريخه) ٢/٢٦ و٧/٣٨٦

(٢٤٣) الغدير ٧/٣٧٣ عن البيهقي في دلائل النبوة وتاريخ الخطيب البغدادي ١٣/١٩٦، وتاريخ ابن كثير ٣/١٢٥، وتذكرة السبط ٢٦، ونهاية الطلب للشيخ إبراهيم الحنفي كما في الطرائف ٨٦، والإصابة ٤/١١٦، و(شرح شواهد المغني) ١٣٦

(٢٤٤) مؤمن قريش ٢٢٤ عن معجم القبور ١/٢٠٤، وإيمان أبي طالب ١٠ وقد أسنده الشارح للإصابة وغيرها، وأعيان الشيعة ٣٩/١٦١ والنهج الحديدي ٣/٣١٤، والبحار ٦/٤٤٥ و٥٢٣ و٥٢٩، وشيخ الأبطح مسنداً ٤٣ والغدير ٧/٣٧٤ و٣٨٧ مسنداً ـ راجع تفسير علي بن إبراهيم ٣٥٥، وأمالي ابن بابويه الصدوق، والفصول المختارة لسيدنا المرتضى ٨٠ والحجة ٦٧، وبحار الأنوار ٩/١٥، والدرجات الرفيعة، وضياء العالمين

(٢٤٥) مؤمن قريش ٢٢٤ عن شيخ الأبطح ٤٤ مسنداً عن المجلسي عن المفيد عن ابن حجر في (إصابته) ٧/١١٢ وقال: بتصرف واختصار

(٢٤٦) مؤمن قريش ٢٢٧ عن النبوية ١/٨٨ و٢٨١، والحلبية ١/٥٩١، والمشامية ٢/٥٨، والطبري ٢/٨٠ وابن الأثير ٢/٦٣، والمناقب ١/٣٨، والبحار ٦/٤٣٠ و٥٢٨، وشيخ الأبطح ٥١، ومعجم القبور ١/٢٠٢، وأبوطالب ٩١، والغدير ٧/٣٧٧

(٢٤٧) الغدير ٧/٣٧٦ عن تاريخ الطبري ٢/٢٢٩، وتاريخ ابن عساكر ١/٢٨٤، ومستدرك الحاكم ٢/٦٢٢ وتاريخ ابن كثير ٣/١٢٢ و١٣٤، والصفوة لابن الجوزي ١/٢١، والفائق للزمخشري ٢/٢١٣، وتاريخ الخميس ١/٢٥٣، والسيرة الحلبية ١/٣٧٥، وفتح الباري ١٥٣ و١٥٤، وشرح شواهد المغني ١٣٦ عن البيهقي وأسنى المطالب ١١ و٢١، وطلبة الطالب ٤ و٥٤

جـ ـ وقال صلى الله عليه وآله وسلم مجيباً عمه العباس رضي الله عنه حين سأله: ماترجو لأبي طالب؟

قال: [كل خير أرجو من ربي عزّ وجل][٢٤٨]

وكل خير ترجّاه النبي له ... وهو الذي قط ماخابت أمانيه

د ـ وسمى عام وفاته ووفاة خديجة عليهما السلام: «عام الحزن»

هـ ـ ونزل جبريل عليه السلام على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال:

«يامحمد! إن ربك يقرؤك السلام، ويقول لك: إن أصحاب الكهف أسروا الإيمان وأظهروا الشرك فآتاهم الله أجرهم مرتين، وإن أبا طالب أسر الإيمان وأظهر الشرك، فآتاه الله أجره مرتين، وماخرج من الدنيا حتى أتته البشارة من الله بالجنة».

و ـ ثم قال الامام الصادق عليه السلام: يصفونه بهذا؟! وقد نزل جبريل ليلة مات أبو طالب فقال: «يامحمد! اخرج من مكة فمالك بها ناصر بعد أبي طالب»[٢٤٩]

ز ـ أخرج شيخنا الفقيه أبو جعفر الصدوق بالإسناد عن الامام الحسن بن علي العسكري عن آبائه عليهم السلام في حديث طويل:

ان الله تبارك وتعالى أوحى إلى رسوله صلى الله عليه وآله وسلم: «اني قد أيدتك بشعبتين، شعبة تنصرك سراً، وشعبة تنصرك علانية، فأما التي تنصرك سراً فسيدهم وأفضلهم عمك أبو طالب، وأما التي تنصرك علانية فسيدهم وأفضلهم علي بن أبي طالب، ثم قال: وإن أبا طالب كمؤمن آل فرعون يكتم إيمانه[٢٥٠].

---

(٢٤٨) الغدير ٧/٣٨٦ عن الدرجات الرفيعة، والحجة ٧١ و٧٢ وعن ابن سعد في الطبقات ١/١٠٦ بسند صحيح رجاله كلهم ثقات رجال الصحاح، وهم عفان بن مسلم، وحماد بن سلمة، وثابت البنائي، واسحق بن عبد الله، وأخرجه ابن عساكر في الخصايص الكبرى ١/٨٧، والفقيه الحنفي الشيخ إبراهيم الدينوري في نهاية الطلب كما في الطرائف ٦٨، وذكره ابن أبي الحديد ٣/٣١١، والسيوطي في التعظيم والمنة ٧ نقلاً عن ابن سعد

(٢٤٩) الحجة ٨٤ و١١٥ روى الحديث باختصار ابن أبي الحديد ٣/٣١٢، وأبو الفتوح الرازي في تفسيره ٤/٢١٢ والسيد علي خان في الدرجات الرفيعة ٤٩، وذكره شيخنا الأميني في الغدير ٧/٣٩٠ عن الكليني في الكافي ٢٤٤، والأمالي للصدوق ٣٦٦، والفتال في روضة الواعظين ١٢١، والمجلسي في البحار ٩/٢٤، والفتوني في ضياء العالمين مخطوط ـ والشريف الرضي في الفصول المختارة ٨٠

(٢٥٠) الغدير ٧/٣٩٥ عن الصدوق والحجة ٣٦٢ وضياء العالمين لأبي الحسن الفتوني، وابن أبي الحديد (شرح النهج) ٣/٣١٢

٤ ـ الرسول صلى الله عليه وآله وسلم يتذكر عمه :

أ ـ لما مات أبو طالب نالت قريش من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مالم تكن تطمع فيه في حياته، حتى اعترضه سفيه من سفهاء قريش فنثر التراب على رأسه، فدخل رسول الله بيته والتراب على رأسه، فقامت إليه إحدى بناته تغسل عنه التراب وتبكي، ورسول الله يقول لها :

[يابنية! لاتبكي فإن الله مانع أباك، مانالت مني قريش شيئاً أكرهه حتى مات أبو طالب](٢٥١) :

ب ـ لمّا نظر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يوم بدر إلى القتلى من المشركين وهم مصرّعون، قال لأبي بكر رضي الله عنه :

[لو أن أبا طالب حي لعلم أن أسيافنا قد أخذت بالأماثل]

يعني بذلك قول أبي طالب .

كذبتم ـ وبيت الله ـ إذ جدّ ماأرى ... لتلتبسن أسيافنا بالأماثل(٢٥٢)

جـ ـ وعن أنس بن مالك قال : أتى أعرابي إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال : يارسول الله ! لقد أتيناك ومالنا بعير يئط، ولاصبي يصطبح، ثم أنشد :

أتيناك والعذراء يدمي لبانها ... وقد شغلت أم الصبي عن الطفل

وألقى بكفيه الصبي استكانة ... من الجوع ضعفاً مايمر ولايحلي

ولاشيء مما يأكل الناس عندنا ... سوى الحنظل العامي والعلهز الفسل

وليس لنا إلا إليك فرارنا ... وأين يفر الناس إلا إلى الرسل

فقام رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يجر رداءه حتى صعد المنبر، فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال :

[اللهم! اسقنا غيثاً مغيثاً سحاً طبقاً غير رايث، تنبت به الزرع، وتملأ به الضرع، وتحي به الأرض بعد موتها، وكذلك تخرجون]

فما استتم الدعاء حتى التقت السماء بروقها، فجاء أهل البطالة يضجون الغرق! الغرق!

---

(٢٥١) الغدير ٣٧٧/٧ عن الأغاني ٢٨/١٧، طلبة الطالب ٣٨ نقلاً عن دلائل الإعجاز

(٢٥٢) مؤمن قريش ٢٣٧ عن الأغاني ٢٨/١٧، والغدير ٣٧٨/٧، وطلبة الطالب ٤٨، وأشير إليها في الشرح الحديدي ٣٠٩/٣

فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم :

[حوالينا ولاعلينا]

فانجاب السحاب عن المدينة كالأكليل ، فضحك رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حتى بدت نواجذه ، وقال : [لله در أبي طالب ، لو كان حياً لقرت عيناه ، من الذي ينشدنا شعره]

فقال علي بن أبي طالب كرّم الله وجهه :

يارسول الله ! كأنك أردت قوله :

وأبيض يستسقي الغمام بوجهه ... ثمال اليتامى عصمة للأرامل

فقال رسول الله : [أجل] .

فأنشد علي أبياتاً من القصيدة ، ورسول الله يستغفر لأبي طالب على المنبر .

د ـ الرسول صلى الله عليه وآله وسلم يثني على الأعرابي الذي ذكر عمه أبا طالب :

ثم قام رجل من كنانة ، وأنشد :

لك الحمد والحمد ممن شكر ... سقينا بوجه النبي المطر

دعا الله خالقه دعوة ... وأشخص معها إليه النظر

فلم يك إلا كإلقا الردى ... وأسرع حتى رأينا الدرر

دفاق العزالي جم البعاق ... أغاث به الله عليا مضر

فكان كما قاله عمه ... أبو طالب أبيض ذو غرر

به الله يسقي صيوب الغمام ... وهذا البيان لذاك الأثر

فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم :

[إن يك شاعر أحسن فقد أحسنت](٢٥٣)

قال البرزنجي : فقول النبي صلى الله عليه وآله وسلم : [لله در أبي طالب] يشهد له بأنه لو رأى النبي يستسقي على المنبر لسره ذلك ، ولقرت عيناه ، فهذا من النبي صلى الله عليه وآله وسلم شهادة لأبي طالب بعد موته : أنه كان يفرح بكلمات النبي صلى الله عليه وآله وسلم وتقر عينه بها ، وماذلك إلا لسرور وقر في قلبه من تصديقه .

---

(٢٥٣) الغدير ٧/٣٧٥ عن اعلام النبوة للماوردي ٧٧ ، وبدايع الصنايع ١/٢٨٣ ، وشرح ابن أبي الحديد ٣/٣١٦ ، والسيرة الحلبية ، وعمدة القاري ٣/٤٣٥ ، وشرح شواهدالمغني للسيوطي ١٣٦ ، وسيرة زيني دحلان ١/٨٧ ، وأسنى المطالب ١٥ ، وطلبة الطالب ٤٣ ومؤمن قريش ٢٣٣ ، والحجة ٨٨ و٩٠ ، وشيخ الأبطح ٤٥ و٤٦ وأعيان الشيعة ٣٩/١٥١ و١٥٢

قال الأميني: وذكر جمع هذا الحديث في استسقاء النبي صلى الله عليه وآله وسلم، وحذف منه كلمة [لله در أبي طالب]، وأنت أعرف مني بالغاية المتوخاة من هذا التحريف، ولا يفوتنا عرفانها.

أقول: وقول الرسول الكريم للأعرابي: [إن يك شاعر يحسن فقد أحسنت] شهادة أخرى من النبي الكريم لعمه أبي طالب بالإيمان، لأن الأعرابي لبّى رغبة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم حين طلب أن يذكر عمه، فذكره علي عليه السلام، وثنى بذكره الأعرابي حين قال:

فكان كما قاله عمه ... أبو طالب: أبيض ذو غرر

هـ ـ قال ابن أبي الحديد في (شرح النهج) ٣/٣١٦: ورد في السير والمغازي: أن عتبة بن ربيعة أو شيبة لما قطع رجل عبيدة بن الحارث بن المطلب رضوان الله عليه يوم (بدر) أشبل عليه علي وحمزة فاستنقذاه منه، وخبطا عتبة بسيفيهما حتى قتلاه، واحتملا صاحبهما إلى العريش فألقياه بين يدي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وأن مخ ساقه ليسيل، فقال: يارسول الله! لو كان أبو طالب حياً لعلم أنه قد صدق في قوله:

كذبتم ـ وبيت الله ـ نخلي محمداً ... ولما نطاعن دونه ونناضل

وننصره حتى نصرع حوله ... ونذهل عن أموالنا والحلائل

فقالوا: إن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم استغفر له ولأبي طالب يومئذ(٢٥٤)

و ـ وعندما يتولى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بنفسه الشريفة دفن فاطمة بنت أسد رضوان الله عليها (زوجة أبي طالب ووالدة علي) يقول:

[إنه لم يكن بعد أبي طالب أبرّ بي منها، إني إنما ألبستها قميصي لتكسى من حلل الجنة، واضطجعت في قبرها ليهون عليها ضغطة القبر](٢٥٥).

ز ـ وأخرج النسائي وغيره من طريق محمد بن أبي يعقوب عن الحسن بن سعد عن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب، قال:

لما قتل جعفر بن أبي طالب، قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: [ادع لي بني أخي] فجيء

---

(٢٥٤) الغدير ٧/٣٧٥، ومؤمن قريش عن الحديدي ٣/٣١٦ و٣٣٤ و١/٣٠٥ و٣٠٦، والحجة ٤٧ وشيخ الأبطح ٤٧ و٤٨، وأعيان الشيعة ٣٩/١٥١، وذكرت في البحار ٦/٥٩٥ بصورة تختلف عن هذه

(٢٥٥) أول شيخ الأبطح

بنا كأننا أفراخ، فقال: [ادع إليّ الحلاّق] فأمره فحلق رؤوسنا، ثم قال: [أما محمد فشبيه عمنا أبي طالب، وأما عون فشبيه خلقي وخُلقي] ثم أخذ بيدي فأمالها فقال: [اخلف جعفراً في أهله، وبارك بعبد الله في صفقة يمينه](٢٥٦)

ح ـ عن الشيخ المفيد يرفعه: لما احتضر النبي صلى الله عليه وآله وسلم وقرب خروج نفسه، قال لعلي عليه السلام ـ وكان لايفارقه ـ:

[ضع رأسي ياعلي في حجرك فقد جاء أمر الله، فإذا فاضت نفسي فتناولها في يدك، وامسح بها وجهك، ثم وجهني إلى القبلة، وتولّ أمري، وصلّ عليّ أول الناس، ولاتفارقني حتى تواريني رمسي، واستعن بالله عزّ وجل].

فأخذ علي عليه السلام رأسه فوضعه في حجره فأغمى عليه، وأكبت عليه فاطمة عليها السلام تنظر في وجهه وتندبه وتبكي وتقول:

وأبيض يستسقي الغمام بوجهه ثمال اليتامى عصمة للأرامل

ففتح رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عينيه، وقال بصوت ضئيل:

[يابنية! هذا قول عمك أبي طالب لاتقوليه، ولكن قولي: ﴿وماحمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل أفئن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم﴾].

فبكت طويلاً، فأومأ إليها بالدنو منه، فأسرّ إليها شيئاً، فتهلل له وجهها، ثم قضى صلوات الله وسلامه عليه وآله(٢٥٧).

ط ـ قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم:

هبط عليّ جبريل، فقال لي: يامحمد! إن الله عزّ وجل مشفعك في ستة:

بطن حملتك (آمنة بنت وهب)، وصلب أنزلك (عبد الله بن عبد المطلب)، وحجر كفلك (أبو طالب)، وبيت آواك (عبد المطلب)، وأخ لك في الجاهلية، قيل: يارسول الله! وماكان فعله؟ قال: كان سخياً يطعم الطعام، ويجود بالنوال، وثدي أرضعك (حليمة بنت أبي ذؤيب)(٢٥٨).

ي ـ عن عبد الرحمن بن كثير قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول:

---

(٢٥٦) نزل الأبرار ١٠٠

(٢٥٧) الحجة ٣٠٤ و٣٠٥

(٢٥٨) الحجة ٤٨ وروى الحديث أبو الفتوح الرازي في (تفسيره الكبير) ٤/ ٢١٠، والسيوطي في (التعظيم والمنة) ٢٥، وابن أبي الحديد ٣/ ٣١١ والغدير ٧/ ٣٧٩ عن ذخائر العقبى ٧ والدرج المنيفة للسيوطي ٧ ومسالك الحنفا ١٤

نزل جبريل على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فقال: يامحمد! إن الله تعالى يقرئك السلام ويقول لك: إني قد حرمت النار على صلب أنزلك، وعلى بطن حملك، وحجر كفلك، فقال: ياجبريل من تقول ذلك، فقال: أما الصلب الذي أنزلك فصلب (عبد الله بن عبد المطلب)، وأما البطن الذي حملك (فآمنة بنت وهب)، وأما الحجر الذي كفلك (فعبد مناف بن عبد المطلب، وفاطمة بنت أسد)[٢٥٩].

ك ـ قوله صلى الله عليه وآله لعلي عليه السلام:

[لو كنت مستخلفاً أحداً لم يكن أحق منك لقدمك في الإسلام، وقرابتك من رسول الله، وصهرك عندك فاطمة سيدة نساء المؤمنين، وقبل ذلك ماكان من بلاء أبي طالب حين نزل القرآن وأنا حريص أن أرعى ذلك في ولده بعده[٢٦٠].

ل ـ قوله صلى الله عليه وآله وسلم، لعقيل بن أبي طالب رضي الله عنه:

[ياأبا يزيد! إني أحبك حبين، حباً لقرابتك مني، وحباً لما كنت أعلم من حب أبي طالب إياك][٢٦١].

م ـ قوله صلى الله عليه وآله وسلم:

[أنا وكافل اليتيم كهاتين في الجنة]

يقول السيد فخار بن معد: وقد كنت سمعت جماعة من أصحابنا العلماء مذاكرة يروون عن الأئمة الراشدين من آل محمد صلوات الله عليهم أنهم سئلوا عن قول النبي المتفق على روايته المجمع على صحته: [أنا وكافل اليتيم كهاتين في الجنة]، فقالوا: أراد بكافل اليتيم عمه أبا طالب لأنه كفله يتيماً من أبويه، ولم يزل شفيقاً حدباً عليه[٢٦٢].

س ـ قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم:

---

(٢٥٩) الحجة ٥٥، وأخرجه ابن الجوزي بإسناده عن علي عليه السلام، والغدير ٧/٣٧٨ عن ابن الجوزي والتعظيم والمنة للسيوطي ٢٥

(٢٦٠) الغدير ٧/٣٧٩ عن الحافظ الكنجي في (الكفاية) ٦٨ من طريق الحافظ ابن فنجويه عن ابن عباس في حديث مرفوعاً قال لعلي

(٢٦١) الغدير ٧/٣٧٦ عن أبو عمر في الاستيعاب ٢/٥٠٩، والبغوي، والطبراني كما في (ذخائر العقبى) ٢٢٢ وتاريخ الخميس ١/١٦٣، وكمال الدين يحيى العامري في بهجة المحافل ١/٣٢٧، وذكره ابن أبي الحديد في شرحه ٣/٣١٢ وقال: قالوا: اشتهر واستفاض هذا الحديث، والبيهقي في (مجمع الزوائد) ٩/٢٧٣، وقال رجاله ثقات

(٢٦٢) الحجة ١٤٢ و١٤٣

[رحم الله عمي أبا طالب، لو ولد الناس كلهم لكانوا شجعاناً](٢٦٣)

وفي رواية:

[لو أن عمي أبا طالب ولد الناس لكانوا شجعاناً](٢٦٤).

٢ ـ «شهادات آل البيت عليهم السلام»

يقول الأميني:

أما رجال آل هاشم وأبناء عبد المطلب وولد أبي طالب فلم يؤثر عنهم إلا الهتاف بإيمانه الثابت، وأن ماكان يؤثره في نصرة النبي صلى الله عليه وآله وسلم كان منبعثاً عن تدين بما صدع به النبي صلى الله عليه وآله وسلم، و(أهل البيت أدرى بما فيه).

وقال ابن الأثير في (جامع الأصول): وماأسلم من أعمام النبي صلى الله عليه وآله وسلم، غير حمزة والعباس وأبي طالب عند أهل البيت عليهم السلام.

نعم! هتفوا بذلك في أجيالهم وأدوارهم بملىء الأفواه بكل صراحة، وجبهوا من خالفهم في ذلك:

إذا قالت حذام فصدقوها فإن القول ماقالت حذام(٢٦٥)

أقول: كيف لانصدقهم وهم الذين أنزل الله تعالى في حقهم:

﴿إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا﴾(٢٦٦) الأحزاب ٣٣

وقال فيهم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم:

[إن مثل أهل بيتي بينكم مثل سفينة نوح من ركبها نجا ومن تخلف عنها هلك](٢٦٧)

---

(٢٦٣) جعفر بن أبي طالب/ ٥١

(٢٦٤) علي سيد العرب والعجم ١٧٥

(٢٦٥) الغدير ٣١٩/٧

(٢٦٦) وفي سنن الترمذي بعد ذكر مناقب الأصحاب عن أم سلمة: أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم جلّلَ على الحسن والحسين وعلي وفاطمة كساء، ثم قال: [اللهم هؤلاء أهل بيتي وخاصتي، أذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً] فقالت أم سلمة: وأنا معهم يارسول الله، قال: [قفي في مكانك، إنك إلى خير] هذا حديث حسن صحيح، وأحسن شيء روي في هذا عن أنس وعمرو بن أبي سلمة وأبي الحمراء، ينابيع المودة ١٠٦/١ و١٠٧

(٢٦٧) هتلر والعرب المسلمون ١١ عن ابن أبي شيبة والطبراني وأبو يعلى والبزار وأبو نعيم وابن عساكر، وينابيع المودة ٢٧/١، عن مشكاة المصابيح، ومجمع الزوائد، وسليم بن قيس، وأخرجه المغازلي والحموينى، وربيع الأبرار ٣٣ في رواية أخرى عن الحاكم ـ غرق ـ بدل ـ هلك ـ وهو عن البراء عن عبد الله بن عباس، وعبد الله بن الزبير رضي الله عنهما

وقال عنهم أيضاً:

[إني مخلف فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي أهل بيتي، ماإن تمسكتم بهما لن تضلوا، حبلان ممدوان لن يتفرقا حتى يردا عليَّ الحوض](٢٦٨).

---

(٢٦٨) ذكر محقق كتاب (الحجة) السيد محمد بحر العلوم في حاشية ص٦ تعليقاً على هذا الحديث فقال: أصبح هذا الحديث من الأحاديث المتواترة، فقد رواه أئمة الحديث وعلماؤهم من الفريقين السنة والشيعة، منهم: مسلم في (صحيحه) فقد أخرجه بطريقتين ٢٢/٣٢٦، وابن ماجة في (سننه) ١٣٠، والبغوي في (مصابيح السنة) ٢٢/٢٠٥ و٢٠٦، وابن حنبل في (مسنده) بألفاظ مختلفة بموارد متعددة ١/٣٧١ و٣/٢٦ و٣/١٧ و٥٩، ٤/٢٥ و١٢٨٢ و ٣٦٦ و٣٦٧، والسيوطي الشافعي في تفسيره (الدر المنثور) والحمويني الحنفي في (فرائد السمطين) مخطوط، والنبهاني الشافعي في (الشرف المؤبد لآل محمد) ٢٤، ومحب الدين الطبري الشافعي في (ذخائر العقبى) ١٦، وعلي المتقي الحنفي في (كنز العمال) ١/٤٧، والقندوزي الحنفي في (ينابيع المودة) ٢٤١، والكنجي الشافعي في (كفاية الطالب) ١١، وابن الأثير الجزري في (أسد الغابة)، والشبراوي الشافعي في كتابه (الإتحاف بحب الأشراف) ٢٢، وسبط بن الجوزي في (تذكرة خواص الأمة) في الباب الثاني عشر ١٨٢ بطرق عديدة، قال بعد نقل قول جده ابن الجوزي: وقد أخرجه أبو داود في (سننه) والترمذي أيضاً وعامة المحدثين، وذكره رزين في (الجمع بين الصحاح)، والعجب كيف خفي عن جدي ماروى مسلم في (صحيحه) عن زيد بن الأرقم الخ

وممن ذكر هذا الحديث ايضاً ابن حَجر الهيثمي الشافعي في (الصواعق المحرقة) ٧٥ و٨٧ و٩٠ و١٣٦، وقال في ٨٩ بعد أن ذكر الحديث: ثم إعلم أن لحديث (التمسك) بذلك طرقاً كثيرة واردة عن نيف وعشرين صحابياً، ومرّ له طرق مبسوطة في حادي عشر الشبه، وفي بعض تلك الطرق أنه قال ذلك بحجة الوداع بعرفة، وفي أخرى أنه قاله بالمدينة في مرضه، وقد امتلأت الحجرة بأصحابه، وفي أخرى أنه قال ذلك بغدير خم، وفي أخرى أنه قاله لما قام خطيباً بعد انصرافه من الطائف كما مر، ولاتنافي إذ لامانع أن يكرر عليهم ذلك في تلك المواطن وغيرها اهتماماً بشأن الكتاب العزيز، وقال في ١٣٦ من (الصواعق): سمى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم القرآن وعترته وهي (بالمثناة الفوقية): الأهل والنسل والرهط الأدنون «ثقلين» لأن الثقل كل نفيس نظير مصون، وهذان كذلك، إذ كل منهما معدن العلوم الدينية، والأسرار والحكم العلية، والأحكام الشرعية، ولذا حث رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم على الاقتداء والتمسك بهم، والتعلم منهم، وقال: [الحمد لله الذي جعل فينا الحكمة أهل البيت] وقال: سمّيا ثقلين لثقل وجوب حقوقهما، ومن ذكر حديث الثقلين فخر الدين الرازي في (تفسيره) ١٣/١٨، وابن كثير الدمشقي في (تفسيره) ٤/١١٣، والنيسابوري في (تفسيره) ١/٣٤٩، والخازن في (تفسيره) ١/٢٥٧ و٤/٩٤، ومسعود بن عمر التفتازاني في (شرح المقاصد)، وقال: بعد أن ذكر الحديث: ألا ترى أنه صلى الله عليه وآله وسلم قرنهم بكتاب الله تعالى في كون التمسك بهما منقذاً من الضلالة، ولامعنى للتمسك بالكتاب إلا الأخذ بما فيه من العلم والهداية وكذا في العترة

هؤلاء كلهم من علماء السنة ورواة أحاديثهم، وأما علماء الشيعة ورواة أحاديثهم، فالحديث متواتر عندهم، وقد وضعت في إثبات هذا الحديث ومعناه مؤلفات خاصة، انظر ـ الجزئين المؤلفين في كتاب (عبقات الأنوار) للعلامة الكبير السيد حامد حسين الهندي رحمه الله ـ طبع الهند وإيران، وانظر أيضاً كتاب (الثقلان) للعلامة المرحوم الشيخ محمد حسن المظفر ـ طبع النجف الأشرف، وراجع أيضاً كتاب (حديث الثقلين) للعلامة محمد تقي القمي ـ المطبوع بالقاهرة سنة ١٣٤٧ هـ، والذي أصدرته دار التقريب بين المذاهب الإسلامية في القاهرة.

١ ـ ماشهد به أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام:

أ ـ عن أبي الطفيل عامر بن واثلة قال: قال علي عليه السلام:

«إن أبي حين حضره الموت شهده رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فأخبرني عنه بشيء، خير لي من الدنيا ومافيها»(٢٧٠).

ب ـ عن أمير المؤمنين، قال:

«مامات أبو طالب حتى أعطى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من نفسه الرضا»(٢٧١).

جـ ـ عن الامام السبط الحسين بن علي عن والده أمير المؤمنين، أنه كان جالساً في الرحبة والناس حوله، فقام إليه رجل فقال له: ياأمير المؤمنين! إنك بالمكان الذي أنزلك الله، وأبوك معذب في النار، فقال له: مه! فضّ الله فاك! والذي بعث محمداً بالحق نبياً، لو شفع أبي في كل مذنب على وجه الأرض لشفعه الله، أأبي معذب في النار وابنه قسيم الجنة والنار؟ والذي بعث محمداً بالحق: إن نور أبي طالب يوم القيامة ليطفىء أنوار الخلائق إلا خمسة أنوار، نور محمد، ونور فاطمة، ونور الحسن والحسين، ونور ولده من الأئمة، ألا إن نوره من نورنا، خلقه الله من قبل خلق آدم بألفي عام(٢٧٢).

د ـ سئل أمير المؤمنين: من كان آخر الأوصياء؟ قال: «أبي»(٢٧٣).

هـ ـ قال علي بن أبي طالب عليه السلام:

والله ماعبد أبي ولاجدي عبد المطلب ولاهاشم ولاعبد مناف صنماً قط، قيل له: فما كانوا

---

(٢٧٠) الغدير ٧/٣٨٧ و٣٨٨ رواه بإسناده فخار بن معد في كتابه الحجة ٢٣، وذكره الفتوني في (ضياء العالمين)

(٢٧١) الغدير ٧/٣٨٨ عن تفسير علي بن إبراهيم ٣٥٥، وكتاب الحجة ٢٣ والدرجات الرفيعة، وضياء العالمين وفي ص ٣٦٩ عن ابن أبي الحديد في شرحه ٣/٣١٢ وراجع سيرة ابن هشام ٢/٢٧ ودلائل النبوة للبيهقي، وتاريخ ابن كثير ٢/١٢٣، وعيون الأثر لابن سيد الناس ١/١٣١، والاصابة ٤/١١٦، والمواهب اللدنية ١/٧١ والسيرة الحلبية ١/٣٧٢، والسيرة الدحلانية هامش الحلبية ١/٨٩، وأسنى المطالب ٢٠

(٢٧٢) الغدير ٧/٣٨٧ عن المناقب المائة للشيخ أبي الحسن بن شادان، وكنز الفوائد للكراجكي، وأمالي ابن الشيخ ١٩٢، واحتجاج الطبرسي كما في البحار، وتفسير أبي الفتوح ٤/٢١١ والحجة ١٥، والدرجات الرفيعة وبحار الأنوار ٩/١٥، وضياء العالمين، وتفسير البرهاني ٣/٧٩٤

(٢٧٣) الغدير ٧/٣٨٩ عن ضياء العالمين للفتوني

يعبدون، قال: كانوا يصلون إلى البيت على دين ابراهيم عليه السلام متمسكين به[٢٧٤].

و ـ عن الشعبي يرفعه، عن أمير المؤمنين أنه قال:

كان والله! أبو طالب عبد مناف بن عبد المطلب مؤمناً مسلماً يكتم إيمانه مخافة على بني هاشم أن تنابذها قريش[٢٧٥].

ز ـ عن الامام الباقر عليه السلام:

ألم تعلموا! أن أمير المؤمنين علياً عليه السلام، كان يأمر أن يحج عن عبد الله والد الرسول، وآمنة والدة الرسول، وأبي طالب في حياته، ثم أوصى في وصيته بالحج عنهم[٢٧٦].

وهذا دليل فقهي على إسلامهم لأن غير المسلم لايحج عنه.

ح ـ أخرج أبو الفرج الأصفهاني بإسناده عن الامام الصادق عليه السلام، وقال:

كان أمير المؤمنين يعجبه أن يروى شعر أبي طالب عليه السلام، وأن يدوّن وقال:

تعلموه وعلموه أولادكم فإنه كان على دين الله، وفيه علم كثير[٢٧٧].

ط ـ وقد رثاه أمير المؤمنين عليه السلام:

أبا طالب عصمة المستجير ... وغيث المحول ونور الظلم

لقد هدّ فقدك أهل الحفاظ ... فصلّى عليك ولي النعم

ولقّاك ربك رضوانه ... فقد كنت للمصطفى خير عم[٢٧٨]

فلو لم يكن مسلماً مؤمناً لما رثاه أمير المؤمنين.

٢ ـ شهادة الامام السجاد ـ زين العابدين ـ علي بن الحسين عليهما السلام:

سئل الإمام زين العابدين عن أبي طالب: أكان مؤمناً، فقال: نعم، فقيل له: إن هاهنا قوماً يزعمون أنه كافر، فقال: واعجباً كل العجب! أيطعنون على أبي طالب أو على

---

(٢٧٤) الغدير ٧/٣٨٧ عن الشيخ الصدوق بإسناده في كمال الدين ١٠٤، والشيخ أبو الفتوح في (تفسيره) ٤/٢١٠، والسيد في البرهان ٣/٧٩

(٢٧٥) الغدير ٧/٣٨٨، الحجة ٢٤

(٢٧٦) مؤمن قريش ٢٥٩ عن النهج ٣/٣١١ ومعجم القبور ١/١٨٩، والحجة ١٨، وشيخ الأبطح ٣٢ و٧٦ والغدير ٧/٣٨١ و٣٩١ وأعيان الشيعة ٣٦/١٣٦

(٢٧٧) الغدير ٧/٣٩٣ و٣٩٤ من كتاب الحجة ٢٥ وبحار الأنوار ٩/٢٤، وضياء العالمين للفتوني ٣٩/١٤٠

(٢٧٨) الغدير ٧/٣٧٩ عن تذكرة الخواص ٦ و ديوان أبي طالب ٣٦، والحجة ٢٤٠ ومؤمن قريش ٢٤٧ عن شيخ الأبطح ٥٠ ومعجم القبور ١/٢٠٦، وأعيان الشيعة

رسـول الله صلى الله عليـه وآلـه وسلم وقـد نهاه الله تعـالى أن يقـر مؤمنـة مع كافر في غير آية من القرآن، ولايشك أحد أن فاطمة بنت أسد رضي الله عنها من المؤمنات السابقات، فإنها لم تزل تحت أبي طالب حتى مات أبو طالب رضي الله عنه(٢٧٩).

ويقـول سيـد الأهـل في كتابه (أبو طالب عم النبي) ٩٨: وعند خروج بني هاشم من الشعب حرّم الدين الجديد المشركة على المسلم، والمسلم على المشركة.

٣ ـ شهادة الإمام محمد الباقر عليه السلام:

أ ـ عن أبي بصير عن محمد بن علي الباقر، أنه قال: مات أبو طالب بن عبد المطلب مسلماً مؤمنـاً، وشعـره في ديـوانـه يدلّ على إيـمانـه، ثم محبته وتربيته ونصرته ومعاداته أعداء رسـول الله صلى الله عليـه وآلـه وسلم، ومـوالاة أوليائه، وتصديقه إياه فيما جاء به من ربه، وأمره لولـديـه علي وجعفـر بأن يسلما ويؤمنـا بما يدعـو إليـه، وأنه خير الخلق، وأنه يدعو إلى الحق والمنهاج المستقيم، وأنه رسول رب العالمين، فثبت ذلك في قلبيهما، فحين دعاهما رسول الله صلى الله عليـه وآلـه وسلم أجـابـاه في الحال وماتلبثا لما قرره أبوهما عندهما من أمره، فكانا يتأملان فعال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فيجدانها كلها حسنة، تدعو إلى سداد ورشاد(٢٨٠).

ب ـ عن أبي ليث المرادي، قال: إن أبا طالب في ضحضاح من نار يغلي فيه دماغه، فقال عليه السلام:

كذبوا! والله إن إيمان أبي طالب لو وضع في كفة الميزان وإيمان هذا الخلق في كفة ميزان أخرى لرجح إيمان أبي طالب على إيمانهم.

ثم قال الامام الباقر: ألم تعلموا أن أمير المؤمنين علياً عليه السلام كان يأمر أن يحج عن عبد الله وآمنة وأبي طالب في حياته، ثم أوصى في وصيته بالحج عنهم(٢٨١).

٤ ـ شهادة الامام الصادق عليه السلام:

أ ـ أخـرج ثقـة الاسـلام الكليني في (الكافي) ٢٤٤ بالإسناد عن اسحق بن جعفر عن أبيـه عليـه السـلام، قال: قيـل له: إنهم يزعمـون أن أبـا طالب كان كافراً، فقال: كذبوا! كيف !وهو يقول:

---

(٢٧٩) الغـديـر ٧/٣٨٩ عن الـدرجـات الـرفيعة، وضياء العالمين، فقال قيل أنها متواترة عندنا، والحجة ٢٤ وابن أبي الحديد في شرحه ٣/٣١٢

(٢٨٠) الحجة ١٤٠

(٢٨١) هامش ٩٧

يعبدون، قال: كانوا يصلون إلى البيت على دين ابراهيم عليه السلام متمسكين به[٢٧٤].

و ـ عن الشعبي يرفعه، عن أمير المؤمنين أنه قال:

كان والله! أبو طالب عبد مناف بن عبد المطلب مؤمناً مسلماً يكتم إيمانه مخافة على بني هاشم أن تنابذها قريش[٢٧٥].

ز ـ عن الامام الباقر عليه السلام:

ألم تعلموا! أن أمير المؤمنين علياً عليه السلام، كان يأمر أن يحج عن عبد الله والد الرسول، وآمنة والدة الرسول، وأبي طالب في حياته، ثم أوصى في وصيته بالحج عنهم[٢٧٦].

وهذا دليل فقهي على إسلامهم لأن غير المسلم لايحج عنه.

ح ـ أخرج أبو الفرج الأصفهاني بإسناده عن الامام الصادق عليه السلام، وقال:

كان أمير المؤمنين يعجبه أن يروى شعر أبي طالب عليه السلام، وأن يدوّن وقال:

تعلموه وعلموه أولادكم فإنه كان على دين الله، وفيه علم كثير[٢٧٧].

ط ـ وقد رثاه أمير المؤمنين عليه السلام:

أبا طالب عصمة المستجير ... وغيث المحول ونور الظلم

لقد هدّ فقدك أهل الحفاظ ... فصلّى عليك ولي النعم

ولقّاك ربك رضوانه ... فقد كنت للمصطفى خير عم[٢٧٨]

فلو لم يكن مسلماً مؤمناً لما رثاه أمير المؤمنين.

٢ ـ شهادة الامام السجاد ـ زين العابدين ـ علي بن الحسين عليهما السلام:

سئل الإمام زين العابدين عن أبي طالب: أكان مؤمناً، فقال: نعم، فقيل له: إن هاهنا قوماً يزعمون أنه كافر، فقال: واعجباً كل العجب! أيطعنون على أبي طالب أو على

---

(٢٧٤) الغدير ٧/٣٨٧ عن الشيخ الصدوق بإسناده في كمال الدين ١٠٤، والشيخ أبو الفتوح في (تفسيره) ٤/٢١٠، والسيد في البرهان ٣/٧٩

(٢٧٥) الغدير ٧/٣٨٨، الحجة ٢٤

(٢٧٦) مؤمن قريش ٢٥٩ عن النهج ٣/٣١١ ومعجم القبور ١/١٨٩، والحجة ١٨، وشيخ الأبطح ٣٢ و٧٦ والغدير ٧/٣٨١ و٣٩١ وأعيان الشيعة ٣٦/١٣٦

(٢٧٧) الغدير ٧/٣٩٢ و٣٩٤ من كتاب الحجة ٢٥ وبحار الأنوار ٩/٢٤، وضياء العالمين للفتوني ٣٩/١٤٠

(٢٧٨) الغدير ٧/٣٧٩ عن تذكرة الخواص ٦ وديوان أبي طالب ٣٦، والحجة ٢٤٠ ومؤمن قريش ٢٤٧ عن شيخ الأبطح ٥٠ ومعجم القبور ١/٢٠٦، وأعيان الشيعة

رسـول الله صلى الله عليـه وآلـه وسلم وقـد نهاه الله تعـالى أن يقـر مؤمنـة مع كافر في غير آية من القرآن، ولايشك أحد أن فاطمة بنت أسد رضي الله عنها من المؤمنات السابقات، فإنها لم تزل تحت أبي طالب حتى مات أبو طالب رضي الله عنه(٢٧٩).

ويقـول سيـد الأهـل في كتابه (أبو طالب عم النبي) ٩٨: وعند خروج بني هاشم من الشعب حرّم الدين الجديد المشركة على المسلم، والمسلم على المشركة.

٣ ـ شهادة الإمام محمد الباقر عليه السلام:

أ ـ عن أبي بصير عن محمد بن علي الباقر، أنه قال: مات أبو طالب بن عبد المطلب مسلماً مؤمنـاً، وشعـره في ديـوانـه يدلّ على إيـمانـه، ثم محبته وتربيته ونصرته ومعاداته أعداء رسـول الله صلى الله عليـه وآلـه وسلم، ومـوالاة أوليائه، وتصديقه إياه فيما جاء به من ربه، وأمره لولـديـه علي وجعفـر بأن يسلما ويؤمنـا بما يدعـو إليـه، وأنه خير الخلق، وأنه يدعو إلى الحق والمنهاج المستقيم، وأنه رسول رب العالمين، فثبت ذلك في قلبيهما، فحين دعاهما رسول الله صلى الله عليـه وآلـه وسلم أجـابـاه في الحال وماتلبثا لما قرره أبوهما عندهما من أمره، فكانا يتأملان فعال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فيجدانها كلها حسنة، تدعو إلى سداد ورشاد(٢٨٠).

ب ـ عن أبي ليث المرادي، قال: إن أبا طالب في ضحضاح من نار يغلي فيه دماغه، فقال عليه السلام:

كذبوا! والله إن إيمان أبي طالب لو وضع في كفة الميزان وإيمان هذا الخلق في كفة ميزان أخرى لرجح إيمان أبي طالب على إيمانهم.

ثم قال الامام الباقر: ألم تعلموا أن أمير المؤمنين علياً عليه السلام كان يأمر أن يحج عن عبد الله وآمنة وأبي طالب في حياته، ثم أوصى في وصيته بالحج عنهم(٢٨١).

٤ ـ شهادة الامام الصادق عليه السلام:

أ ـ أخـرج ثقـة الاسـلام الكليني في (الكافي) ٢٤٤ بالإسناد عن اسحق بن جعفر عن أبيـه عليـه السـلام، قال: قيـل له: إنهم يزعمـون أن أبـا طالب كان كافراً، فقال: كذبوا! كيف !وهو يقول:

---

(٢٧٩) الغـديـر ٧/٣٨٩ عن الـدرجـات الرفيعة، وضياء العالمين، فقال قيل أنها متواترة عندنا، والحجة ٢٤ وابن أبي الحديد في شرحه ٣/٣١٢

(٢٨٠) الحجة ١٤٠

(٢٨١) هامش ٩٧

ألم تعلموا أنا وجدنا محمداً نبياً كموسى خطّ في أول الكتب[٢٨٢]

ب ـ أخرج ثقة الاسلام الكليني في (الكافي) ٢٤٤، عن الامام الصادق عليه السلام، قال: كيف يكون أبو طالب كافراً وهو يقول:

لقد علموا ان ابننا لامكذب لدينا ولايعبا بقول الأباطل

وأبيض يستسقي الغمام بوجهه ثمال اليتامى عصمة للأرامل[٢٨٣]

جـ ـ عن يونس بن نباتة عن الامام الصادق عليه السلام، قال: يايونس! مايقول الناس في أبي طالب؟ قلت: جعلت فداك، يقولون: هوفي ضحضاح من ناريغلي منها أم رأسه، فقال: كذب أعداء الله، إن أبا طالب من رفقاء النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا[٢٨٤].

د ـ روى الشريف بن معد في كتابه (الحجة) ٢٢ من طريق شيخنا الصدوق عن داود الرقي، قال: دخلت على أبي عبد الله عليه السلام ولي على رجل دين، وقد خفت نواه، فشكوت ذلك إليه، فقال: إن مررت بمكة فطف عن عبد المطلب طوافاً وصل عنه ركعتين، وطف عن أبي طالب طوافاً وصل عنه ركعتين، وطف عن عبد الله طوافاً وصل عنه ركعتين، وطف عن آمنة طوافاً وصل عنها ركعتين، وطف عن فاطمة بنت أسد طوافاً وصل عنها ركعتين، ثم ادع الله عزّ وجل أن يرد عليك مالك، قال: ففعلت ذلك، ثم خرجت من باب الصفا فإذا غريمي واقف يقول: ياداود! جئني هناك فأقضي حقك[٢٨٥].

وهذا أيضاً دليل فقهي على إيمانهم، لأن غير المسلم لايطاف عنه ولايصلى عنه.

٥ ـ شهادة الامام موسى الكاظم عليه السلام:

أخرج ثقة الإسلام الكليني في الكافي ٢٤٢ بإسناده عن درست بن أبي منصور أنه سأل أبا الحسن الأول الامام الكاظم عليه السلام: أكان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم محجوجاً بأبي طالب؟ فقال له: لا، ولكنه كان مستودعاً للوصايا، فدفعها إليه، فقال قلت: فدفع إليه الوصايا على أنه محجوج به، فقال: لوكان محجوجاً به مادفع إليه الوصية، قال قلت: فما كان حال أبي طالب؟ قال: أقر بالنبي وبما جاء به، ودفع إليه الوصايا، ومات من

---

(٢٨٢) الغدير ٧/٣٩١

(٢٨٣) الغدير ٧/٣٩١، وذكره السيد في البرهان ٣/٧٩٥

(٢٨٤) الغدير ٧/٣٩٣ عن كنز الفوائد لشيخنا الكراجكي ٨٠ وكتاب الحجة ١٧ وضياء العالمين

(٢٨٥) الغدير ٧/٣٩٣، وذكره العلامة المجلسي في البحار ٩/٢٤

يومه[٢٨٦].

٦ ـ شهادة الامام الرضا عليه السلام:

أ ـ كتب أبان بن محمود إلى علي بن موسى الرضا: جعلت فداك! إني قد شككت في إسلام أبي طالب، فكتب إليه: ﴿ومن يشاقق الرسول من بعد ماتبين له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين﴾ النساء ١١٥

وبعدها: إنك إن لم تقر بإيمان أبي طالب كان مصيرك إلى النار[٢٨٧].

ب ـ أخرج الشيخ أبوجعفر الصدوق بإسناد له، أن عبد العظيم بن عبد الله العلوي الحسيني المدفون بالري كان مريضاً، فكتب إلى أبي الحسن الرضا عليه السلام: عرفني ياابن رسول الله عن الخبر المروي: أن أبا طالب في ضحضاح من ناريغلي منه دماغه، فكتب إليه الرضا عليه السلام:

«بسم الله الرحمن الرحيم: أما بعد، فإنك إن شككت في إيمان أبي طالب كان مصيرك إلى النار»[٢٨٨].

٧ ـ شهادة العباس بن عبد المطلب:

عن عكرمة عن ابن عباس، قال: قال أخبرني أبي: أن أبا طالب رضي الله عنه شهد عند الموت أن لا إله إلا الله محمد رسول الله[٢٨٩].

٨ ـ شهادة عبد الله بن العباس رضي الله عنهما:

أخرج أبوجعفر الصدوق قدس سره في (الأمالي) ٣٦٦ بإسناده عن سعيد بن جبير عن عبد الله بن عباس، أنه سأله رجل فقال له:

ياابن عم رسول الله! أخبرني عن أبي طالب، هل كان مسلماً؟ قال: وكيف لم يكن مسلماً وهو القائل:

---

(٢٨٦) ٧/٣٩٤، ومؤمن قريش ٢٦٣ عن العباس ١٨

(٢٨٧) الغدير ٧/٣٩٤ و٣٩٥، والسيد الشيرازي في الدرجات الرفيعة والمجلسي في ضياء العالمين

(٢٨٨) كتاب الحجة ١٦ وضياء العالمين للفتوني، والغدير ٧/٣٩٥

(٢٨٩) الغدير ٧/٣٩٧ عن ضياء العالمين وفي ٣٦٩ وقال السيد أحمد زيني دحلان في السيرة الحلبية ١/٩٤: نقل الشيخ السحيمي في (شرحه على شرح جوهرة التوحيد) عن الامام الشعراني والسبكي وجماعة أن ذلك الحديث ـ أعني حديث العباس ـ ثبت عند أهل الكشف وصح عندهم إسلامه

وقال في أسنى المطالب ٢٥: لما تقارب من أبي طالب الموت نظر إليه العباس فرآه يحرك شفتيه، فأصغى إليه بأذنه فسمع منه الشهادة، فقال للنبي صلى الله عليه وآله وسلم: ياابن أخي والله لقد لقد قال الكلمة التي أمرته بها.

وقد علموا أن ابننا لامكذب لدينا ولا يعبا بقول الأباطل

إن أبا طالب كان مثله كمثل أصحاب الكهف حين أسرّوا الإيمان وأظهروا الشرك فآتاهم الله أجرهم مرتين[٢٩٠].

٣ ـ «بقية الشهادات»

أ ـ شهادات الصحابة:

١ ـ شهادة الخليفة أبي بكر رضي الله عنه حيث قال:

إن أبا طالب مامات حتى قال: لاإله إلا الله محمد رسول الله، وكذلك قال العباس بمثل ماقال أبو بكر[٢٩١].

٢ ـ شهادة الصحابي الجليل أبي ذر الغفاري رضوان الله عليه:

والله الذي لاإله إلا هو مامات أبو طالب رضي الله عنه حتى أسلم... الخ

وأنه قال الشهادة بلسان الحبشة[٢٩٢].

٣ ـ شهادة حسان بن ثابت الأنصاري الشاعر، حيث قال:

فإذا ندبتم هالكاً فابكوا الوفي أخا الوفي

قال سبط بن الجوزي: يعني حمزة وأبا طالب[٢٩٣].

٤ ـ شهادة أبو الجهم بن حذيفة[٢٩٤]:

سئل أبو الجهم بن حذيفة: أصلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم على أبي طالب، فقال: وأين الصلاة يومئذ، إنما فرضت الصلاة بعد موته، ولقد حزن عليه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأمر علياً بالقيام بأمره، وحضر جنازته، وشهد له العباس وأبو بكر بالإيمان، وأشهد على صدقهما، لأنه كان يكتم إيمانه، ولو عاش إلى ظهور الإسلام لظهر إيمانه. الغدير ٣٩٩/٧.

---

(٢٩٠) الغدير ٣٩٦/٧ عن السيد ابن معد في الحجة ٦٤ و١١٥

(٢٩١) مؤمن قريش ٢٦٩ عن النهج ٣١٢/٣ وشيخ الأبطح ٧١، والغدير ٣٧٠/٧ و ٤٠١ وأعيان الشيعة ١٣٦/٣٩

(٢٩٢) الغدير ٣٩٨/٧ من تفسير الوكيع عن ضياء العالمين لشيخنا الحسن الفتوني، ومؤمن قريش ٢٦٩

(٢٩٣) مؤمن قريش ٢٧ عن تذكرة الخواص ٣١

(٢٩٤) الحجة ٢٦٨ أبو الجهم بن حذيفة بن غانم القرشي العدوي: قيل: ان اسمه عامر، وقيل: اسمه عبيد، كان من مشيخة قريش، واحد الأربعة الذين كانت قريش تأخذ عنهم النسب، وكان من المعمرين، حضر بناء الكعبة مرتين حين بنتها قريش، وبناها ابن الزبير، وقال ابن سعد: مات في آخر خلافة معاوية وهو من مسلمي الفتح، (راجع الاصابة: ت ٢٠٦) الكنى، ونسب قريش: ٢٦٩، وسمط اللآلي ٥٣٠، والأعلام ١٧/٤

ب ـ شهادات أهل الفضل:

١ ـ المأمون يقول بإسلام أبي طالب:

كان المأمون يقول: أسلم والله أبو طالب ببيت قاله، وهو قوله:

نصرنا الرسول رسول المليك ... ببيض تلالا كلمع البروق

وتتمة الأبيات:

أذب وأحمي رسول الإله ... حماية حام عليه شفيق

وما إن أدب لأعدائه ... دبيب البكار حذار الفنيق

ولكن أزير لهم سامياً ... كما زار ليث بغيل مضيق(٢٩٥)

٢ ـ شهادة أبي جعفر الاسكافي:

كان أبو طالب في الحقيقة كافله ـ أي الرسول ـ وناصره، والمحامي عنه، ومن لولاه لم تقم له قائمة، ومع ذلك لم يسلم في أغلب الروايات(٢٩٦).

أقول: «النتائج تابعة للمقدمات صحة وفساداً» فإذا كان الإسلام لم تقم له قائمة لولا أبو طالب، فكيف نفسر قوله تعالى لرسوله الكريم:

﴿هو الذي أيدك بنصره وبالمؤمنين﴾ الأنفال ٦٢

اللهم إلا إذا كان الاسكافي يقصد عدم إشهار وإعلان أبي طالب لإسلامه، وسبب ذلك /التقية/ كما قال الاسكافي نفسه، (وتقية أبي طالب ليست خوفاً على نفسه وإنما ليدافع عن رسول الله).

٣ ـ شهادة القرافي في (شرح التنقيح) عند قول أبي طالب:

وقد علموا أن ابننا لامكذب لدينا ... ولا يعزى لقول الأباطل

قال: إن هذا تصريح باللسان واعتقاد بالجنان، وإن أبا طالب ممن آمن بظاهره وباطنه، غير أنه كفر ظاهراً، ولم يذعن للفروع، وكان يقول:

(إني لأعلم أن مايقول ابن أخي حق، ولولا أني أخاف أن تعير نساء قريش لاتبعته)، وأجيب كما مرّ: بأنه لم يذعن ظاهراً خوفاً من أن قريش لاتقبل حمايته، وقوله: لولا أن تعير نساء قريش ليوهم عليهم أنه على دينهم، وهذا عذر صحيح بلغ به تمكين النبي صلى الله عليه

---

(٢٩٥) مؤمن قريش ٢٧١ عن النهج الحديدي ٣/٣١٤، والغدير ٧/٣٣٧، والحجة ٥٤

(٢٩٦) مؤمن قريش ٢٧١ عن رسائل الجاحظ ٣٢ ، الغيل: الغابة أو الشجر الكثيف

وآله وسلم في نبوته والدعوة إليه[٢٩٧].

٤ ـ شهادة سبط ابن الجوزي، قال:

كون أبي طالب من أهل الجنة مالا ينبغي التأمل فيه، وان شواهده أكثر من أن تذكر، اهتمامه بكفالة النبي المختار ونصرته له، واهتمامه بدفع أذى الأشرار والكفّار عنه، وجزع النبي صلى الله عليه وآله وسلم عند موته، وتسمية عامه بعام الحزن لموته وموت خديجة، واستغفاره له في طول أيام، ولا يرتاب استجابة دعائه لاسيما مع الأصرار[٢٩٨].

٥ ـ المبرد يرى إسلام أبي طالب: وحدثني شيخنا عميد الرؤساء ابن أيوب اللغوي، قال: أراني السيد عبد الحميد بن التقي الحسيني النسابة نسخة عتيقة من كتاب (الكامل) للمبرد، وفيها بعد ذكر أبي طالب في بعض الأبواب:

وأسلم أبو طالب وحسن إسلامه، وصدّق رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في كلمته، وله شأن عجيب لايحتمله أهل بغداد، فمما صدقه فيه صلى الله عليه وآله وسلم قوله:

اذهب بُني فما عليك غضاضة ... وابشر بذاك وقرّ منك عيونا
والله لن يصلوا إليك بجمعهم ... حتى أوسد في التراب دفينا
ودعوتني وعلمت أنك ناصحي ... ولقد صدقت وكنت ثم أمينا
ولقد علمت بأن دين محمد ... من خير أديان البرية دينا[٢٩٩]

٦ ـ شهادة ابن أبي الحديد المعتزلي:

بعد أن صرّح ابن أبي الحديد بإسلام أبي طالب في شعره ونثره، ولا يذكر اسمه إلا ويعقبه بقوله: (عليه السلام)، عاد ليقول: فأما أنا فإن الحالة ملتبسة عندي، والأخبار متعارضة، والله أعلم بحقيقة حاله كيف كانت، ويقف في نفسي رسالة النفس الزكية* إلى المنصور، وقوله فيها: فأنا ابن خير الأخيار، وأنا ابن شر الأشرار، وأنا ابن سيد أهل الجنة، وأنا ابن سيد أهل النار، فإن هذه الشهادة منه على أبي طالب بالكفر، وهو ابنه غير متهم عليه، وعهده قريب من عهد النبي صلى الله عليه وآله وسلم ولم يطل الزمان فيكون الخبر مفتعلاً.

---

(٢٩٧) أسنى المطالب ٢١

(٢٩٨) مؤمن قريش عن تذكرة الخواص ١٠ و١١

(٢٩٩) الحجة ٢٦٣ ★ محمد بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب (ع) خرج على المنصور بالمدينة ١٤٥ هـ واستشهد واخوه ابراهيم عند (باخمري)

أقــول: إن هذا القــول مردود عليـه، لأنـه يخالف ماقـالـه ابن أبي الحـديـد في هذا المـوضـوع، كما يخالف ماأوردنـاه من الآيـات الكـريمـة، والأحـاديث النبـوية الصحيحة، والشهادات الصريحة، والوقائع الثابتة، والأقوال والأفعال، التي تدل دلالة أكيدة على إسلام وإيمان أبي طالب.

وكأن ابن أبي الحديد غافل عما أحدثه الأمويون والعباسيون ضد آل البيت عليهم السلام.

وبمناقشة هذه الرسالة نجد أنها لم تثبت سنداً، فقد ذكر صاحب (شيخ الأبطح): أن راويها عثمان بن سعيد بن سعد المدني، وقال: وهذا سعيد من مجاهيل الرواة.

وذكـرهـا الطـبري بسنـد مبتـور فيه محمد بن يحيى (لايعلم جده)، وكل من ذكر بهذا الاسم متروك ضعيف وذو حديث منكـر، وكـذلـك محمـد بن بشير، وأبو عبد الرحمن، وابن أبي حرب، والحكم بن صدقة من المجهولين الذين ليس لهم ذكر.

وأما متن الرسالة فمنكر غير مستقيم، لأن أبا طالب لم يكن شريراً حتى يقال عنه سيد الأشرار، ولم يكن من أهل النار حتى يقال عنه: سيد أهل النار.

وعلى فرض صحة الرسالة، فيمكن أن يكون المقصود بها غير أبي طالب من أجداد النفس الزكية، ويمكن أن النفس الزكية يقصد بقوله: أنه ابن سيد الأشرار وسيد أهل النار، (على حسب مايقوله الأعداء والمبغضون).

وقـد أجـاد الخنيـزي في منـاقشة هذه الرسالة، في كتابه (مؤمن قريش) ٢٩٠ ـ ٢٩١ وخلص إلى نفي صحتهـا، وان في الأبيـات التي كتبهـا ابن أبي الحـديد على كتاب (الحجة على الذاهب إلى تكفير أبي طالب) للسيد فخار بن معد الموسوي الجواب الشافي والكافي:

ولـولا أبـو طالـب وابـنـه ... لما مثـل الـدين شخصـاً وقـامـا
فذاك بمـكـة آوى وحـامـى ... وهـذا بيـثـرب جسّ الحـمـامـا
تكـفـل عبـد منـاف بأمـر ... وأودى فكـان علي تمامـا
فقـل في ثبـير ثوى بعـدمـا ... قضـى ماقضـاه وأبـقـى شمامـا
فللّه ذا فاتحـاً للهـدى ... ولـلّه ذا للمـعـالي ختـامـا
ومـا ضر مجد أبـي طالـب ... جهـول لغـا أو بصير تعـامـى
كما لايضـر ـ إيـاة[٣٠٠] ـ الصبـاح ... من ظن ضوء الـنهـار الظـلامـا

---

(٣٠٠) الاياة: الشمس

وأرجو أن لايكون ابن أبي الحديد جهولاً لغا أو بصيراً تعامى.

وصدق في قوله كما قال أستاذه من قبل:

(فإن من قرأ علوم السير عرف أن الإسلام لولا أبو طالب لم يكن شيئاً مذكوراً)[٣٠١].

٧ ـ شهادة الشاعر حيص بيص:

حدثني الشريف النقيب أبو طالب محمد بن الحسن بن محمد بن معية العلوي الحسيني أصلح الله شأنه في سنة تسع وتسعين وخمسمائة، قال: حدثني الشيخ سلار بن حبيش البغدادي رحمه الله، وأنا قد رأيت سلار هذا وكان رجلاً صالحاً، قال: حدثنا الأمير أبو الفوارس بن الصيفي الشاعر المعروف (بالحيص بيص)[٣٠٢] قال: حضرت مجلس الوزير يحيى بن هبيرة[٣٠٣]، ومعي يومئذ جماعة من الأماثل وأهل العلم، وكان من جملتهم ابن الخشاب النحوي اللغوي، والشيخ أبو الفرج بن الجوزي وغيرهم، فجرى حديث أبي

---

(٣٠١) مؤمن قريش ٢٨٥ إلى ٣٠٠ عن النهج ١/٩ و١٠ و٣/٣١٧ و٣١٨ و٣٢٢

(٣٠٢) سعد بن محمد بن صيفي التميمي، الأمير، أبو الفوارس، المعروف ب (حيص بيص) من ولد أكثم ابن صيفي حكيم العرب في الجاهلية، شاعر مشهور من أهل بغداد، نشأ فيها، وغلب عليه الأدب والشعر، وكان يلبس زي أمراء البادية، ويتقلد سيفاً، ولا ينطق بغير العربية الفصحى، وصفه العماد الأصفهاني بقوله: «ذو الجزالة، والبسالة والأصالة، جزل الشعر فحله، قد علا محله، وغلا فضله، وأطاعه وعر الكلام وسهله»، توفي ببغداد عام ٥٧٤ عن ٨٢ عاماً، له ديوان شعر، راجع (وفيات الأعيان) ١/٢٠٢، (والمنتظم) ١٠/٢٨٨، (ولسان الميزان) ٣/١٩، (وفريدة القصر) ١/٢٠٢، (والأعلام) ٣/١٣٨، وحيص بيص: معناها الشدة والاختلاط وسبب تسميته بذلك أنه رأى الناس في يوم حركة، فقال: ماللناس في حيص وبيص؟ فلقب به، وغلب عليه هذا اللقب.

(٣٠٣) يحيى بن هبيرة بن سعد بن الحسين الذهلي محمد بن هبيرة الشيباني، أبو المظفر، عون الدين: من أكابر الوزراء في الدولة العباسية، حنفي المذهب، ولد عام ٤٩٧ هـ في قرية من أعمال الدجيل بالعراق، ودخل بغداد في صباه، واشتغل بالعلم، وجالس الفقهاء والأدباء، وسمع الحديث، وحصّل من كل فن طرفاً، تولى الوزارة عام ٥٤٤ هـ في عهد المقتفي ثم المستنجد حتى وفاته ببغداد عام ٥٦٠ هـ.

ووصفه ابن خلكان بقوله: كان عالماً فاضلاً، ذا رأي صائب، وسريرة صالحة، وظهر منه في أيام ولايته ماشهد له بكفايته، وكان مكرماً لأهل العلم، يحضر مجلسه الفضلاء على اختلاف فنونهم، ويقرأ عنده الحديث، صنّف كتباً كثيرة في مختلف الفنون، منها: (الإيضاح والتبيين في اختلاف الأئمة المجتهدين) و(العبادات) في الفقه على مذهب أحمد، (والمقتصد) في النحو، وأرجوزة في المقصور والممدود، وأرجوزة في علم الخط، و(اختصار إصلاح المنطق لابن السكيت)، وتلمذ على يديه عدد غير قليل في مقدمتهم ابن الجوزي، وذكر له شعراً، ورثاه جمع من الشعراء، راجع (وفيات الأعيان) ٢/٢٤٦، و(شذرات الذهب) ٤/١٩١، و(مرآة الجنان) ٣/٣٤٤، و(الأعلام) ٩/٢٢٢، و(فريدة القصر) ١/٩٦ القسم العراقي

طالب بن عبد المطلب، فقال الوزير: ماأحسن شعره لو كان صدر عن إيمان؟.
فقلت: والله لأجيبن الجواب قربة إلى الله تعالى، فقلت: يامولانا! ومن أين لك أنه لم يصدر عن إيمان؟.
فقال: لو كان صادراً عن إيمان لأظهره ولم يخفه، فقلت: لو كان أظهره لم يكن للنبي صلى الله عليه وآله وسلم ناصر، قال: فسكت، ولم يحر جواباً، وكانت لي عليه رسوم فقطعها، وكانت لي فيه مدايح في مسودات فأبطلتها جميعاً[٣٠٤].

٨ ـ شهادة الشنواني: كتب الشنواني على (شرح الفاكهاني) عند قول أبي طالب:

ودعوتني وعلمت أنك ناصحي ... ولقد صدقت وكنت ثم أمينا

مانصه: هو مات كافراً ـ أي أبو طالب ـ قلت: وهذا قول من يتعامى عن الحق[٣٠٥].

٩ ـ شهادة البرزنجي والدحلان:

تواترت الأخبار أن أبا طالب كان يحمي النبي صلى الله عليه وآله وسلم ويحوطه وينصره، ويعينه على تبليغ دينه، ويصدقه فيما يقوله، ويأمر أولاده كجعفر وعلي باتباعه ونصرته، هذه الأخبار كلها صريحة في أن قلبه طافح وممتلىء بالإيمان بالنبي صلى الله عليه وآله وسلم[٣٠٦].

١٠ ـ شهادة الألوسي:

قال الألوسي في تفسيره (روح المعاني) ٢٠ / ٨٤ عن آية: ﴿إنك لاتهدي من أحببت﴾: والآية على مانطقت به كثير من الأخبار نزلت في أبي طالب... الخ، ثم قال: ومسألة إسلامه خلافية، وحكاية إجماع المسلمين والمفسرين على أن الآية نزلت فيه لاتصح، فقد ذهبت الشيعة وغير واحد من مفسريهم إلى السلامة، وادعوا إجماع أئمة أهل البيت على ذلك، وأن أكثر قصائده تشهد له بذلك، وكأن من يدعي إجماع المسلمين لايعتد بخلاف الشيعة ولايعوّل على رواياتهم[٣٠٧].

١١ ـ شهادة علي بن حمزة البصري:

قال ابن حجر: رأيت لعلي بن حمزة البصري جزءاً جمع فيه شعر أبي طالب، ويزعم أنه كان مسلماً، ومات على الإسلام، وأن الحشوية تزعم أنه مات كافراً، واستدل لدعواه بما

---

(٣٠٤) الحجة ٣٦٤ إلى ٣٦٧
(٣٠٥) أسنى المطالب ٦٠
(٣٠٦) أسنى المطالب ٦ و٧
(٣٠٧) الحجة هامش ١٥٤

لا دلالة فيه.

أقول: قاتل الله التعصب وأصحاب المنطق الأعوج المعكوس[٣٠٨].

٤ ـ «الأحكام والفتاوى»

١ ـ مرّ عليك قول الامام الرضا عليه السلام:

«إنك إن لم تقر بإيمان أبي طالب كان مصيرك إلى النار»، وقوله:

«إنك إن شككت في إيمان أبي طالب كان مصيرك إلى النار».

٢ ـ «بغض أبي طالب كفر»:

أ ـ بهذا أفتى الامام أحمد بن الحسين الموصللي الحنفي المشهور بابن وحشي في (شرحه) على الكتاب المسمى (شهاب الأخبار) للعلامة محمد بن سلامة القضاعي المتوفى سنة ٤٥٤ هـ.

ب ـ ونص على هذه الفتوى من أئمة المالكية العلامة علي الأجهوري في فتاويه.

جـ ـ وقال بهذه الفتوى أبو الطاهر.

٣ ـ «ذكر أبي طالب بمكروه كفر»:

بهذا أفتى التلمساني في (حاشيته على الشفا) حيث قال:

عند ذكر أبي طالب لاينبغي أن يذكر إلا بحمايته للنبي صلى الله عليه واله وسلم، لأنه حماه ونصره ـ بقوله وفعله ـ وفي ذكره بمكروه أذية للنبي صلى الله عليه وآله وسلم، ومؤذي الرسول صلى الله عليه وآله وسلم كافر، والكافر يقتل.

٤ ـ فتوى السيدين البرزنجي ودحلان، حيث قالا:

والحاصل أن إيذاء النبي صلى الله عليه وآله وسلم كفر يقتل فاعله إن لم يتب، وعند المالكية يقتل وإن تاب.

واستطرد السيد زيني دحلان، قائلاً: بغض أبي طالب والتكلم فيه يؤذي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، ويؤذي أولاده الموجودين في كل عصر، وقد قال صلى الله عليه واله وسلم: [لاتؤذوا الأحياء بسب الأموات][٣٠٩].

---

(٣٠٨) بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب ١/٣٢٤

(٣٠٩) الفقرات ٢ و٣ و٤ من كتاب (أسنى المطالب)

٥ ـ وأيد الفتاوى السابقة أحمد بن عبد الله ميرغني مفتي الأحناف بمكة المكرمة[٣١٠].

٦ ـ فتوى الألوسي:

على أنه على القول بعدم إسلامه (أي أبي طالب)، لاينبغي سبه والتكلم فيه بفضول الكلام، فإن ذلك مما يتأذى به العلويون، بل لايبعد أن يكون سبباً مما يتأذى به النبي عليه الصلاة والسلام الذي نطقت الآية بناء على هذه الروايات بحبه إياه، والاحتياط لايخفى على ذي فهم[٣١١].

الفصل الرابع

١ ـ «تحقق ماقاله أبو طالب»

قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم:

[اتقوا فراسة المؤمن فإنه ينظر بنور الله][٣١٢].

١ ـ قوله لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في بدء البعثة:

والله! لتذلن لك العرب ذل البهم لحاضنتها.

٢ ـ قوله في وصيته لبني عبد المطلب:

لن تزالوا بخير ماسمعتم من محمد، وماتبعتم أمره، فاتبعوه وأعينوه ترشدوا.

٣ ـ قوله بوصيته لقريش:

وايم الله! كأني أنظر إلى صعاليك العرب، وأهل الأطراف، والمستضعفين من الناس، قد أجابوا دعوته، وصدقوا كلمته، وعظموا أمره، فخاض بهم غمرات الموت، وصارت رؤساء قريش وصناديدها أذناباً، ودورها خراباً، وضعفاؤها أرباباً، وإذا أعظمهم عليه أحوجهم إليه، وأبعدهم منه أحظاهم عنده، قد محضته العرب ودادها، وأصفت له فؤادها، وأعطته قيادها.

وقال السيد زيني دحلان في أسنى المطالب ٥، وفي السيرة النبوية بهامش الحلبية ١/٩٣:

---

(٣١٠) أسنى المطالب ٤٢ (٣١١) المصدر نفسه

(٣١٢) اختيار مصباح السالكين (شرح نهج البلاغة الوسيط) لميثم البحراني ٩٨

فانظر واعتبر أيها الواقف على هذه الوصية كيف وقع جميع ماقاله أبو طالب بطريق الفراسة الصادقة الدالة على تصديقه النبي صلى الله عليه وآله وسلم.

وجاء في أسنى المطالب ٧، بعد ذكر هذه الوصايا، مانصه:

فانظر كيف تفرّس فيه أبو طالب كل خير قبل بعثته صلى الله عليه وآله وسلم، فكان الأمر كما قال، وذلك من أقوى الأدلة على إيمانه وتصديقه بالنبي صلى الله عليه وآله وسلم حين بعثه الله.

أقول: الحمد لله الذي أذل جبابرة الشرك أمثال أبي جهل وعتبة وشيبة والوليد، وأعز المستضعفين أمثال عمار وبلال وخباب.

كان العرب مستعمرين من الروم (في سورية)، والفرس (في العراق واليمن)، والأحباش (في اليمن)، وسيطر اليهود على المدينة. فأعز الله عز وجل العرب بالإسلام، فأصبحوا سادة الدنيا، وقادة العالم، كسّروا عرش كسرى، وقصروا عمر قيصر(٣١٣).

٤ ـ وقوله:

كأني به فوق الجياد يقودها ... إلى معشر زاغوا إلى كل باطل

نعم! لقد قاد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم جنود الرحمن في غزواته المنصورة، وسراياه المظفرة، وبعوثه الموفقة، فنشر الهدى، ودحر الشرك والضلال.

٥ ـ وقوله:

أترى أراه واللواء أمامه ... وعلي ابني للواء معانق

وكأنه يشير إلى الحديث عن علي، قال: ضربت يدي يوم أحد فسقط اللواء من يدي، فقال صلى الله عليه وآله وسلم: [ضعوه في يده اليسرى، فإنه صاحب لوائي في الدنيا والآخرة] أخرجه ابن الحضرمي، وعن ابن عباس: كان علي أخذ الراية يوم بدر. وقال الحكم: أخذ علي الراية يوم بدر، والمشاهد كلها. أخرجه أحمد في (المناقب)

وعن مالك بن دينار قال: سألت سعيد بن جبير وإخوانه من العلماء: من كان حامل

---

(٣١٣) عندما ترك المسلمون دينهم صاروا أذل خلق الله فقد احتل اليهود الصهاينة فلسطين فدنسوا القدس الشريف وأحرقوا المسجد الأقصى أولى القبلتين وثالث الحرمين الشريفين ومسرى محمد صلى الله عليه وآله وسلم، واحتل المستعمرون بلادهم يذبحونهم جماعات وفرادى وهجم المبشرون عليهم في آسيا وإفريقيا يُنصّرون أبناءهم مستغلين جوعهم وفقرهم

رايـة النبي صلى الله عليـه وآلـه وسلم؟ قالوا: كان حاملها علي، أخرجه أحمد في (المناقب) ينابيع المودة ١ / ٣٤

٦ ـ وقوله:

ولاشـك أن الله رافـع أمـره ومعليـه في الـدنيـا ويـوم التجـادل

نعم، جاء نصـر الله والفتـح، ودخـل النـاس في دين الله أفـواجـاً، وانتشـر الـدين الإسلامي ـ من تخوم الصين حتى الأطلسي، وهو بانتشار وازدياد في كل بقاع العالم.

٧ ـ وحديث رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، حين قال لأبي بكر رضي الله عنه عندما نظر إلى قتلى المشركين وهم مصرعون حوله في (بدر).

[لو أن أبا طالب حي لعلم أن أسيافنا قد أخذت بالأماثل] مشيراً لقول عمه:

كذبـتـم ـ وبيـت الله ـ ان جد ماأرى لتـلتبـسـن أسـيـافـنـا بالأمـاثـل

٨ ـ خاطب أبو طالب أبا جهل فرعون هذه الأمة، قائلاً له:

سترى بعـيـنـك إن أردت قتـالـه وعـنـاده من أمـره ماتـسـمـع

يقـول السيـد معـد بن فخار: لله در أبي طالب، كأنه أوحي إليه مايكون من أمر عدو الله أبي جهل إذ جدّ في عناد النبي صلى الله عليه وآله وسلم وقتاله، حتى أراه الله بعينه يوم بدر، ماوعـده به أبـو طالب من تعفـير خده واتعـاس جده، ﴿ولعـذاب الآخـرة أخـزى وهم لاينصرون﴾ ١٦ / ٩[٣١٤].

٩ ـ عبيدة بن الحارث[٣١٥] يستشهد بقول عمه:

أخـبر ني شيخي الفقيـه أبـو عبيد الله محمد بن ادريس ـ رحمه الله ـ بإسناده إلى الشيخ محمـد بن محمد بن النعمان ـ رحمه الله ـ يرفعه إلى أبي رافع مولى النبي صلى الله عليه وآله وسلم، وذكر حديثاً طويلاً قال فيه: لمّا أصبح الناس غداة (بدر) اصطفت قريش أمام عتبة بن ربيعة

---

(٣١٤) الحجة ٣٩٢

(٣١٥) عبيدة بن الحارث بن المطلب بن عبد مناف القرشي المطلبي: أسلم قديماً، وكان رأس بني عبد مناف حينئذ، مع أن العباس وإخوته في التعدد أقرب، وكان مع النبي صلى الله عليه وآله وسلم، بمكة، ثم هاجر، وشهد بدراً، وبارز فيها مع حمزة وعلي ـ عتبة بن ربيعة، وذكر ابن إسحق أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم، عقد لعبيدة راية، وأرسله في سرية قبل وقعة بدر، كانت أول راية عقدت في الإسلام، مات عام ٢ هـ ـ راجع (الإصابة) ت ٥٣/٧٧ ـ الحجة ٣٠١

(٣١٥) مكرر الحجة ٣٠٠ و ٣٠٢

ابن عبد شمس بن عبد مناف، وأخوه شيبة بن ربيعة، وابنه الوليد بن عتبة، فنادى عتبة النبي صلى الله عليه وآله وسلم، فقال: يامحمد! اخرج إلينا أكفاءنا من قريش، فبرز إليهم ثلاثة من شبّان الأنصار، قال لهم عتبة: من أنتم؟ فانتسبوا، قال: لاحاجة بنا إليكم، إنما طلبنا بني عمنا، فرد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الفتية الأنصار، وأمر علياً عليه السلام، وحمزة ابن عبد المطلب، وعبيدة بن الحارث بن (المطلب) بن عبد مناف بالخروج إليهم، فخرجوا إليهم وانتسبوا إليهم، فقالوا: أكفاء كرام، ثم برز أمير المؤمنين عليه السلام إلى الوليد بن عتبة، وكان أحدث القوم، فقتل علي عليه السلام الوليد، وبرز حمزة إلى عتبة، فقتل حمزة عتبة، وبرز عبيدة بن الحارث إلى شيبة بن ربيعة، فاختلفا ضربتين، فأصاب ذباب سيف شيبة عضلة ساق عبيدة فقطعها، وأشبل عليه أمير المؤمنين عليه السلام وحمزة، فاستنقذاه وقتلا شيبة، ثم احتملا عبيدة من المعركة إلى موضع رحل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأصحابه، فقال عبيدة يومئذ: رحم الله أبا طالب، لو كان حياً لرأى أنه قد صدق في قوله:

ونسلمه حتى نصرّع حوله ... ونذهل عن أبنائنا والحلائل

فلما وصل عبيدة مع النبي صلى الله عليه وآله وسلم إلى الصفراء (بالتأنيث وادي ناحية المدنية كثير النخل والزرع في طريق الحاج، بينه وبين بدر مرحلة، وماؤ ها عيون) توفي فدفن هناك رضي الله عنه.

١٠ ـ قوله:

والله لاأخذل النبي ولا ... يخذله من بني ذو حسب

كيف يخذل أبناؤك وأحفادك النبي، وهم الطيبون أبناء الطيبين، سيوف الهدى، ومصابيح الدجى.

أي أبطال أنجبت ياأباطالب؟ وأي ليوث خلفت؟.

كيف يخذل علي رسول الله، وهو كما وصف نفسه حين أجاب معاوية على كتابه له أنه خال المؤمنين، فقال عليه السلام: أعليَّ يفخر ابن آكلة الأكباد، وأملى على كاتبه ابن أبي رافع قائلاً:

لقد علم الأنام بأن سهمي ... من الإسلام يفضل كل سهم

محمد النبي أخي[٣١٦] وصنوي[٣١٧] ... وحمزة سيد الشهداء عمي[٣١٨]

---

(٣١٦) مشيراً إلى حديث (المؤاخاة): عن عبد الله بن محمد بن عمر عن أبيه، قال: لما قدم رسول الله صلى الله عليه وآله

وسلم المدينة آخى بين المهاجرين بعضهم ببعض، وآخى بين المهاجرين والأنصار، فلم تكن مؤاخاة إلا بعد (بدر)، آخى بينهم على الحق والمساواة، فآخى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بينه وبين علي بن أبي طالب. (الطبقات) ٣/٢٢ ـ وعنه أيضاً: أن النبي الكريم حين آخى بين أصحابه وضع يده على منكب علي، ثم قال: [أنت أخي ترثني وأرثك]، فلما نزلت آية المواريث قطعت ذلك. وروى ابن هشام، قال: وآخى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بين أصحابه من المهاجرين والأنصار، فقال فيما بلغنا ـ ونعوذ بالله أن نقول عليه مالم يقل ـ: [تآخوا في الله أخوين أخوين] ثم أخذ بيد علي ابن أبي طالب، فقال: [هذا أخي] فكان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم سيد المرسلين وإمام المتقين ورسول رب العالمين الذي ليس له خطير ولانظير، وعلي بن أبي طالب رضي الله عنه أخوين.

وقد تحدث عليٌ كرم الله وجهه عن أخوته لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وذلك في مقام المواجهة لمن كانوا ينازعونه الأمر حين آلت إليه الخلافة، أويدفعونه عن الخلافة حين كان يطالب لنفسه بها. (فلسفة الهجرة) ١٣٩

وذكر السيد جعفر مرتضى في كتابه (الصحيح من السيرة) ص ٦١ مصادر حديث (المؤاخاة): تاريخ الخميس ١/٣٥٣، ووفاء الوفاء ١/٢٦٧ و٢٦٨، وينابيع المودة ٥٦ و٥٧ عن مسند أحمد، وتذكرة الخواص ٢٢ و٢٤، وحكي عن الترمذي: أنه صححه، والسيرة الحلبية ٢/٢٠ و٩٠، ومسند الحاكم ٣/١٤، والثقات لابن حبّان ١/١٣٨، وفرائد السمطين ١/الباب العشرون/، والفصول المهمة لابن الصباغ ٢٢ و٢٩، والبداية والنهاية ٣/٢٢٦ و٧/٣٥، وتاريخ الخلفاء ١٧٠، ودلائل الصدق ٢/٢٦٨ و٢٧٠ عن كنز العمال، وعن البيهقي في سننه، والضياء في المختارة، وعبد الله بن أحمد في زيادات المسند ثمانية أحاديث، وأبيه في المسند، وفي الفضائل، وأبي يعلى والطبراني، وابن عدي، والجمع بين الصحاح الستة، وأخرج الخوارزمي اثني عشر حديثاً وابن المغازلي ثمانية أحاديث، وسيرة ابن هشام ٢/١٥٠، والغدير ٣/١١٢ حتى ١٢٥ من بعض من تقدم، وعن المصادر التالية: جامع الترمذي ٢/١٣ ومصابيح النبوي ٢/١٩٩، والاستيعاب ٢/٤٦٠ ترجمة أمير المؤمنين، وعدّ حديث المؤاخاة من الآثار الثابتة، وتيسير الوصول ٢/٥٠٧، والمواقف ٣/٢٧٦، وشرح المواهب ١/٣٨٣، وطبقات الشعراني ٢/٥٥، وتاريخ القرماني هامش الكامل ١/٢١٦، وسيرة الدحلان هامش الحلبية ١/٣٢٥ وكفاية الشنقيطي ٣٤، والامام علي تأليف محمد رضا ٢١، والامام علي لعبد الفتاح عبد المقصود ٧٣، والفتاوى الحديثية ٤٢، وشرح النهج ٢/٦٢، وصححه وعدّه مما استفاض من الروايات، وكنز العمال ٦/٢٩٤ و٢٩٩ و٣٩٠ و٣٩٩ و٤٠٠ و٥٤٠

ومرّ عليك قول الرسول صلى الله عليه وآله وسلم يوم الدار يوم الانذار: [من يؤازرني على ماأنا عليه ويجيبني على أن يكون أخي، وله الجنة] فقال علي عليه السلام: فقلت: أنا يارسول الله، وإني لأحدثهم سناً وأحشهم ساقاً.

ورحم الله سودة بنت عمارة بن الاسك الهمدانية القائلة:

شمّر كفعل أبيك ياابن عمارة ... يوم الطعان وملتقى الأقران
وانصر علياً والحسين ورهطه ... واقصد لهند وابنها بهوان
إن الامام أخا النبي محمد ... علم الهدى ومنارة الإيمان

وقد أجاد الشيخ عبد الكريم الأزري حيث يقول مخاطباً أمير المؤمنين عليه السلام:

أنت بعد النبي خير البرايا ... والسما خير مابها قمراها
لك ذات كذاته حيث لولا ... أنها مثلها لما آخاها
قد تراضعتما بثدي وصال ... كان من جوهر التجلي غذاها

(٣١٧) يشير إلى آية المباهلة، وهي قوله تعالى:
﴿قل تعالوا ندع أبناءنا وأبناءكم، ونساءنا ونساءكم وأنفسنا وأنفسكم ثم نبتهل فنجعل لعنة الله على الكاذبين﴾ آل عمران ٦١
فأحضر صلى الله عليه وآله وسلم الحسن والحسين عن أبنائه، وفاطمة عن نسائه، وعلي عن نفسه، وذلك يوم أذن الله عز وجل لرسوله أن يباهل نصارى نجران عندما رفضوا: ﴿ان مثل عيسى عند الله كمثل آدم﴾، ينابيع المودة ١/ ٩
والحديث الذي أخرجه أحمد في (المسند) وفي (المناقب)، وموفق الخوارزمي عن عبد الله بن حنطب، قال: ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: [لتنتهين يابني وليعة أولأبعثن إليكم رجلاً كنفسي يمضي فيكم أمري، يقتل القاتلة، ويسبي الذرية] فالتفت إلى علي فأخذ بيده، فقال: [هو هذا].
أيضاً أخرج ابن أحمد نحوه وأخرجه موفق بن أحمد الخوارزمي المكي بلفظه (ينابيع المودة ١/ ٨ و٤٢ و٥٠ و٥١)
وأخرج أحمد في (المسند) عن عبد الله بن حنطب قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لوفد ثقيف حين جاءه: [لتسلمن! أو لأبعثن إليكم رجلاً كنفسي، ليضربن أعناقكم، ويسبين ذراريكم، وليأخذن أموالكم] فالتفت إلى علي وأخذ بيده، فقال: هو هذا، مرتين.
وعن المطلب بن عبد الله بن حنطب، قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: ماتمنيت الامارة إلا يومئذ، أخرجه عبد الرزاق في (جامعه) وأبو عمرو النمري وابن السمان.
واخرج الترمزي عن ربعي بن حراش قال: حدثنا علي بن أبي طالب بالرحبة قال: لما كان يوم الحديبية خرج إلينا ناس من المشركين فيهم سهيل بن عمرو وناس من رؤوس المشركين، فقالوا لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: خرج إليك ناس من ابنائنا وإخواننا وارقائنا وليس بهم فقه في الدين، وإنما خرجوا فراراً من أموالنا وضياعنا فارددهم إلينا، فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم: [يامعشر قريش! لتنتهن أو ليبعث الله عليكم من يضرب رقابكم بالسيف على الدين، قد امتحن الله قلبه على الإيمان] قالوا: من هو يارسول الله؟ فقال أبوبكر: من هو يارسول الله؟ وقال عمر: من هو يارسول الله؟ قال: [هو خاصف النَعل] وكان أعطى نعله علياً يخصفها، قال ثم التفت عليٌ فقال: إن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، قال: [من كذب عليٌ متعمداً فليتبوأ مقعده من النار] أخرج هذا الحديث أيضاً أبو داود وأحمد بن حنبل وموفق عن أحمد، ينابيع المودة ١/ ٥٨
ويشير إلى الحديث المتواتر: عندما خلف رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم علياً على المدينة المنورة عند ذهابه لغزوة تبوك، فأراد علي أن يلحق به، فقال له: [أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لانبي بعدي] نزل الأبرار ٤٦ وينابيع المودة ١/ ٤٧، وأروي عن السيد الوالد رحمه الله قوله: إن هذا الحديث رواه جميع المحدثين وقالوا بصحته.
وقال علي عليه السلام: «وأنا من رسول الله كالصنو من الصنو، والذراع من العضد»، شرح النهج الوسيط لميثم البحراني ٥٣١

(٣١٨) حمزة بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف القرشي الهاشمي، أبو عمارة، عم النبي صلى الله عليه وآله وسلم، ولد قبل النبي بسنتين، وقيل أربع، أسلم في السنة الثانية للبعثة، رضيع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وعندما أسلم عرفت قريش أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قد عزّ وامتنع، هاجر إلى المدينة، وشهد بدراً وأبلى فيها بلاء عظيماً،

وجعفر الذي يضحى ويمسي يطير مع الملائكة ابن أمي[٣١٩]
وبنت محمد سكني وعرسي[٣٢٠] مسوط لحمها بدمي ولحمي

وشهد أحداً وقتل فيها، وعمره أربع وستون، وقيل تسع وخمسون، راجع الإصابة: ت ١٨٢٦ ورجال المامقاني: ١/٣٧٥ عن الحجة هامش ١٨٠

وهو سيد الشهداء، وأسد الله ورسوله، وحامل لواء التكبير (الله أكبر) يوم القيامة.

(٣١٩) جعفر بن أبي طالب بن عبد المطلب بن هاشم، أبو عبد الله، ابن عم النبي صلى الله عليه وآله وسلم، وشقيق الامام علي عليه السلام، من السابقين إلى الإسلام، تشير المصادر إلى أنه صلى مع النبي صلى الله عليه وآله وسلم بعد أخيه علي عليه السلام، وقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم له: [أشبهت خَلقي وخُلقي]، وفي البخاري عن أبي هريرة قال: [كان جعفر خير الناس للمساكين]، هاجر إلى الحبشة فأسلم النجاشي ومن تبعه على يده، وأقام عنده ثم هاجر منها إلى المدينة فقدم والنبي صلى الله عليه وآله وسلم بخيبر، وروي عن عائشة أنها قالت: لما قدم جعفر وأصحابه استقبله رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقبّل مابين عينيه، وروي عن الشعبي عن عبد الله بن جعفر قال: ماسألت علياً فامتنع فقلت له بحق جعفر إلا أعطاني، وخرج بأمر الرسول الأعظم إلى وقعة مؤتة بالبلقاء من أرض الشام، فنزل عن فرسه وقاتل، ثم حمل الراية وتقدم صفوف المسلمين فقطعت يمناه، فحمل الراية باليسرى فقطعت أيضاً، فاحتضن الراية إلى صدره، وجاهد حتى وقع شهيداً (بمؤتة) في عام ثمان في جمادى الأولى، وكان له من العمر أربعون سنة، وفي جسمه نحو بضعة وتسعين طعنة ورمية، وروي عن عائشة قالت: لما أتى وفاة جعفر عرفنا في وجه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الحزن، وروى الطبراني من طريق سالم بن أبي الجعد قال: رأى النبي صلى الله عليه وآله وسلم جعفراً ملكاً ذا جناحين مضرجين بالدماء، وذلك لأنه قاتل حتى قطعت يداه، رثاه حسان بن ثابت قائلاً:

فلا يبعدن الله قتلى تتابعوا بمؤتة منهم ذو الجناحين جعفر
وكنا نرى في جعفر من محمد وفاء وأمراً صارماً حيث يؤمر
فلا زال في الإسلام من آل هاشم دعائم عز لاتزول ومفخر

راجع (الإصابة) ت١١٦٦، وصفوة الصفوة ١/٢٠٥ وطبقات ابن سعد ٤/٢٢، وحلية الأولياء ١/١١٤، ومعجم البلدان مادة مؤتة، الحجة ١٤٠ و١٤١

(٣٢٠) روى أبو داود بسنده عن قتادة عن الحسن البصري عن أنس قال: إن أبا بكر خطب فاطمة فأعرض النبي صلى الله عليه وآله وسلم عنه، ثم خطبها عمر بن الخطاب فأعرض عنه، وقال: [أنتظر أمر الله فيها] ثم خطبها علي، فقال له: [أعندك شيء] قال علي: قلت فرسي ودرعي، قال [أما فرسك فلا بد لك منه، وأما درعك فبعها وائتني بها] قال: فانطلقت فبعتها بأربعمائة وثمانين درهماً، فوضعتها في حجره، فقبض منها قبضة وقال: [أين بلال] فجاء، قال له: [إشتر بها طيباً]، ثم أمرهم أن يعملوا لها سرير شريط ووسادة من أدم حشوها ليف، وأن يملأوا البيت كثيباً (يعني رملاً)، وأمر أم أيمن أن تنطلق إلى ابنته، وقال لعلي: [لاتعجل حتى آتيك]، فانطلق النبي صلى الله عليه وآله وسلم، ثم أتاهما، فقال لأم أيمن: [ههنا أخي]، قالت: نعم! أخوك وتزوجه ابنتك، قال: [نعم]. فدخل عليها وقال لفاطمة: [إيتني بماء]، فأتته فاطمة بعقب فيه ماء، فمج فيه، ثم نضح على رأسها وبين ثدييها، وقال: اللهم إني أعيذها بك وذريتها من الشيطان الرجيم، ثم قال لعلي: [إيتني بماء]، فملأت العقب، فأتيته به، فمج فيه، فنضح منه على رأسي

وسبطا أحمد ولداي منها[٣٢١] فمن منكم له سهم كسهمي
سبقتكمُ إلى الإسلام طراً غلاماً مابلغت أوان حلمي[٣٢٢]

وبين كتفي وقال: [اللهم إني أعيذه بك وذريته من الشيطان الرجيم]، ثم قال: [أدخل باهلك على اسم الله تعالى وبركاته]، قال أبو داود: سألت أحمد بن حنبل عن هذا الحديث فقال: هو من يزيد بن أبي سعيد المدني، (ينابيع المودة ١/١٧٢ و١٧٣

وعن الطبراني قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: [إن الله أمرني أن أزوج فاطمة بعلي] ينابيع المودة ٢/٣، وعن الديلمي، قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: [لو لم يخلق علي ماكان لفاطمة كفؤ] ينابيع المودة ٢/٥

(٣٢٠) مكرر وقال كعب بن زهير يمدح امير المؤمنين علياً عليه السلام:

صهر النبي وخير الناس كلهم فكل من رامه بالفخر مفخور
صلى الصلاة مع الأمي أولهم قبل العباد ورب الناس مكفور

(٣٢١) عن الترمذي عن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: [الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة] وروى الترمذي عن ابن عمر قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول: [إن الحسن والحسين هما ريحانتاي من الدنيا] هذا حديث صحيح، وقال الترمذي وقد روى أبو هريرة عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم نحو هذا، وقد روى عبد الرحمن بن أبي نعيم البجلي نحو هذا.

وروى الترمذي عن أسامة بن زيد قال: طرقت النبي صلى الله عليه وآله وسلم ذات ليلة في بعض الحاجة، فخرج وهو مشتمل على شيء لاأدري ماهو، فلما فرغت من حاجتي قلت: ماهذا الذي أنت مشتمل عليه فكشفته فإذا حسن وحسين على وركيه فقال: هذان ابناي وابنا ابنتي، اللهم إني أحبهما وأحب من يحبهما، ينابيع المودة ١٦٢ و١٦٣

(٣٢٢) موفق بن أحمد الثعلبي بسنده عن عفيف الكندي قال: كنت تاجراً، فقدمت مكة أيام الحج فنزلت في دار العباس بن عبد المطلب، فبينا أنا والعباس إذا جاء رجل شاب استقبل الكعبة، وجاءه غلام فقام عن يمينه، وجاءت إمرأة فقامت خلفه فركعوا وسجدوا، ثم رفعوا رؤوسهم، فقلت: ياعباس أمر عظيم، فقال أمر عظيم، هذا محمد ابن أخي يقول: إن الله بعثه رسولاً، وإن كنوز كسرى وقيصر ستفتح على يدي من آمن به، وهذا الغلام ابن أخي علي بن أبي طالب وهذه زوجته خديجة بنت خويلد.

وأيضاً هذا الحديث (أي حديث عفيف الكندي) في كتاب (الإصابة) وفي (ذخائر العقبى) مذكور.

موفق بن أحمد بسنده عن ابن مسعود قال: أول شيء علمته من أمر النبي صلى الله عليه وآله وسلم قدمت من مكة فنزلت دار العباس بن عبد المطلب، فبينا نحن عنده إذ أقبل رجل من باب الصفا ومعه مراهق وإمرأة فاستلم الحجر، ثم استلمه الغلام، ثم المرأة، ثم طافوا بالبيت سبعاً، فقلنا: ياعباس! إن هذا الدين لم نعرفه فيكم، قال: هذا ابن أخي محمد، والغلام علي بن أبي طالب، والمرأة زوجته خديجة بنت خويلد، ماعلى وجه الأرض أحد يعبد الله بهذا الدين إلا هؤلاء الثلاثة.

موفق بن أحمد بسنده عن عمرو بن ميمون عن ابن عباس رضي الله عنهما، قال: أول من أسلم من الناس بعد خديجة علي بن أبي طالب، قال: أنشد بعض أهل الكوفة أيام صفين في مدحه شعراً:

وسقتكمُ إلى الإسلام قهراً بصارم همتي وسنان عزمي[٣٢٣]
وأوجب لي ولايته عليكم[٣٢٤] رسول الله يوم غدير خم[٣٢٥]

أنت الامام الذي نرجو بطاعته يوم النشور من الرحمن غفرانا
أوضحت من ديننا ماكان مشتبهاً جزاك ربك منا فيه إحسانا
نفسي الفداء لأولى الناس كلهم بعد النبي علي الخير مولانا
أخي النبي ومولى المؤمنين معاً وأول الناس تصديقاً وإيمانا

عبد الله بن أحمد بن حنبل بسنده عن مقيم عن ابن عباس قال: إن علياً أول من أسلم.

عبد الله بسنده عن الحسن البصري وغيره قال: إن علياً أول من أسلم بعد خديجة، ينابيع المودة ١/٥٦ و٥٧ وللحاكم، قال صلى الله عليه وآله وسلم: [أول من صلى معي علي] ينابيع المودة ٢/٣

وقال عتبة بن أبي لهب:

ماكنت أحسب أن الأمر منصرف عن هاشم ثم منها عن أبي حسن
عن أول الناس إيماناً وسابقة وأعلم الناس بالقرآن والسنن
وآخر الناس عهداً بالنبي ومن جبريل عون له في الغسل والكفن
من فيه مافيهم لا يمترون به وليس في القوم مافيه من الحسن

(٣٢٣) رحم الله السيد رضا الهندي الذي يمدح علياً أمير المؤمنين عليه السلام في قصيدته المشهورة (الكوثرية):

يامن قد أنكر من آيات أبي حسن ما لا ينكر
إن كنت لجهلك بالأيام جحدت مقام أبي شبر
فاسأل بدراً واسأل أحداً وسل الأحزاب وسل خيبر
من دبّر فيها الأمر ومن أردى الأبطال ومن دمّر
من هدّ حصون الشرك ومن شاد الإسلام ومن عمّر
من غيرك من يدعى للحرب وللمحراب وللمنبر
أحييت الدين بأبيض قد أودعت به الموت الأحمر
قطباً للحرب يدير الضرب ويجلو الكرب يوم الكر
فاصدع بالأمر فناصرك الب ستّار وشانئك الأبتر

(٣٢٤) مشيراً إلى الآية الكريمة:

﴿إنما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون، ومن يتول الله ورسوله والذين آمنوا فإن حزب الله هم الغالبون﴾ ٥٥ ـ ٥٦ المائدة

نزلت هذا الآية الكريمة في علي عليه السلام، حين سأل سائل الموجودين بالمسجد فلم يعطه أحد، فأومأ علي له وهوراكع في صلاته فأخذ السائل الخاتم من إصبعه، بإطباق أكثر المفسرين واستفاضة الروايات فيه من الجانبين، وتدل على إمامته دون من سواه للحصر، وعدم اتصاف غيره بهذه الصفات، وعبّر عنه بصيغة الجمع تعظيماً، أولدخول أولاده الطاهرين، تفسير شبر ١٤١

عن سبط ابن الجوزي (كما الزمخشري) في التذكرة ١٦ و١٧ قال حسان بن ثابت:

أبا حسن تفديك روحي ومهجتي ... وكل بطيء في الهدى ومسارع
فأنت الذي أعطيت إذ كنت راكعاً ... فدتك نفوس الخلق ياخير راكع
بخاتمك الميمون ياخير سيد ... وياخير شار ثم ياخير بائع
فأنزل فيك الله خير ولاية ... وبينها في محكمات الشرائع

ويقول أيضاً:

من ذا بخاتمه تصدق راكعاً ... وأسرها في نفسه أسرارا
من كان بات على فراش محمد ... ومحمد أسرى يؤم الغارا
من كان في القرآن سمي مؤمناً ... في تسع آيات تلين غرارا

وأورد الثعلبي في (تفسيره) أنه صلى الله عليه وآله وسلم قال لهم يوم الدار، يوم الإنذار: [من يؤاخيني ويؤازرني **ويكون ولي ووصيي بعدي، وخليفتي في أهلي ويقضي ديني**].

(٣٢٥) يشير إلى حديث رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم المتواتر يوم (غدير خم): [من كنت مولاه فهذا علي مولاه، اللهم وال من والاه، وعاد من عاداه، واخذل من خذله، وانصر من نصره] نزل الأبرار ٥٣

وهذا حديث مشهور، ولم يتكلم في صحته إلا متعصب جاحد لا اعتبار لقوله، فإن الحديث كثير الطرق جداً، وقد استوعبها ابن عقدة بكتاب مفرد، وقد نصّ الذهبي على كثير من الطرق لصحته، ورواه عن الصحابة عدد كثير، فقد أخرج عن ابن الطفيل قال: جمع عليٌ كرم الله وجهه الناس في الرحبة، ثم قال: «أنشد بالله كل إمرىء مسلم سمع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول يوم (غدير خم) ماقال لما قام، فقام إليه ثلاثون من الناس، فشهدوا أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: [من كنت مولاه فعلي مولاه، اللهم وال من والاه وعاد من عاداه]، وذكر الأميني في موسوعته (الغدير): أن عدد رواة حديث الغدير من الصحابة مائة وعشرة من أعاظم الصحابة الغدير ١/١٤ إلى ٦١

قال أحمد بن حنبل في (مسنده): حدثنا عفّان قال: حدثنا حماد بن سلمة عن زيد بن علي بن ثابت عن البراء بن عازب قال: كنا مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في سفره فنزلنا بغدير خم، ونودي فينا: الصلاة جامعة، فصلّى الظهر، وأخذ بيد علي فقال: [ألستم تعلمون إني أولى بالمؤمنين من أنفسهم]، قالوا: بلى قال: [ألستم تعلمون أني أولى بكل مؤمن من نفسه]، قالوا بلى، آخذاً بيد علي فقال لهم: [من كنت مولاه فعلي مولاه، اللهم وال من والاه، وعاد من عاداه] قال: فلقيه عمر بن الخطاب رضي الله عنه فقال: هنيئاً لك ياابن أبي طالب، أصبحت مولى كل مؤمن ومؤمنة، أيضاً أخرج الثعلبي هذا الحديث بلفظه عن البراء، (ينابيع المودة) ١/٢٨ ورحم الله السيد الهندي القائل عن علي عليه السلام:

من قدمه «طه» وعلى ... أهل الإيمان له أمر

وذكر الشيخ محمد حسين الزين في كتابه (الشيعة في التاريخ) ١٣٥ مانصه: قال ذلك الحديث (حديث الغدير) بعدما انصرف من حجة الوداع، فعقد لعلي موكباً للتهنئة، حتى أن أبا بكر نفسه وعمر كانا من جماعة المهنئين للإمام يقولان: بخٍ بخٍ لك ياابن أبي طالب أصبحت وأمسيت مولى كل مؤمن ومؤمنة، مسند الامام احمد بن حنبل ٤/٢٨١، سر العالمين للإمام الغزالي ١٢، تذكرة الخواص لابن الجوزي ٢٩، الرياض النضرة للطبري ٢/١٦٩، كنز

فويـل ثم ويـل ثم ويـل لمن يلقـى الإلـه غداً بظـلمـى

ينابيع المودة ١/٦٧

فقـال معـاويـة: ياغـلام! اخف الكتاب لاتظهره حتى لايراه أهل الشام. إن معاوية لايـريـد أن تنتشـر فضـائـل آل البيت عليهم السـلام، فيعـرف النـاس مكـانتهم وقـدرهم ومأأعطاهم الله عز وجل، لأن سياسته وسياسة الأمويين من بعده (كتمان الحق والتعمية على الخلق)، ألم تسمـع جواب عبـد العـزيز لولده الخليفة الزاهد عمر رضي الله عنه حين سأله: ياأبت! أنت أفصـح النـاس وأخطبهم، فمالي أراك أفصـح الناس يوم حفلك حتى إذا مررت بلعن هذا الـرجـل - يعني علي بن أبي طالب - صرت الكن عييـاً. فقال: يابني! إن من ترى تحت منبرنا من أهل الشام وغيرهم لوعلموا من فضل هذا الرجل مايعلمه أبوك لم يتبعنا منهم أحد، الحجة هامش ٣٣٨.

وأخرج ابن مزاحم: أن يوم (صفين) برز شاب من عسكر معاوية يقول:

أنـا ابـن أربـاب المـلوك غسـان والـدائـن الـيـوم بديـن عثـمان

أنـبأنـا أقـوامـنـا بما كان أن عليـاً قتـل ابـن عفـان

العمال ٦/٣٩٧، البداية والنهاية لابن كثير ٢١٢، تاريخ ابن عساكر ٢/٥٠، تفسير الرازي ٣/٦٣، الحاوي للفتاوي للسيوطي ١/١١٢ وقد أجاد الشاعر حسان بن ثابت بقوله:

ينـاديهـمُ يوم الـغـديـر نبـيـهـم (بـخـمٍ) واسـمـع بالـنـبـي منـاديـا

وقـال: فمـن مولاكـم ووليـكـم فقـالـوا ولم يبـدوا هنـاك الـتـعـاميـا

إلهـك مولانـا وأنـت ولـيـنـا ومـالـك منـا في الـولايـة عاصـيـا

فقـال له: قم ياعـلي فإنـني رضـيـتـك من بعـدي إمـامـاً وهـاديـا

فمـن كنـت مولاه فهـذا ولـيـه فكـونـوا له أنـصـار صدق موالـيـا

أدخلت الدارمية الحجونية على معاوية فابتدأها بسؤاله: علامَ أحببت علياً وأبغضتني؟ وعلام واليته وعاديتني؟ قالت: إني أحببت علياً عليه السلام على عدله في الرعية، وقسمه بالسوية، وأبغضتك على قتالك من هو أولى بالأمر منك، وطلبك ماليس لك، ووالبت علياً عليه السلام على ماعقد له رسول الله صلى الله عنه وآله وسلم من الولاية، وعلى حبه المساكين، وإعظامه أهل الدين، وعاديتك على سفكك الدماء وشقك العصا.

قال: صدقت فلذلك انتفخ بطنك الخ... قالت: ياهذا بهند والله يضرب المثل لاأنا، العقد الفريد ج١ وبلاغات النساء لأحمد بن أبي طاهر، وآثار ذوات السوار للمرحوم الشيخ محمد علي حشيش عن ابن عبد ربه.

ثم شدّ، فلا يثني يضرب بسيفه، ثم جعل يلعن علياً، ويشتمه ويسهب في ذمه، فقال له هاشم المرقال: إن هذا الكلام بعده الخصام، وإن هذا القتال بعده الحساب، فاتق الله فإنك راجع إلى ربك فسائلك عن هذا الموقف وماأردت به، قال:

فإني أقاتلكم لأن صاحبكم لايصلي كما ذكر لي، وأنكم لاتصلون، وأقاتلكم لأن صاحبكم قتل خليفتنا وأنتم وازرتموه على قتله، فقال له هاشم: وماأنت وابن عفان؟ إنما قتله أصحاب محمد وقرّاء الناس حين أحدث أحداثاً وخالف الكتاب، وأصحاب محمد هم أصحاب الدين، وأولى بالنظر في أمور المسلمين، وما أظن أن أمر هذه الأمة ولا أمر هذا الدين عناك طرفة عين قط، قال الفتى: أجل أجل، والله لاأكذب فإن الكذب يضر ولاينفع، ويشين ولايزين، فقال له هاشم: إن هذا الأمر لاعلم لك به، فخلّه وأهل العلم به قال: أظنك والله قد نصحتني، فقال له هاشم: وأما قولك: إن صاحبنا لايصلي، فهو أول من صلى مع رسول الله، وأفقههم في دين الله، وأولاهم برسول الله، وأما من ترى معه: فكلهم قارىء الكتاب، لاينامون الليل تهجداً، فلا يغررك عن دينك الأشقياء المغرورون، قال الفتى: ياعبد الله! إني لأظنك امرأً صالحاً، وأظنني مخطئاً آثماً، أخبرني: هل تجد لي من توبة، قال: نعم! تب إلى الله يتب عليك، فإنه يقبل التوبة عن عباده ويعفو عن السيئات، ويحب التوابين ويحب المتطهرين، قال: فذهب الفتى بين الناس راجعاً، فقال له رجل من أهل الشام: خدعك العراقي، قال: لا، ولكن نصحني العراقي. الغدير ١٠/ ٢٩٠ و٢٩١

كيف يخذل جعفر ابن عمه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وهو ثقته ومن يعتمد عليه في الأمور الصعبة المهمة، وقال عنه: [خُلق الناس من أشجار شتى وخُلقت أنا وجعفر من شجرة واحدة]، أو قال: [من طينة واحدة].

إن لجعفر (الطيار) مواقف تذكر فتشكر، فهو الذي قاد المسلمين بهجرتهم إلى الحبشة، وهو أول من بشر بالدين الإسلامي خارج حدود الجزيرة العربية وأسلم النجاشي (ملك الحبشة) على يديه، وحين عودته من الحبشة قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: [ما أدري بأيهما أنا أشد فرحاً بقدوم جعفر أم بفتح خيبر].

وهو قائد غزوة (مؤتة) وبطلها، تلك الغزوة التي أرعبت الروم وشتت جموعهم، واستشهد بعد أن أبلى البلاء الحسن وتقطعت أعضاؤه في سبيل الله عز وجل حتى أن عبد الله بن عمر رضي الله عنه يقول: وجدنا مابين صدر جعفر ومنكبيه وما أقبل منه تسعين

جراحة مابين ضربة بالسيف وطعنة بالرمح. وقد قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: [على مثل جعفر فلتبك البواكي] الاستيعاب وشرح النهج ٣/٤٠٦

وقد دفن بقرية تدعى المزار قريبة من مؤتة تبعد عن مدينة الكرك ١٤ كم وعن عمّان ٢٠٠ كم، وبالقرب منه قبر الشهيدين زيد بن ثابت، وعبد الله بن رواحة رضي الله عنهم.

وقد تشرفت بزيارتهم، وكان المغفور له عبد الله بن الحسين ملك المملكة الأردنية الهاشمية قد أمر بإشادة مسجدٍ على قبر جعفر (وتتعهد هذا المسجد حالياً وزارة الأوقاف بالرعاية)، آمل أن يقوم أهل الفضل بتوسيع هذا المسجد.

وهكذا صدق أبو طالب في كل ما توقعه وقاله. وكما قال أمير المؤمنين علي عليه السلام: «اتقوا ظنون المؤمنين، فإن الله تعالى جعل الحق على ألسنتهم».

أجاد السيد صدر الدين شرف الدين حين كتب عن جعفر فصلاً بكتابه (هاشم وأمية).

وللشيخ محمد على دخيل كتاباً بعنوان جعفر بن أبي طالب.

٢ ـ «السبب في كتمان أبي طالب إسلامه»

أقر بدين الله سراً لحكمة ... فقال عدو الله ماهو قائله

١ ـ عن الشعبي يرفعه عن أمير المؤمنين أنه قال: «كان والله أبو طالب عبد مناف بن عبد المطلب مؤمناً مسلماً، يكتم إيمانه مخافة على بني هاشم أن تنابذها قريش» ومرّ عليك: أن مثل أبي طالب كمؤمن آل فرعون يكتم إيمانه، والسبب بعدم إشهاره إسلامه، كي يتمكن من نصرة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم والدفاع عنه وعن الإسلام والمسلمين، إذ لو أظهر إسلامه لم يكن للنبي الكريم ناصر ـ كما قال ذلك الشاعر الحيص بيص.

وقال البرزنجي: لو أظهر أبو طالب إيمانه لفات ماقصده من نصرة النبي صلى الله عليه وآله وسلم وحمايته(٣٢٦).

وقال السيد فخار: اعلم أن السبب الذي دعا أبا طالب لكتمان إيمانه، وإخفاء إسلامه، أنه كان سيد قريش غير مدافع، ورئيسها غير منازع، وكانوا له ينقادون ولأمره يطيعون، وهم على ذلك بالله تعالى كافرون، وللأصنام عابدون، فلما أظهر الله دينه، وابتعث نبيه صلى الله عليه وآله وسلم شمر أبو طالب في نصرته وإظهار دعوته، وهو برسالته من المؤمنين، وببعثه من الموقنين، وهو مع ذلك كاتم لإيمانه، ساتر لإسلامه، لأنه لم يكن قادراً

(٣٢٦) أسنى المطالب ٤٥

على القيام بنصرة النبي صلى الله عليه وآله وسلم، وتمهيد الأمور له بنفسه خاصة من دون أهل بيته وأصحابه وعشيرته وأحلافه، وكانوا على منهاج قريش في الكفر، وكان أبو طالب لا يأمن إذا أظهر إيمانه، وأفشى إسلامه أن تتمالأ قريش عليه، ويخذله حليفه وناصره ويسلمه حميمه وصاحبه، ويؤدي فعله إلى فساد قاعدة النبي صلى الله عليه وآله وسلم والتغرير به، فكتم إيمانه استدامة لقريش على طاعته، والانقياد لسيادته، ليتمكن من نصر النبي صلى الله عليه وآله وسلم، وإقامة حرمته، والأخذ بحقه، وإعزاز كلمته، ولهذا السبب كان أبو طالب يخالط قريشاً ويعاشرهم، ويحضر معهم مآدبهم، ويشهد مشاهدهم، (ويقسم بآلهتهم)، وهو مع ذلك يشوب هذه الأفعال بتصديق النبي صلى الله عليه وآله وسلم، والحث على اتباعه، فلو أنه نابذ قريشاً وأهل مكة، وقام بمنابذتهم كانوا كلهم يداً عليه وعلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، ولكنه كان يخادعهم ويظهر لهم أنه معهم حتى تمت الرسالة، وانتشرت الكلمة، وشاعت الدعوة، ووضح الحق، وكثر المسلمون وصاروا عصبة أولي بأس ونجدة، حتى شاع ذكره في الآفاق، وجاءته الوفود، وعلم من لم يعلم بحاله، وعرفت اليهود ببعثه(٣٢٧).

يقول المرحوم الأستاذ وجيه بيضون: ومن يدري ماقد عسى يعترض الرسول صلى الله عليه وآله وسلم لو عجل أبو طالب كغيره في كشف اللثام عن إسلامه والإنضمام إلى القلة التي لاذت به مؤمنة بدعوته؟ أما كان من منطق الحوادث وطبيعة الحال أن يتورد النبي من البلاء فوق ماتورده، وينزل به مايباعد بينه وبين غايته، فإن قيل: إن للدين رباً يحميه، فعلام لانقول: ان الله جلّت حكمته هو الذي خص أبا طالب بهذه الحماية؟ وإن قيل: إن أبا طالب ماكان له مثل موقفه من الدفاع عن ابن أخيه لولا عصبية القربى وطول الزمن في تبنيه حتى كأنه أحد بنيه، فما بالنا لانعكس الآية لنقول: إن عوامل العصبية والتبني خليقة بأن تجعله أول المؤمنين. (٣٢٨)

٢ ـ وكان أبو طالب يحرص على حماية النبي الكريم حتى بعد وفاته، قال البر زنجي معلقاً على حديث الاحتضار أما في باطن الأمر، فالسبب الحقيقي في عدم نطقه بحضور القوم، المبالغة في المحافظة على حماية النبي صلى الله عليه وآله وسلم ونصرته، لعلمه بأنه إذا نطق بذلك، وعلموا أنه اتبع النبي صلى الله عليه وآله وسلم لم يعتدوا بحمايته وجاهه عندهم، بل يخفرون ذمته، وينتهكون حرمته، ويبالغون في إيذاء النبي صلى الله عليه وآله وسلم، وقد كان

---

(٣٢٧) الحجة ٣٤٠

أبو طالب حريصاً على أن يكون أمر النبي صلى الله عليه وآله وسلم في دعوته الخلق إلى الله تعالى باقياً بعد موته، فلذلك كان محافظاً على بقاء حرمته(٣٢٨).

٣ ـ ولو أعلن أبو طالب إسلامه وأشهره على الملأ لزاد عدد المسلمين وقتها (واحداً فقط) لكنه بعمله هذا كان أمة، قدم لرسول الله وللإسلام وللمسلمين الخدمات الجلّى والنصرة الحقيقية / باليد واللسان والقلب/ ولتوضيح هذا الأمر، نسوق حادثة الأحنف بن قيس، فحين سار أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام إلى وقعة الجمل، قال له الأحنف : اختر مني واحدة من اثنتين، إما أن أقاتل معك، وإما أن أكف عنك عشرة آلاف سيف ـ يقصد أنه يمنع قومه من متابعة أعداء أمير المؤمنين ـ فقال له أمير المؤمنين: بل كف عنا عشرة آلاف سيف(٣٣٠).

وهكذا استطاع أبو طالب (بكتمانه إسلامه) أن يرد أذى المشركين عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

٤ ـ وقد ذكر السيد دحلان سبباً آخر لكتمان أبي طالب إسلامه، فقال:

ولعل السبب في أن الله أبهم أمره ـ يقصد أبا طالب ـ بحسب ظاهر الشرع، لتطيب قلوب أصحاب النبي صلى الله عليه وآله وسلم الذين كان آباؤهم كفاراً، لأنه لو صرّح بإيمان أبي طالب، وهم يرونه كافراً بحسب الظاهر ـ مثل آبائهم ـ تنفر قلوبهم، وتتوغر صدورهم، ويقولون: إنه لافرق بينه وبين آبائنا، فكيف يكون ناجياً وهم معذبون؟ وهذا يكون منهم بحسب ماتقتضيه الطبيعة البشرية، فإنها تنفر من استئثار غيرها عليها(٣٣١).

٣ ـ من قال بإسلام وإيمان أبي طالب

قالت الإمامية بإسلام وإيمان أبي طالب، وأورد الأميني في (الغدير)٧/ ٣٨٤ و٣٨٥ أقوال بعض كبار علماء الطائفة أمثال الشيخ المفيد، وشيخ الطائفة الطوسي، والطبرسي المفسر، والسيد فخار بن معد الموسوي، والفتال، والحجة بن طاووس، والعلامة المجلسي، وغيرهم.

---

(٣٢٨) مجلة العربي العدد ١١٥ حزيران ١٩٦٨ ص ١٠٢

(٣٣٠) أعيان الشيعة ٣ قسم ٢ ص ١٨٧ عن ابن الأثير

(٣٣١) أسنى المطالب ٤٥

وقال بإسلامه وإيمانه الاسماعيلية، والزيدية، وكثير من المعتزلة، وبعض علماء السنة ذكرنا منهم السيوطي، والقرافي، والألوسي، والسيد محمد رسول البرزنجي المدرس في مكة المكرمة، والسيد زيني دحلان مفتي الشافعية في مكة المكرمة، الذي ذكر في كتابه (أسنى المطالب) ٤٣ مايلي:

ومما يؤيد هذا التحقيق الذي حققه العلامة البرزنجي في نجاة أبي طالب، أن كثيراً من العلماء والمحققين، وكثير من الأولياء العارفين أرباب الكشف قالوا بنجاة أبي طالب منهم القرطبي والسبكي والشعراني، وخلائق كثيرون.

ثم أورد أسماء كل من التلمساني والسحيمي والشنواني والبرماوي والشبراوي وابن طاهر، وأبي السعود، والشيخ أحمد بن عبد الله ميرغني الحنفي، والعلامة الشيخ علي الأجهوري المالكي، والامام أحمد بن الحسين الموصللي الحنفي المعروف بابن وحشي كل هؤلاء قالوا بإسلامه وإيمانه.

وقال بإسلامه وإيمانه السيد الوالد (محمد سعيد العرفي مفتي الفرات والجزيرة) ذكر ذلك في كتابه (شرح رياض الصالحين) الجزء الأول ـ مخطوط.

هذا إضافة لما ذكرناه في الفصول السابقة ممن ألف أو كتب في إسلام وإيمان أبي طالب بكتب مفردة أو من خلال الكتابة عنه في السيرة النبوية أو تاريخ الإسلام.

٤ ـ نصرة أبي طالب للنبي كانت عن إيمان

ماكان هذا الحفاظ المراطة أر حام وضرب عروق فار غاليها
بل للإله كما فاحت روائعه الـ عصماء في كل شطر من قوافيها

ذكرنا: ان القول: إن أبا طالب ناصر محمداً صلى الله عليه وآله وسلم بدافع العصبية الجاهلية لأنه ابن أخيه هو طعن في الدين الإسلامي من أنه قام على العصبية الجاهلية، كما يردد ذلك الكفّار والمبشرون، مع أن الدين الإسلامي حارب العصبية الجاهلية، ونورد الأدلة والبراهين التي تنفي هذه التهمة:

١ ـ إن الدين الإسلامي قام على سواعد وسيوف المؤمنين الذين دافعوا عن انفسهم عندما ظلموا واعتدي عليهم، وانتشر بسعيهم ودعوتهم الناس إلى سبيل ربهم بالحكمة والموعظة الحسنة. قال تعالى مخاطباً نبيه الكريم:

﴿هو الذي أيدك بنصره وبالمؤمنين﴾ الانفال ٦٢
وهذه الآية الكريمة وإن كان سبب نزولها في علي بن أبي طالب عليه السلام، أو في غيره، فإنها تشمل أبا طالب الذي نصر رسول الله وحماه ودافع عنه.
٢ ـ لو كانت هذه النصرة بدافع العصبية الجاهلية لشملت أبا لهب عم النبي لكنه لما أصر على الكفر وعمد لايذاء النبي والمسلمين نزلت في حقه وفي حق زوجته أم جميل /أم قبيح/ سورة من القرآن الكريم الذي يتلى آناء الليل وأطراف النهار.
﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ ﴿تبت يدا أبي لهب وتب، ما أغنى عنه ماله وما كسب، سيصلى ناراً ذات لهب، وامرأته حمالة الحطب، في جيدها حبل من مسد﴾ سورة اللهب
٣ ـ يمكن أن تكون النصرة بدافع العصبية والحمية لمرة واحدة أو اثنتين أو ثلاث أو لفترة زمنية قصيرة، أما أن تستمر لمدة تقرب من نصف قرن منها عشرة أعوام بعد البعثة، فإنها دليل الإيمان حتماً.
٤ ـ إن العاطفة ـ إذا كانت بدافع غير دافع الإيمان ـ فإنها تبدأ قوية ثم تضعف، أو تبدأ ضعيفة ثم تقوى لكنها لاتستمر قوية وإنما تعود للخمود والضعف. أما أن تستمر قوية هذه السنين الطوال، فإنها دليل على إيمان صاحبها خاصة إذا علمنا أن أبا طالب كان قد اجتاز فترة الشباب التي يقال ان النزوات العاطفية الطارئة قد توجد في تلك الفترة من حياة الإنسان.
٥ ـ لايمكن أن تكون المحبة والنصرة الصادرة عن عصبية وحمية مقدمة على محبة الانسان لذاته ولنفسه، إلا إذا كانت صادرة عن إيمان، كما فعل أبو طالب حين أحب محمداً أكثر من نفسه إذ رضي وهو زعيم قريش أن يكون تابعاً له مؤمناً به، يأتمر بأمره، ويتبع تعاليمه، ويتشرف بخدمته، ويدافع عنه.
ولايمكن أن تكون هذه المحبة والنصرة مقدمة على محبة البنوة والأبوة والأخوة إلا إذا كانت بدافع الإيمان، فقد قال أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام: «ولقد كنا مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم نقتل أبناءنا وآباءنا واخواننا، وما يزيدنا ذلك إلا إيماناً وتسليما»(٣٣٢).
وقال الشاعر:

---

(٣٣٢) وقعة صفين ٥٩٧

كل العداوات قد ترجى إماتتها إلا عداوة من عاداك بالدين

هكذا فعل أبو طالب، فقد قدم محبته لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم على محبته لولده علي، فكان يعرضه للموت، فيأمره أن ينام مكان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، ويخفي مكان نوم الرسول لخوفه عليه من الاغتيال حين كانوا محاصرين في الشعب.

وابغض أبو طالب أخاه أبا لهب وعاداه لمواقف هذا الأخير المخزية تجاه رسول الله والمسلمين.

٦ - إن حماية أبي طالب لم تقتصر على شخص الرسول الكريم فحسب، وإنما امتدت لحماية المسلمين (ثأره لعثمان بن مظعون، وحمايته لأبي سلمة عبد الاسد المخزومي، وكتابته للنجاشي ملك الحبشة يوصي بالمسلمين المهاجرين)، ودفاعه عن الدين الإسلامي حين نفى عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم تهمة (السحر والكذب)، ودعوته النجاشي للدخول بالدين الإسلامي. الخ...

٧ - ولو لم تكن نصرته وحمايته لرسول الله بدافع الايمان لما وقف تلك المواقف الصعبة، وقام بتلك المهام الجسام، وتحمل الجوع والخوف والفقر حتى أكل الخبط وورق الشجر وهو زعيم قريش وسيدها، ويرحم الله السيد أحمد خيري الحنفي حيث يقول مخاطباً أبا طالب:

وإنك تحمي عن يقين وترتضي عذاباً ولا ترضى أذاة العراهل[٣٣٣]

٨ - واستمرت تلك النصرة والحماية إلى مابعد الموت، انظر إلى وصايا أبي طالب المتكررة بالنبي صلى الله عليه وآله وسلم فقد أوص قريشاً وبني هاشم وبني عبد المطلب، واخوته وأولاده.

٩ - لايعقل أن تتسلط العشائرية والعصبية الجاهلية على أبي طالب صاحب الشخصية القوية الفذّة المتميزة النادرة التي لم يكن ينقصها عز أو جاه أو سلطان

---

(٣٣٣) العُراهِل: بضم أوله وكسرها: الكامل الخلقة

القسم الثالث

الفصل الأول

١ ـ «افتراءات»

ذكـرنـا أن كل ماورد من أقـاويـل حول عدم إيـمان أبي طالب، كان من افـتراءات سلاطين / المُلك العضوض /(٣٣٤) الفئة الباغية(٣٣٥) بني أمية وأتباعهم، والدليل على ذلك:

١ ـ أ ـ إن تلك الأقـاويـل لم تكن معـروفة في زمن الخلفاء الثلاثة أبي بكر وعمر وعثمان رضي الله عنهم، لذلك لم نسمع أن أحداً قال بها أو ذكرها أو أشار إليها لا من قريب ولا من بعيد، لأنها لم تكن موجودة.

ب ـ ويؤيد ذلك قوله تعالى:

﴿ماكان للنبي والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين ولو كانوا أولي قربى من بعد ما تبين لهم أنهم أصحاب الجحيم﴾ التوبة ١١٣

فقـد كان النهي عن الاستغفـار للمشـركـين معروفاً بين المسلمين. عن علي رضي الله عنـه، قال: «سمعت رجـلاً يـستغفـر لأبـويـه وهما مشـركـان، فقلت: أتستغفر لأبويك وهما مشـركـان؟، فقال: أولم يستغفر إبراهيم لأبويه: فذكرت ذلك للنبي صلى الله عليه وآله وسلم، فنزلت الآية»

ونقـل الـبر زنجي: عن ابن عبـاس رضي الله عنهـما، قال: كانوا يستغفرون لأبائهم حتى نزلت الآية، فلما نزلت أمسكوا عن الاستغفار لأمواتهم، ولم ينهوا أن يستغفروا للأحياء حتى يموتوا، ثم أنزل الله:

﴿وماكان استغفار إبراهيم لأبيه﴾ الآية بسورة التوبة ١١٤

يعني: استغفر له ماكان حياً، فلما مات أمسك عن الاستغفار له(٣٣٦)

فلو لم يكن النهي عن الاستغفـار للمشـركـين معـروفـاً بين المسلمين لما كان لعلي عليه السـلام أن يعـترض على المسلم الـذي استغفـر لأبويه المشركين، حيث ليس له أن يستنكر

---

(٣٣٤) قال صلى الله عليه وآله وسلم: [الخلافة بعدي ثلاثون سنة ثم تكون ملكاً عضوضاً] أبو الفداء ١/١٨٣

(٣٣٥) قال صلى الله عليه وآله وسلم لعمار بن ياسر: [تقتلك الفئة الباغية]

(٣٣٦) أسنى المطالب ٣٢

عملاً لم يعرف فيه النهي، واستنكاره عليه السلام لهذا المستغفر لأبويه لايتفق واستغفار الرسول الكريم لعمه (أبي طالب) مع الزعم بأنه مشرك، فلم يحتج الرجل بالاستغفار لأبي طالب تبريراً لعمله لكنه احتج باستغفار إبراهيم عليه السلام لأبيه.

٢ ـ لو كانت هذه المفتريات موجودة لردّ بها معاوية بن أبي سفيان على أمير المؤمنين علي بن أبي طالب حين كان يذكره بأنه طليق(٣٣٧)، وعن أبيه أبي سفيان: أنه حزب من الأحزاب(٣٣٨)، ومن المؤلفة قلوبهم، وعن أمه هند بنت عتبة أنها آكلة الأكباد(٣٣٩).

قال سبط بن الجوزي: وأيضاً لم يؤرخ أحد من اعداه استياء ولده ـ يقصد علياً ـ بأن أباك من الكفّار، هذا معاوية أعدى أعدائه ومنازعيه، وهذا عمرو بن العاص، وهذا عبد الله بن

---

(٣٣٧) الطليق: بعد أن فتح الرسول صلى الله عليه وآله وسلم مكة المكرمة، قال لقريش: اذهبوا فأنتم الطلقاء، وهذه اللفظة تشمل من دخل بالإسلام بعد فتح مكة، ومنهم معاوية بن أبي سفيان، والله عز وجل يقول: ﴿لايستوي منكم من أنفق من قبل الفتح وقاتل أولئك أعظم درجة من الذين أنفقوا من بعد وقاتلوا﴾ الحديد ١٠. ويقول علي عليه السلام لمعاوية في إحدى كتبه: «وليس المهاجر كالطليق، ولا الصريح كاللصيق»، شرح نهج البلاغة الوسيط للبحراني ٤٨٥، ويقول: «ماللطلقاء وأبناء الطلقاء والتمييز بين المهاجرين الأولين، وترتيب درجاتهم، وتعريف طبقاتهم.».

قال الشيخ الصدوق: حدثنا الحاكم أبو علي الحسين بن أحمد البيهقي قال: حدثني محمد بن يحيى الصولي قال: حدثني أحمد بن محمد بن اسحق الطالقاني قال: حدثني أبي قال:

حلف رجل بخراسان بالطلاق أن معاوية ليس من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، أيام كان الرضا عليه السلام بها، فأفتى الفقهاء بطلاقها، فسئل الرضا عليه السلام: فأفتى أنها لاتطلق.

فكتب الفقهاء رقعة وأنفذوها إليه، وقالوا له: من أين قلت ياابن رسول الله: أنها لاتطلق؟

فوقع عليه السلام في رقعتهم: قلت هذا من روايتكم عن أبي سعيد الخدري، أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال لمسلمة الفتح وقد كثروا عليه: [أنتم خير، وأصحابي خير، ولاهجرة بعد الفتح] فأبطل الهجرة ولم يجعل هؤلاء أصحاباً له، قال: فرجعوا إلى قوله، عيون أخبار الرضا ٢/٨٧/٨٨ حديث ٣٤ وحكاه المجلسي في البحار ١٠٤/١٥٨ حديث ٧٨.

(٣٣٨) أبو سفيان بن حرب كان يعمل مابوسعه لمحاربة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم، وهو الذي جمّع الأحزاب من قريش وغطفان والأحابيش في غزوة الخندق.

والمؤلفة قلوبهم: كان الرسول صلى الله عليه وآله وسلم يدفع لهم ليجلبهم للإيمان وليتقي شرهم ومنهم أبو سفيان وقد فرض الله لهم سهماً من الزكاة

(٣٣٩) آكلة الأكباد: هند بنت عتبة، أُم معاوية، فعن ابن مسعود قال: نظر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فإذا حمزة قد بقر بطنه، وأخذت هند زوجة أبي سفيان كبده، فأكلتها فلم تستطع أن تجسها، فلفظته بالقيء، قال صلى الله عليه وآله وسلم: [هل أكلت منه شيئاً]، قالوا: لا، قال صلى الله عليه وآله وسلم: [ماكان الله تعالى أن يدخل شيئاً من حمزة في جوف أهل النار] ينابيع المودة ٢/٥٠

الزبير، وهذا مروان بن الحكم وغيرهم، مع قدحهم فيه عليه السلام، وإسنادهم ورميهم إليه ماهو بريء منه ـ وماعابوه وماشنعوا عليه بذلك ـ وهو عليه السلام يذكرهم بكفر الآباء والأمهات ورذالة النسب، وماقابلوه بالمثل، بل هو أقوى شاهد على إسلامه، وعلى شدة تعصب من أسند الكفر إليه من العامة، فانظر أيها المنصف إلى سوء سريرة أشباه الخفافيش في عُدوانهم لشمس الإسلام ونوره[٣٤٠]

٣ ـ نقل ابن أبي الحديد عن أبي جعفر الاسكافي: أن معاوية وضع قوماً من الصحابة، وقوماً من التابعين على رواية أخبار قبيحة في علي عليه السلام، تقتضي الطعن فيه والبراءة منه، وجعل على ذلك جعلاً يرغب في مثله، فاختلقوا ماأرضاه، منهم أبو هريرة وعمرو بن العاص والمغيرة بن شعبة، ومن التابعين عروة بن الزبير[٣٤١].

٤ ـ قال السيد فخار: واعلم أن بني أمية وأشياعهم كانوا يبذلون على التناقص بآل الرسول صلى الله عليه وآله وسلم البدر، ويخلعون الخلع، ويعاقبون من يروي مناقبهم ويذكر فضائلهم بأشد العقاب وأليم العذاب، حتى صار الغوغاء من العوام وأهل الجهل من الأنام إذا سب آل الرسول صلى الله عليه وآله وسلم لايستوحشون، بل يرون أنهم إلى الله متقربون، فلهذا الوجه وماشاكله ذهب إخوان الجهالة وأهل الحيرة والضلالة إلى تكفير أبي طالب عم الرسول صلى الله عليه وآله وسلم صاحب المقامات التي بها ثبت الإسلام وعزّ الإيمان[٣٤٢].

ننقل بعض ماارتكبه الأمويون والعباسيون بحق آل البيت من الجرائم ومن ذلك:

سب ولعن علي وفاطمة والحسن والحسين على المنابر وفي المجالس، وهذه جريمة تدل على كفر فاعلها وإلحاد مرتكبها، لأنها مسبة ولعن لله عز وجل ولرسوله الكريم، فقد روى الحاكم في (مستدركه) عن أم سلمة رضوان الله عليها ٣/١٢١، وأحمد في (مسنده) ٦/٣٢٣ عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال: [من سبّ علياً فقد سبني، ومن سبني فقد سبّ الله تعالى]

وروى الكنجي الشافعي: أن عبد الله بن عباس كان يقوده سعيد بن جبير، وكان قد كفّ بصره، فمر على زمزم فإذا بقوم من أهل الشام يسبون علياً كرم الله وجهه، فسمعهم عبد الله بن عباس، فقال لسعيد: ردني إليهم، فرده إليهم، فقال: أيكم الساب لله عز

---

(٣٤٠) تذكرة الخواص ١١

(٣٤١) شرح النهج ١/٣٥٨

(٣٤٢) الحجة ٣٣٥

وجل، فقالوا: سبحان الله! مافينا من سب الله، فقال: أيكم الساب لرسول الله، فقالوا: مافينا من سب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فقال: أيكم الساب لعلي بن أبي طالب، فقالوا: أمّا هذا كان منه شيء، فقال: شهدت على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بما سمعته يقول لعلي بن أبي طالب:

[ياعلي! من سبك فقد سبني، ومن سبني فقد سب الله، ومن سب الله فقد أكبه الله على منخريه في النار] وولى عنهم - أي ابن عباس -

وروى المحب الطبري في (ذخائر العقبى) ٦٦، كما روى في (الرياض النضرة) ٢/١٦٦ بزيادة: ثم تولى ابن عباس عنهم فقال لقائده: ماسمعتهم يقولون؟! قال ماقالوا شيئاً، قال: فكيف رأيت وجوههم حيث قلت ماقلت؟! قال:

نظروا إليك بأعين محمرة ... نظر التيوس إلى شفار الجازر

قال: زدني فداك أبي وأمي، قال:

خزر الحواجب ناكسي أذقانهم ... نظر الذليل إلى العزيز القاهر

قال: زدني فداك أبي وأمي، قال: ماعندي غيرهما، قال: لكن عندي:

أحياؤهم عار على أمواتهم ... والميتون مسبّة للغابر

وقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: [من سب أهل بيتي فإنما يرتد عن الإسلام، ومن آذاني في عترتي فعليه لعنة الله، ومن آذاني فيهم فقد آذى الله، إن الله حرّم الجنة على من ظلم أهل بيتي أو قاتلهم أو أعان عليهم أو سبهم]

وصح أيضاً أنه قال: [والذي نفسي بيده لايبغضنا أهل البيت أحد إلا أدخله الله النار] (الصواعق المحرقة) لابن حجر ١٤٠

وفي (جواهر العقدين): أخرج الطبراني عن ابن كثير قال: كنت جالساً عند الحسن ابن علي رضي الله عنهما، جاء رجل فقال له: إن معاوية بن خديج يسبّ أباك عند ابن أبي سفيان، فقال له: «إن رأيته من بعد فأرنيه»، فرآه يوماً، فأراه ذلك الرجل، فقال الحسن رضي الله عنه لابن خديج:

«أنت تسب أبي عند ابن آكلة الأكباد؟! أما لئن وردت الحوض ومأراك ترده، لتجدن أبي مشمراً حاسراً ذراعيه يذود المنافقين عن حوض رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وهذا قول الصادق المصدق صلى الله عليه وآله وسلم» (ينابيع المودة) للقندوزي الحنفي ١/١٣٢

روى موفق بن أحمد بسنده عن أبي عبيد قال: إن عمر بن عبد العزيز رأى قومه يسبّون علياً رضي الله عنه، فصعد المنبر وذكر فضل علي وسابقته، ثم قال: حدثني الثقة كأني أسمعه من في رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، حدثني عزال بن مالك الغفاري عن أم سلمة رضي الله عنها قالت: (بينا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عندي إذ أتاه جبرائيل فكلمه، فابتسم صلى الله عليه وآله وسلم وضحك، فلّما سرّي عنه، قلت: بأبي أنت وأمي يارسول الله! ماأضحكك؟ قال: [أخبرني جبرائيل أنه مرّ بعلي وهو يرعى ذوداً له، وهو نائم قد أبدى بعض جسده، فقال: رددت عليه ثوبه فوجدت برد إيمانه قد وصل إلى قلبي] (ينابيع المودة) للقندوزي الحنفي ١/٦٣

يقول السيد الوالد في كتابه (سر إنحلال الأمة العربية ووهن المسلمين): وأرى أن جرثومة الفساد بدأت في الدور الأموي ضد الهاشميين، بعد أن رأوا إيقاعهم بهم في طف (كربلاء)، وبأنصارهم في (حرّة المدينة) غير كافٍ لمحو نفوذهم، فشرعوا في لعنهم على المنابر، ثم اعتبار كل من يحبهم عدواً للدين، لظن كثير من الناس أن الدين تابع للسلطة والقائم بها وإن كان أظلم خلق الله.

وجاءت بنو العباس ونصرت الطالبيين في أول أمرهم، ثم انقلبوا عليهم بزمن خليفتهم الثاني (أبي جعفر المنصور)،فجرّب نفسه في قتلهم، ودفن فريق منهم في القبو وهم أحياء، فلما رآه غير كاف لمطلبه خاصمهم من طريق تنفير الأمة عنهم قسراً، حتى صار من المعتاد أن من أثنى على أمير المؤمنين علي بن أبي طالب بخير يتهم بالتشيع، وبالغوا في الأمر إلى أن صار التشيع كلمة تكفي وحدها لسقوط الموصوم بها، ويستطرد قائلاً في نفس الفصل: وإليك بعضاً مما كتبه ابن قتيبة المتوفى سنة ٢٧٦ هـ في كتابه (اختلاف اللفظ) فقال: وأهملوا من ذكره ـ يقصد علي بن أبي طالب ـ أو روى حديثاً في فضله حتى تحامى كثير من المحدثين أن يتحدثوا بها، وعنوا بفضائل عمرو بن العاص ومعاوية، «كأنهم لا يريدونهما بذلك وإنما يريدونه» فإن قال قائل: أخو رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأبو سبطيه الحسن والحسين وأصحاب الكساء علي وفاطمة والحسن والحسين تمعرت الوجوه، وتنكرت العيون، وطرت حسائل الصدور ١ هـ ـ وهذا دليل على قوة النزاع وتأثيره في أهل العلم والمحدثين، ونقلنا النزر اليسير منه لإثبات مدعانا وهو: إن الطعن في المخالفين للرأي جاء من طريق الدول، فسرى إلى عقول العلماء، فانتقصوا آل بيت النبوة، حتى صار من يحجم من الرواية عن كبارهم يعد المدقق المحقق، وكتابه الصحيح الذي لاغبار عليه ولااعتراض. من فصل

وقال في كتابه (سر انحلال الأمة العربية ووهن المسلمين): لأن الأمويين قد حظروا رواية كل مايتعلق بالهاشميين، ومنعوا الناس من تلقي العلوم عنهم، في حين أن التاريخ الإسلامي يستقي أنباءه وعلومه من هذه الأسرة الكريمة، لأن الدين ظهر في بيتهم، وهم حماته بشهادة بدر واحد والأحزاب وخيبر وحنين، فأراد الأمويون تشويه سمعتهم تثبيتاً لملكهم، فأمروا بلعن آل بيت النبوة على المنابر في خطبة الجمعة والعيدين، وفي ذلك قيل:

في كل يوم للزمان خطيبهم ... بين الجميع لآل أحمد عائبا(٣٤٣)

ولازالت هذه البدعة متبعة إلى سنة ٩٩ هـ، فوضع عمر بن عبد العزيز مكان اللعن آية: ﴿إن الله يأمر بالعدل والإحسان﴾

وفي ذلك يقول كثير عزّة:

وليت ولم تشتم علياً ولم تخف ... بريئاً ولم تتبع مقالة مجرم

فهدم الأمويون بعملهم هذا ركناً عظيماً من العلم والدين، لأنهم حرموا المسلمين من أكثر روايات آل بيت النبوة، في حين أنهم أدرى الناس بالدين، وأشدهم غيرة عليه، وأعرفهم بأحكامه، وأوسعهم إطلاعاً للسنة، وأكثرهم رواية لها، وأدراهم بمعاني كتاب الله وأسرار الآيات وتفسيرها، لأن ذلك فخرهم، فهم مضطرون للمحافظة عليه، على أن هذا النقص مابرحت آثاره باقية، حتى أن المؤرخ لايجرؤ أن يذكر في كتابه منقبة لآل البيت النبوي.

ثم يستطرد قائلاً في نفس الفصل: وفي هذه الفترة ـ يقصد بداية حكم العباسيين ـ ظهرت بعض آثار الطالبيين وفضائلهم، فساء ذلك العباسيين، ولم يمض إلا قليل حتى كانوا مضطهدين أكثر من زمن الأمويين، فإن أبا جعفر المنصور دفن سادات أهل البيت وهم أحياء في قبو سدّ بابه عليهم حتى ماتوا جوعاً وعطشاً. من فصل (التاريخ)

ونقل ابن ابي الحديد: أن معاوية كتب إلى عمّاله بعد عام الجماعة: ان برئت الذمة ممن روى شيئاً في فضل أبي تراب ـ يقصد علياً عليه السلام وأهل بيته ـ فقامت الخطباء في كل

---

(٣٤٣) الأبيات هي لبكارة الهلالية:

قد كنت آمل ان اموت ولاأرى ... فوق المنابر من امية خاطبا

فالله أخر مدتي فتطاولت ... حتى رأيت من الزمان عجائبا

في كل يوم لايزال خطيبهم ... وسط الجموع لآل احمد عائبا

كورة وعلى كل منبر يلعنون علياً ويبرؤون منه، ويقعون فيه وفي أهل بيته.

لعنوا أمير المؤمنين كمثل إعلان الإقامة

كما أنه كتب إلى عمّاله في جميع الآفاق:

لاتجيزوا لأحد من شيعة علي وأهل بيته شهادة وكتب إليهم أيضاً: من اتهمتموه بموالاة هؤلاء القوم، فنكّلوا به، واهدموا داره.

وفي كتاب آخر: انظروا إلى من قامت عليه البينة أنه يحب علياً وأهل بيته، فامحوه من الديوان، واسقطوا عطاءه ورزقه.

مؤمن قريش ١٤ عن شرح النهج ٣/١٥

ثم كتب معاوية إليهم: أن انظروا من قبلكم من شيعة عثمان ومحبيه أو أهل ولايته، والذين يروون فضائله ومناقبه، فادنوا مجالسهم وقربوهم وأكرموهم، واكتبوا إليّ بكل مايروي كلّ رجل منهم واسمه واسم أبيه وعشيرته، ففعلوا ذلك حتى أكثروا في فضائل عثمان ومناقبه، لما كان يبعثه إليهم معاوية من الصلات والكساء والحباء والقطائع، ويفيضه في العرب منهم والموالي فكثر ذلك في كل مصر، وتنافسوا في المنازل والدنيا، فليس يجيء أحد مردود من الناس عاملاً من عمال معاوية فيروي في عثمان فضيلة أو منقبة إلا كتب اسمه وقربه وشفّعه، فلبثوا بذلك حيناً.

ثم كتب معاوية إلى عمّاله: إن الحديث في عثمان قد كثر وفشا في كل مصر وفي كل وجه وناحية فإذا جاءكم كتابي هذا، فادعوا الناس إلى الرواية في فضائل الصحابة والخلفاء الأولين، ولا تتركوا خبراً يرويه أحد من المسلمين في أبي تراب ـ يقصد علي بن أبي طالب ـ وشيعته إلا وائتوني بمناقب له في الصحابة مفتعلة، فإن هذا أحبّ إليّ وأقر لعيني وأدحض لحجة أبي تراب وشيعته، وأشد إليهم من مناقب عثمان وفضله، فقرئت كتبه على الناس، ورويت أخبار كثيرة في مناقب الصحابة، حتى شادوا بذكر ذلك على المنابر، وألقي إلى معلمي الكتاتيب، فعلموا صبيانهم وغلمانهم في ذلك الكثير الواسع حتى رووه وتعلموه كما يتعلمون القرآن، وحتى علّموه بناتهم ونساءهم وخدمهم وحشمهم، فلبثوا ماشاء الله، (شرح النهج) ٣١/١٦

ونقل أيضاً عن أبي عثمان الجاحظ: أن قوماً من بني أمية قالوا لمعاوية: ياأمير المؤمنين! إنك قد بلغت ماأملت، فلو كففت عن لعن هذا الرجل ـ يقصدون علياً ـ فقال:

لاوالله . حتى يربو عليها الصغير، ويهرم عليها الكبير، ولايذكر له ذاكر فضلاً

أعلى المنابر تعلنون بسبه وبسيفه نصبت لكم أعوادها

ونقل ابن عبد ربه فقال: حج معاوية بعد موت الحسن بن علي عليهما السلام فدخل المدينة، وأراد أن يلعن علياً على منبر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فقيل له: إن هاهنا سعد بن أبي وقاص، ولانراه يرضى بهذا، فابعث إليه وخذ رأيه، فأرسل معاوية إليه وذكر له ذلك، فقال: إن فعلت لأخرجن من المسجد ثم لاأعود إليه، فأمسك معاوية من لعنه حتى مات سعد، فلما مات لعنه على المنبر، وكتب إلى عمّاله أن يلعنوه على المنابر ففعلوا، فكتبت أم سلمة زوج النبي صلى الله عليه وآله وسلم إلى معاوية: إنكم تلعنون الله ورسوله على منابركم، وذلك أنكم تلعنون علي بن أبي طالب ومن أحبه، وأنا أشهد أن الله أحبه ورسوله، فلم يلتفت إلى كلامها، (العقد الفريد) ٣/ ٣٠٠

روى (مسلم) حدثنا قتيبة بن سعيد ومحمد بن عباد، وتقاربا في اللفظ، قال: حدثنا حاتم وهو ابن اسماعيل عن بكير بن مسمار عن عامر بن سعد بن أبي وقاص عن أبيه، قال: أمر معاوية بن أبي سفيان سعداً، فقال: مامنعك أن تسب أبا تراب؟ قال: ماذكرت ثلاثاً قالهن له رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فلن أسبه، لئن تكون لي واحدة منهن أحب إلي من حمر النعم، سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول له حين خلفه في بعض مغازيه، فقال علي: يارسول الله! خلفتني مع النساء والصبيان، فقال له رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: [أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لانبوة بعدي] وسمعته يقول له يوم خيبر: [لاعطين الراية رجلاً يحب الله ورسوله، ويحبه الله ورسوله]

قال: فتطاولنا لها، فقال: [ادع علياً] فأتي به أرمد، فبصق في عينيه، ودفع الراية إليه، ففتح الله عليه، ولما نزلت هذه الآية: ﴿ندع أبناءنا وأبناءكم﴾ دعا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم علياً وفاطمة وحسناً وحسيناً، وقال: [اللهم هؤلاء أهلي] (ينابيع المودة) ١/ ٤٩

ونقل الزمخشري والسيوطي: أنه كان في أيام بني أمية أكثر من سبعين ألف منبر يلعن عليها علي بن أبي طالب بما سنّه لهم معاوية في ذلك، ولهذا أشار الشيخ أحمد الحفظي الشافعي في أرجوزته:

وقد حكى الشيخ السيوطي أنه قد كان فيما جعلوه سنة

سبعون ألف منبر وعشرة من فوقهن يلعنون حيدرة

وهـذه في جنـبـهـا الـعظـائـم تصـغـر بل توجـه الـلوائـم
فهـل ترى من سنهـا يهادي أم لا وهـل يسـترام يعـادي
وليت شعـري هل يقـال اجتهـدا كقـولهـم في نفـيـه أم الحـدا
ألـيس ذا يؤذيـه أم لا فاسـمـعـن إن الـذي يؤذيـه **يؤذي من ومـن**
عادِ أخـا الـعـرفـان بالجـواب وعـاد من عادى أبـا تراب

قال الحموي: لعن علي بن أبي طالب رضي الله عنه على منابر الشرق والغرب، ولم يلعن على منبر سجستان إلا مرة، وامتنعوا على بني أمية، حتى زادوا في عهدهم أن لايلعن على منـبرهم أحـد، وأي شرف أعظم من امتنـاعهم عن لعن أخي رسـول الله علي على منبرهم، وهو يلعن على منابر الحرمين بمكة والمدينة (معجم البلدان) ٥/٣٨

كيـف بين الأنـام يذكـر سبـاً للذي كان للنـبـي وصـيـاً؟!

قال ابن حجر في (تطهير الجنان) هامش (الصواعق) وبسندٍ رجاله ثقات: إن مروان لمّا وليّ المـدينـة كان يسب عليـاً على المنـبر كل جمعـة، ثم ولي بعـده سعيد بن العاص فكان لايسب، ثم أعيـد مروان فعـاد للسب، وكـان الحسن يعلم ذلك فيسكت ولايدخل المسجد إلا عند الإقامة، (ص ١٤٢)

وعن (الكـامـل) للمبرد: استعمل معاوية المغيرة بن شعبة على الكوفة، ودعاه فقال له: أمـا بعـد، فإن لدى الحليم قبـل اليـوم ماتقـرع العصـا، وقـد يجزي عنـك الحكيم غير العليم، وقد أردت إيصاءك بأشياء كثيرة أنا تاركها اعتماداً على بصرك، ولست تاركاً إيصاءك بخصلة واحدة، لاتترك شتم علي وذمّه، والعيب لأصحابه والإقصاء لهم، فقال له المغيرة: قد جربت وعملت قبلك لغيرك، فلم يذمني وستبلوني فستحمد أو تندم، قال: بل نحمد إن شاء الله، فأقام المغيرة عاملاً على الكوفة، وهو أحسن شيء سيرة، غير أنه لايدع شتم علي عليه السلام والوقوع به.

وقال ابن أبي الحديد: وكان المغيرة بن شعبة يلعن علياً عليه السلام لعناً صريحاً على منبر الكوفة.

وروى ابن الأثـير في (الكـامـل) في حوادث سنة ٤١ هـ: أن المغيرة لم يترك سب الإمام علي عليه السلام على منابر العراق في البصرة والكوفة، ومطاردة شيعة علي.

وقـال ابن الجـوزي: قدمت الخطباء إلى المغيرة بن شعبة بالكوفة، فقام صعصعة بن

صوحـان فتكلم، فقـال المغـيرة: أخـرجـوه، فأقيمـوه على المصطبـة فليلعن عليـاً، فقـال صعصعة: لعن الله من لعن الله، ولعن علي بن أبي طالب، فأخبروه بذلك، فقال المغيرة: أقسم بالله لتقيـدنـه، فخـرج صعصعـة فقال: إن هذا يأبى إلا علي بن أبي طالب، فالعنوه لعنه الله، فقال المغيرة: أخرجوه، أخرج الله نفسه، الأذكياء ٩٨

وأخرج أحمد في (مسنده) عن قطبة بن مالك، قال: نال المغيرة بن شعبة من علي فقال زيد بن أرقم: قد علمت أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كان ينهى عن سبّ الموتى، فلمَ تسب علياً وقد مات، ٤/٣٦٩

وأخـرج أحمـد في (مسنـده) أحـاديث نيله من الإمـام علي عليـه السـلام في خطبتـه، واعتراض سعيد بن زيد عليه، ١/١٨٨

وقال ابن سعد: كتب الحجاج إلى محمد بن القاسم أن يعرضه ـ أي عطية بن سعد العوفي الكوفي ـ على سب علي بن أبي طالب، فإن لم يفعل فاضربه أربعمائة سوط، واحلق لحيتـه، فاستـدعـاه، فأبى أن يسبـه، فأمضى حكم الحجـاج فيـه، (الغدير) ٨/٣٢٧ عن (تهذيب التهذيب) لابن حجر ٧/٢٢٦

وكانوا يلعنون أمير المؤمنين علياً عليه السلام بكنيته (أبي تراب) وهي أحب كنية لديه لأن رسـول الله صلى الله عليـه وآلـه وسلم كنّـاه بها حين رآه نائـماً بالمسجـد، وفي روايـة أخـرى للبخاري: أن رجلاً جاء إلى سهل بن سعد (الساعدي) رضي الله عنه، فقال: هذا فلان ـ لأمير المدينة ـ يدعو علياً عند المنبر، قال: ماذا قال؟ قال: يقول له: أبا تراب. . . فضحك وقال: ماسماه إلا النبي صلى الله عليه وآله وسلم، وماكان له اسم أحب إليه منه، قال الرجل: فاستمت الحـديث سهـلاً، فقلت: ياأبـا عبـاس! كيف؟ قال: دخل علي على فاطمة، ثم خرج فاضطجع في المسجد، فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم [أين ابن عمك؟]، قالت في المسجـد، فخـرج إليـه فوجد رداءه قد سقط عن ظهره، وخلص التراب إلى ظهره، فجعل يمسحه عن ظهره، ويقول: [اجلس ياأبا تراب] مرتين نزل الأبرار ٤٠

دعـاك الـنـبـي أبـا تراب وقـد عابـوا به وهـو الـفـخـر

وبعض ولاة الأمويين كان يلعن علياً عليه السلام باسمه الصريح دون تورية، يصعد المنبر في العـراق ـ خالـد بن عبـد الله القسـري ـ وكـان أمـيراً في ملك هشـام، ويلعن علياً فيقول: اللهم العن علي بن أبي طالب بن عبد المطلب بن هاشم صهر رسول الله على ابنته

وأبا سبطيه الحسن والحسين، ثم يلتفت إلى الناس، ويقول: هل كنّيت؟

وإنه ليقول (مرة أخرى) بعد أن انتهى من شتمه لعلي حيث خطب الناس في يوم جمعة، فلم يكتف بشتم علي، ولكنه نال من الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم، فقال: والله! إن كان رسول الله ليستعمله ـ يعني علياً ـ وإنه ليعلم ماهو، ولكنه كان ختناً، فقال سعيد بن المسيب: ويحكم! ماقال هذا الخبيث؟ رأيت القبر انصدع ورسول الله يقول: كذب عدو الله، (أعيان الشيعة) ٧٨/٣٥ و ١٥ من رسائل الجاحظ في نقض العثمانية وفي رواية أخرى عن محمد بن سالم البزار قال: كنت مع سعيد بن المسيب في الروضة يوم الجمعة، فجاء خطيب من بني أمية عليه اللعنة، فصعد المنبر، فذكر أمير المؤمنين وقال: إن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لم يُدنِه ـ أي علياً ـ من محبة، وإنما أدناه ليكف شرّه، فقال له سعيد: (أكفرت بالذي خلقك من تراب ثم من نطفة ثم سوّاك رجلاً)، ثم أخذ أثوابه على فيه، فقالوا: مالك ياأبا محمد! والإمام من بني أمية؟! فقال: أخطأت والله، والله ماأدري، وماقلت إلا أني سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول من القبر هذا القول فقلته كما قال، ينابيع المودة ٢ / ٧٤

قال الجاحظ: إن معاوية كان يقول في آخر خطبته: اللهم إن أبا تراب ـ يقصد علياً عليه السلام ـ ألحد في دينك، وصدّ عن سبيلك، فالعنه لعناً وبيلاً، وعذبه عذاباً أليماً، وكتب بذلك إلى الآفاق، فكانت هذه الكلمات يشاد بها على المنابر إلى أيام عمر بن عبد العزيز.

بينما معاوية جالس في بعض مجالسه وعنده وجوه الناس، فيهم الأحنف بن قيس، إذ دخل رجل من أهل الشام، فقام خطيباً، وكان آخر كلامه أن لعن علياً، فقال الأحنف: ياأمير المؤمنين! إن هذا القائل لويعلم أن رضاك في لعن المرسلين للعنهم، فاتق الله ياأمير المؤمنين! ودع عنك علياً، فلقد لقي ربه، وأفرد في قبره، وخلا بعمله، وكان والله المبرور سيفه، الطاهر ثوبه، العظيمة مصيبته. فقال له معاوية: ياأحنف! لقد أغضيت العين على القذى، وقلت ماترى، وايم الله! لتصعدن المنبر فتلعنه طوعاً أوكرهاً، فقال له الأحنف: ياأمير المؤمنين! إن تعفني فهو خير لك، وإن تجبرني على ذلك فوالله لايجري شفتاي به أبداً، فقال: قم فاصعد المنبر، فقال الأحنف: أما والله لانصفنك في القول والفعل، قال: ومـاأنت قائل إن أنصفتني؟ قال: أصعد المنبر، فأحمد الله وأثني عليه وأصلي على نبيه محمد صلى الله عليه وآله وسلم ثم أقول: أيها الناس! إن أمير المؤمنين معاوية أمر أن ألعن علياً، وإن

علياً ومعاوية اختلفا واقتتلا، فادعى كل واحد منهما أنه بغى عليه وعلى فئته، فإذا دعوت فأمنوا رحمكم الله، ثم أقول: اللهم! العن أنت وملائكتك وأنبياؤك وجميع خلقك الباغي منهما على صاحبه، والعن الفئة الباغية، اللهم العنهم لعناً كثيراً، أمّنوا رحمكم الله، يامعاوية! لاأزيد على هذا ولاأنقص حرفاً لوكان فيه ذهاب روحي، فقال معاوية: إذاً نعفيك ياأبا بحر، العقد الفريد ٢/١٤٤، المستطرف ١/٥٤

في كتاب (المختصر في أخبار البشر) للعلامة اسماعيل بن علي بن محمود: كتب الحسن إلى معاوية واشترط عليه شروطاً، وقال: إن أجبت إليها فأنا سامع مطيع، فأجاب معاوية إليها، وكان الذي طلبه الحسن أن يُعطيه مافي بيت مال الكوفة، وخراج دارأبجر من فارس، وأن لا يشتم علياً، فلم يجب إلى الكف عن شتم علي، فطلب الحسن أن لايشتم عليّ وهو يسمع، فأجابه إلى ذلك، ثم لم يفِ به.

راجع أيضاً تاريخ الطبري ٦/٩٢، كامل ابن الأثير ٣/١٧٥، تاريخ ابن كثير ١٤، تذكرة السبط ١١٣، إتحاف الشبراوي ١٠.

جاء قيس بن عبّاد الشيباني إلى زياد، فقال له: إن امرأ هنا من بني همّام يقال له: صيفي بن فسيل من رؤوس أصحاب حجر، وهو أشد الناس عليك، فبعث إليه زياد، فأتى: فقال له زياد: ياعدوالله! ماتقول في أبي تراب؟ قال: ماأعرف أبا تراب، قال: ماأعرفك به؟ قال: ماأعرفه؟ قال: أما تعرف علي بن أبي طالب، قال: بلى، قال: فذاك أبو تراب، قال: كلا! ذاك أبو الحسن والحسين عليهم السلام، وفيه: قال زياد: لتلعننه أو لأضربن عنقك، قال: إذاً تضربها والله قبل ذلك، فإن أبيت إلا أن تضربها رضيت بالله وشقيت أنت، قال: ادفعوا في رقبته، ثم قال: أوقروه حديداً، وألقوه في السجن، ثم قتل مع حجر وأصحابه سنة ٥١، تاريخ الطبري ٦/١٤٩، الأغاني ١٦/٧، كامل ابن الأثير ٣/٢٠٤، تاريخ ابن عساكر ٦/٤٥٩.

خطب بسر بن أرطاة على منبر البصرة فشتم علياً عليه السلام، ثم قال: نشدت الله رجلاً علم أني صادق إلا صدقني أو كاذب إلا كذبني، فقال أبو بكرة: اللهم! إنا لانعلمك إلا كاذباً، قال: فأمر به فخنق، تاريخ الطبراني ٦/٩٦

استعمل معاوية كثير بن شهاب على الري، وكان يكثر سب علي على منبر الري، وبقي عليها إلى أن ولي زياد الكوفة، فأقر عليها، كامل ابن الأثير ٣/١٧٩

كان المغيرة بن شعبة لما وليّ الكوفة، يقوم على المنبر ويخطب وينال من علي عليه السلام ويلعنه ويلعن شيعته، وقد صحّ أن المغيرة لعنه على منبر الكوفة مرّات لاتحصى، وكان يقول: ان علياً لم ينكحه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ابنته حباً، لكنه أراد أن يكافىء بذلك إحسان أبي طالب إليه، راجع مسند أحمد ١/١٨٨، والأغاني ١٦/٢، والمستدرك ١/٣٨٥، شرح ابن أبي الحديد ١/٣٦٠

أخرج ابن سعد عن عمير بن اسحاق، قال: كان مروان أميراً علينا ـ يعني بالمدينة ـ فكان يسب علياً كل جمعة على المنبر والحسن بن علي يسمع فلا يرد شيئاً، ثم أرسل إليه رجلاً يقول له: بعليٍّ وبعليٍّ وبعليٍّ، وبك وبك وبك، وماوجدت مثلك إلا مثل البغلة يقال لها: من أبوك؟ فتقول: أمي الفرس، فقال له الحسن: ارجع إليه فقل له: إني والله لاأمحو عنك شيئاً مما قلت بأن أسبك، ولكن موعدي وموعدك الله، فإن كنت صادقاً جزاك الله بصدقك، وإن كنت كاذباً فالله أشد نقمة، تاريخ الخلفاء للسيوطي ١٢٧.

وكان (مروان) الوزغ بن الوزغ يقول: لما قيل له: مالكم تسبون علياً على المنابر، فيقول: إنه لايستقيم الأمر إلا بذلك، الصواعق المحرقة ص٣٣

استناب معاوية على المدينة عمرو بن سعيد بن العاص بن أمية الأموي المعروف بالأشدق الذي جاء فيه في مسند أحمد ٢/٥٢٢ من طريق أبي هريرة مرفوعاً: (ليرعفّن على منبري جبار من جبابرة بني أمية يسيل رعافه) قال: فحدثني من رأى عمرو بن سعيد رعف على منبر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حتى سال رعافه، وذكره ابن كثير في (تاريخه) ٨/٣١١ /معجزة لرسوله الكريم/ كان هذا الجبار ممن يسب علياً عليه السلام على صهوة المنابر، قال القسطلاني في (إرشاد الساري في شرح صحيح البخاري) ٤/٣٦٨، والأنصاري في (تحفة الباري في شرح البخاري) المطبوع في ذيل (إرشاد الساري) في الصفحة المذكورة: سُميَّ عمرو بالأشدق لأنه صعد المنبر فبالغ في شتم علي رضي الله عنه فأصابته لقوّة ـ أي داء في وجهه ـ

وعمرو بن سعيد هو الذي كان بالمدينة يوم قتل الإمام السبط عليه السلام، قال عوانة ابن الحكم: لما قتل الحسين بن علي دعا عبيد الله بن زياد عبد الملك بن أبي الحرث السلمي، وبعثه إلى المدينة ليبشر عمرو بن سعيد، فدخل السلمي على عمرو، فقال: ماوراءك، فقال: ماسرَّ الأمير قتل الحسين بن علي، فقال: ناد بقتله، فناديت بقتله فلم أسمع والله

واعية قط مثل واعية نساء بني هاشم في دورهنَّ على الحسين، فقال عمرو وضحك:

عجّت نساء بني زياد عجّة كعجيج نسوتنا غداة الأرنب(٣٤٤)

ثم قال عمرو: هذه واعية بواعية عثمان بن عفان، ثم صعد المنبر فأعلم الناس قتله، تاريخ الطبري ٦/٢٦٨، كامل ابن الأثير ٤/٣٩

وفي (مناقب أبي عبيدة): ثم أومأ إلى القبر الشريف، وقال: ياحمد! يوم بيوم بدر، فأنكر عليه قوم من الأنصار.

كان أبو رافع عبداً لأبي أحيحة سعيد بن العاص بن أميّة، فأعتق كلٌّ من بنيه نصيبه منه إلا خالد بن سعيد، فإنه وهب نصيبه للنبي صلى الله عليه وآله وسلم فاعتقه، فكان يقول: أنا مولى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فلما ولي عمرو بن سعيد بن العاص المدينة أيام معاوية أرسل إلى البهي بن أبي رافع وفي رواية (عبيد الله)، فقال له: مولى من أنت؟ فقال: مولى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فضربه مائة سوط، ثم تركه ثم دعاه فقال: مولى من أنت؟ فقال: مولى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فضربه مائة سوط، حتى ضربه خمسمائة سوط، فلما خاف أن يموت، قال له: أنا مولاكم، كامل المبرد ٢/٧٥، الإصابة ٤/٦٨

أخرج الحاكم من طريق طاووس قال: كان حجر بن قيس المدري من المختصين بخدمة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه، فقال له علي يوماً: ياحجر! إنك تقام بعدي فتؤمر بلعني، فالعني ولاتبرأ مني، قال طاووس: فرأيت حجر المدري وقد أقامه أحمد ابن إبراهيم خليفة بني أمية في الجامع، ووكل به ليلعن علياً أويقتل، فقال حجر: أما أن الأمير أحمد بن إبراهيم أمرني أن ألعن علياً، فالعنوه لعنه الله، فقال طاووس: أعمى الله قلوبهم حتى لم يقف أحد منهم على ماقال المستدرك ٢/٣٥٨ يروى: أن علي بن أبي طالب عليه السلام افتقد عبد الله بن العباس، فقال: مابال أبي العباس لم يحضر؟ فقالوا: ولد له مولود، فلما صلى عليّ، قال: امضوا بنا إليه، فأتاه، فهنأه، فقال: شكرت الواهب، وبورك لك في الموهوب، ماسميته؟ قال: أويجوز لي أن أسميه تحتى تسميه، فأمر به، فأخرج إليه فأخذه وحنّكه ودعا له، ثم رده إليه، وقال: خذه إليك ابا

---

(٣٤٤) وقعة الأرنب: كانت لبني زيد على بني زياد من بني الحارث بن كعب من رهط عبد المدان، والبيت المذكور لعمرو بن معد يكرب

الأملاك، قد سميته علياً وكنيته أبا الحسن. فلما قام معاوية قال لابن عباس: ليس لكم اسمه وكنيته، قد كنيته أبا محمد، فجرت عليه، فكان بنو أمية إذا سمعوا بمولود اسمه علي قتلوه. تهذيب التهذيب ٧/٣١٩، فكان الناس يبدلون أسماء أولادهم، قاله زين الدين العراقي، الغدير ١٠/٣٦١ ـ ٢٨٧

ولقد غيّر بنو أمية صلاة العيد، فجعلوا الخطبة قبل الصلاة، ليسمعوا الناس لعن آل البيت عليهم السلام، فقد نقل الأميني: وقال ملك العلماء ـ يقصد الكاساني ـ في (بدايع الصنايع) ١/٢٧٦: وإنما أحدث بنو أمية الخطبة في صلاة العيد قبل الصلاة، لأنهم كانوا يتكلمون في خطبهم بما لا يحل ـ أي يلعنون علياً عليه السلام وأهل البيت ـ وكان الناس لا يجلسون بعد الصلاة لسماعها، فأحدثوها قبل الصلاة ليسمعوها الناس، وبمثل هذا قال السرخسي في (المبسوط) ٢/٣٧، وقال السندي في (شرح سنن ابن ماجة) ١/٣٨٦ قيل: سبب ذلك أنهم كانوا يسبون في الخطبة من لا يحل سبّه ـ يقصد علياً وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام ـ فيتفرق الناس عند الخطبة إن كانت متأخرة لئلا يسمعوا ذلك، فقدم الخطبة ليسمعوها.

وقال الشوكاني في (نيل الأوطار) ٣/٣٦٣: وقد ثبت في (صحيح مسلم) من رواية طارق بن شهاب عن أبي سعيد قال: أول من بدأ بالخطبة يوم العيد قبل الصلاة مروان، وقيل: أول من فعل ذلك معاوية، حكاه القاضي عياض، وأخرجه الشافعي في كتاب (الأم) ١/٢٠٨ من طريق عبد الله بن يزيد الخطمي، ولعل حديث ابن عباس مذكور في غير هذا الموضع عن ابن عباس بلفظ: حتى قدم معاوية فقدّم الخطبة، ورواه عبد الرزاق عن الزهري بلفظ: أول من أحدث الخطبة قبل الصلاة في العيد معاوية، وقيل: أول من فعل ذلك زياد بالبصرة في خلافة معاوية حكاه القاضي أيضاً.

وروى ابن المنذر عن ابن سيرين: إن أول من فعل ذلك زياد بالبصرة، قيل: ولا مخالفة بين هذين الأثرين وأثر مروان، لأنّ كلاً من مروان وزياد كان عاملاً لمعاوية، فيحتمل أنه ابتدأ ذلك وتبعه عمّاله، (الغدير) ١/١٠٦

عن أبي سعيد الخدري قال: كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يخرج يوم الفطر والأضحى إلى المصلى فأول شيء يبدأ به الصلاة، ثم ينصرف فيقوم مقابل الناس والناس جلوس على صفوفهم، فيعظهم ويوصيهم ويأمرهم، فإن كان يريد أن يقطع بعثاً قطعه، أو

يأمر بشيء أمر به، ثم ينصرف، قال أبو سعيد: فلم يزل الناس على ذلك، حتى خرجت مع مروان ـ وهو أمير المدينة ـ في أضحى أو فطر، فلما أتينا المصلى إذا منبر بناه كثير بن الصلت، فإذا مروان يريد أن يرتقيه قبل أن يصلي، فجذبت بثوبه، فجذبني فارتفع فخطب قبل أن يصلي، فقلت له: غيّرتم والله، فقال: أبا سعيد! قد ذهب ماتعلم، فقلت: ماأعلم والله خير مما لا أعلم، فقال: إن الناس لم يكونوا يجلسون لنا بعد الصلاة فجعلتها قبل الصلاة، (صحيح البخاري) ١٢٢/١ من كتاب العيدين باب الخروج إلى المصلى بغير منبر.

وذكر ابن أبي الحديد العهد الذي انقطع فيه السب عن علي وآله عليهم السلام فقال: قال عمر بن عبد العزيز: كنت أحضر تحت منبر المدينة وأبي يخطب يوم الجمعة، وهو حينئذ أمير المدينة، فكنت أسمع أبي يمر في خطبته تهدر شقاشقه، حتى يأتي إلى لعن علي عليه السلام فيحجم، ويعرض له من الفهاهة والحصر ماالله أعلم به، فكنت أعجب من ذلك؟ فقلت له يوماً: ياأبَه! أنت أفصح الناس وأخطبهم، فمالي أراك أفصح خطيب يوم حفلك حتى إذا مررت بلعن هذا الرجل ـ يقصد علي بن أبي طالب ـ صرت الكن عيياً؟! فقال: يابني! إن من ترى تحت منبرنا من أهل الشام وغيرهم لو علموا من فضل هذا الرجل ـ يقصد علياً ـ مايعلمه أبوك لم يتبعنا منهم أحد، وفي رواية: لانصرفوا عنا إلى أبنائه، قال عمر: فوقرت كلمته في صدري (مع ماكان قاله لي معلمي أيام صغري) فقد كان عبيد الله ابن مسعود من فقهاء المدينة السبعة، وكان معلم عمر بن عبد العزيز وهو صبي أودعه أبوه أخواله ـ بني عدي قوم عمر بن الخطّاب ـ فسمع يوماً شتم علي، فقال لعمر: يابني! متى علمت أن الله غضب على أهل بدر؟ قال الصبي: وهل كان علي في بدر؟ قال عبد الله: وهل كانت بدر كلها إلا علي. الإمام جعفر الصادق للمستشار عبد الحليم الجندي /١٣٦

فأعطيت ـ أي عمر بن عبد العزيز ـ عهداً لئن كان لي في هذا الأمر نصيب لاغيرنه، فلما منّ الله علي بالخلافة أسقطت ذلك وجعلت مكانه ﴿إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذي القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي يعظكم لعلكم تذكّرون﴾ النحل ٩٠

وقد مدحه الشريف الرضي رضوان الله عليه بقوله:

يابن عبد العزيز! لو بكت ... العين فتىً من أمية لبكيتك
غير أني أقول: إنك قد ... طبت وإن لم يطب ولم يزك بيتك

ولـو أني رأيـت قبرك لا ستحييت من أرى ومـاحييتـك
أنـت نزهـتـنـا عن الـسـبّ و الشتم فلو أمكن الجـزاء جزيتـك
(ديـرسمعـان) ماحـوتـك الغـوالي بابن عبـد العـزيـز إني افتـديتـك

ولكن المقـريـزي يقـول في (خططـه): إن سُنـة اللعن دامت في مصر من حين دخلها مروان سنة ٦٥ إلى سنة ١٣٣ هـ ـ ٤/١٥٢

وكـان أهـل حرّان حين أزيـل لعن أمير المؤمنين عن المنابر في أيام الجمع ـ امتنعوا من إزالته ـ وقالوا: لاصلاة إلا بلعن أبي تراب، شرح النهج ٢/٢٠٢

ومـع الأسف الشـديـد فإنك تسمع إلى اليوم شتم آل البيت في بعض المدن السورية واللبنـانيـة والفلسطينيـة شتـماً مقذعاً يتداوله الناس دون علم منهم إلى مايرمي إليه، فكلمة (بابا حسن) تطلق على كل سافل ومنحط الأخلاق، مع أنها كنية الامام علي بن أبي طالب أمير المؤمنين عليه السلام.

وكلمة (أم علي دعبلي) تطلق على الخنفساء وعلى أبي الجعّال.

وكلمة (لفتك ياحسين) أي عمامتك أو عمارتك وهي (لباس الرأس) تطلق على الأمر الذي يجري حيلة، وحسن صبي وزينب البعّـاصـة، وغـير ذلـك من الألفـاظ المشـابهة، حتى أن الأولاد ينشدون في العيد:

ياولاد محارب يويو، إلى أن يقولون:

علي مات خلّف بنات، بناته سود مثل القرود

وتـوجـد لديهم عادة الاحتفـال والفـرح وصنـع الحلويـات والتوسعة على أهلهم يوم العاشر من المحرم (عاشوراء) ومنهم من يصومه، يزعمون أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم صامـه لأنـه اليـوم الـذي نجّى به الله موسى عليـه السـلام من فرعون، وهذا ليس بصحيح وينفيـه ادعـاؤ هم نفسـه، فإن الـرسول صلى الله عليه وآله وسلم (على مانقلوا هم) لم يصم هذا اليـوم إلا مرة واحـدة، مع أنـه عاش بعـد البعثـة ثلاث وعشـرين سنـة منها عشرة في المدينة المنورة، ولكن بني أمية صاموا هذا اليوم شكراً لله لقتلهم الحسين عليه السلام.

رحم الله الشافعي حيث يقول:

يصلى على المبعـوث من آل هاشم ويـغـزى بنـوه ان ذا لعـجـيـب

روى الكيـلاني في الكـافي عن الحسن بن علي الهـاشمي عن محمد بن عيسى بن عبيد

قال: حدثني جعفر بن عيسى ـ أخوه ـ قال: سألت الرضا عليه السلام عن صوم عاشوراء ومايقول الناس فيه؟ فقال: عن صوم ابن مرجانة تسألني؟ ذلك يوم صامه الأدعياء من آل زياد لقتل الحسين عليه السلام وهو يوم يتشاءم به آل محمد صلى الله عليه وآله وسلم، ويتشاءم به أهل الإسلام، لايصام ولايتبرك به، ويوم الاثنين يوم نحس يوم قبض الله عز وجل فيه نبيه، ومـاأصيب آل محمد إلا في يوم الاثنين، فتشاءمنا به وتبرك به عدونا، ويوم عاشوراء قتل الحسين صلوات الله عليه وتبرك به ابن مرجانة، وتشاءم به آل محمد صلى الله عليهم، فمن صامهما أو تبرك بهما لقي الله تبارك وتعالى ممسوح القلب وكان حشره مع الذين سنّوا صومهما والتبرك بهما، الكافي ٤/١٤٦ الحديث ٥.

يقول الشيخ محمد حسين الزين في كتابه (الشيعة في التاريخ) بعد ذلك كله اتخذ الملوك من بني أيوب (يوم عاشوراء) يوم سرور، يوسعون فيه على عيالهم، وينبسطون في المطاعم، ويصنعون الحلاوات، ويتخذون الأواني الجديدة، ويكتحلون ويدخلون الحمّام جرياً على عادة أهل الشام التي سنّها لهم الحجاج في أيام عبد الملك، وقد أدركنا بقايا مما عمله بنو أيوب من اتخاذ يوم عاشوراء يوم سرور وتبسط، (خطط المقريزي) ٢/٢٨٥، ويستطرد قائلاً: ونحن أدركنا تلك البقايا ليلة ١١ المحرم لسنة ١٣٣٨ هـ في دير الشعار في طريقنا إلى العراق لطلب العلم الديني في النجف الأشرف، وقلنا أبمثل هذا تتقرب الأمة إلى نبيها في الليالي التي قتل فيها سبطه وريحانته ١٩٤ و١٩٥ ويقول السيد محمد التيجاني السماوي في كتابه (ثم اهتديت):

(بقيت كامل اليوم مقبوض النفس، وقد حاول صديقي تسليتي وتعزيتي، وقدّم لي بعض المرطبات، لكنّ شهيتي انقطعت تماماً، وبقيت أسأله أن يعيد عليّ قصة مقتل سيدنا الحسين لأني ماكنت لأعرف منها قليلاً أو كثيراً، غاية ماهناك أن شيوخنا إذا حدثونا عن ذلك يقولون: إن المنافقين أعداء الإسلام الذين قتلوا سيدنا عمر وسيدنا عثمان وسيدنا علي هم الذين قتلوا سيدنا الحسين، ولانعرف غير هذا الاقتضاب، بل إننا نحتفل بيوم (عاشوراء) على أنه من الأعياد الإسلامية، وتخرج فيه زكاة الأموال، وتطبخ فيه شتّى المأكولات وأنواع الأطعمة الشهية، ويطوف الصبيان على الكبار ليعطوهم بعض النقود لشراء الحلويات والألعاب).

(صحيح أن هناك بعض التقاليد والعادات في بعض القرى أنهم يشعلون النار،

ولايعملون في ذلك اليوم ولايتزوجون ولايفرحون، ولكن نسميها عادات وتقاليد بدون ذكر أي تفسير لها، ويروي علماؤ نا في ذلك أحاديث عن فضائل (يوم عاشوراء) ومافيه من بركات ورحمات، إنه أمر عجيب) /٦٣.

أرجو أن يلتفت الناس إلى هذه الأمور وينتهوا عن إيذاء محمد وآل محمد، فقد بيّن الشريف الرضي رضي الله عنه في رثاء جده الحسين عليه السلام من المعزّى به:

ميّت تبكي له فاطمة ... وأبوها وعلي ذو العلا
لو رسول الله يبقى بعده ... قعد اليوم عليه للعزا
يارسول الله، يافاطمة ... ياأمير المؤمنين المرتضى
عظّم الله لك الأجر ... بمن كظّ أحشاه الظما حتى قضى

وأنت أيها المسلم إذا أردت أن تعلم فداحة هذه المصيبة وماجرى على آل محمد في يوم عاشوراء فاستمع إلى مايقوله الإمام الرضا عليه السلام: إن المحرم شهر كان أهل الجاهلية يحرّمون فيه القتال، فاستحلت فيه دماؤ نا، وهتكت حرمتنا، وسبي فيه ذرارينا ونساؤنا، وأضرمت النيران في مضاربنا، وانتهبت مافيها من ثقلنا، ولم ترع لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حُرمة في أمرنا، إن يوم الحسين أقرح جفوننا، وأسبل دموعنا، وأذلّ عزيزنا بأرض كرب وبلاء، وأورثنا الكرب والبلاء إلى يوم الانقضاء، فعلى مثل الحسين فليبك الباكون، فإن البكاء يحط الذنوب العظام، ثم قال عليه السلام: كان أبي عليه السلام إذا دخل شهر المحرم لايُرى ضاحكاً، وكانت الكآبة تغلب عليه حتى يمضي منه عشرة أيام، فإذا كان يوم العاشر كان ذلك اليوم يوم مصيبته وحزنه وبكائه، ويقول: هو اليوم الذي قتل فيه الحسين عليه السلام، أمالي الصدوق ١١١ الحديث ٢

علّمنا الرسول صلى الله عليه وآله وسلم كيفية الصلاة عليه فعن كعب بن عجرة: «قيل يارسول الله! أما السلام فقد عرفناه، فكيف الصلاة؟ قال: [قولوا: اللهم صل على محمد وآل محمد] تفسير البرهان ٣/٣٣٦ ـ ٣٣٧، لكن بني أمية أحالوا هذه الصلاة إلى قتل ونهب ولعن ومسبة لآل محمد، فلاحول ولاقوة إلا بالله العلي العظيم.

وأبرز سلاطين المُلك العضوض الفئة الباغية ملوك بني أمية وأعوانهم مافي نفوسهم من عقيدة فاسدة حقيقتها إنكار الدين الإسلامي وجحد نبوة محمد صلى الله عليه وآله وسلم، فكانوا يطلبون من محبي آل البيت البراءة من دين علي بن أبي طالب (هكذا) خاطب الحسين عليه

السلام معاوية قائلاً: «ثم سلطّته (زياداً) على العراقين يقطع أيدي المسلمين وأرجلهم ويصلبهم على جذوع النخل..» فكتبت إليه أن اقتل كل من كان على دين علي... فقتلهم ومثل بهم بأمرك» (الامام جعفر الصادق) للجندي ٣٢٩

وذكر النسّابة أبو جعفر البغدادي في (المحبر) ٤٧٩ ماكتبه معاوية إلى زياد بن سلمة: (من كان على دين علي ورأيه فاقتله ومثّل به).

يقول جماعة معاوية لحجر بن عدي وأصحابه:

إنا أمرنا أن نعرض عليكم البراءة من علي واللعن له، فإن فعلتم تركناكم، وإن أبيتم قتلناكم، قالوا: لسنا فاعلي ذلك، فحفرت لهم القبور، وأحضرت الأكفان، وقام حجر وأصحابه يصلّون عامة الليل، فلما كان الغد قدموا فقتلوا.

حكى ذلك ابن الأثير، ثم شفع هذه الحكاية الفظيعة بأفظع منها قال:

قال معاوية: أتبرأ من دين علي الذي يدين الله به، فسكت الخثعمي، ابن الأثير ١/١٩٢ والأغاني ١٦/٩

فماذا يقصدون؟ وماذا يريدون؟ وهم يعلمون أن دين علي هو دين محمد صلى الله عليه وآله وسلم، فعلي من رسول الله كهارون من موسى وهو نفسه وأخوه ووصيه وصهره وابن عمه والمبلغ عنه والمؤدي عنه، والجواب عند الحجاج الذي فضل عبد الملك بن مروان على محمد رسول الله، كما رواه أبو داوود في سننه. يقول البوصيري مادحاً أمير المؤمنين علياً عليه السلام:

وعلي صنو النبي ومن ... دين فؤاده وداده والولاء
ووزير ابن عمه في المعالي ... ومن الأهل تسعد الوزراء

وهكذا التقى الأمويون مع الخوارج الذين تقوم عقيدتهم على إنكار نبوة ورسالة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وكراهية علي بن أبي طالب وآل البيت الأبرار، ولما تسلطوا على (الجرح والتعديل) عمدوا إلى اختلاق الأحاديث التي توافق عقيدتهم الفاسدة، ذلك أنهم كانوا: كلما هووا أمراً صيروه حديثاً ـ كما حكاه القاضي عبد الله بن عقبة المصري ـ وهو ابن لهيعة عن بعض الخوارج ممن تاب، وقد تمكنوا من ذلك، لأنهم بعد أن كاد السيف يفنيهم تسلطوا على الجرح والتعديل حتى صارت لهم الكلمة العليا في الحديث، ولم تسلم من شرورهم لاكتب الصحاح ولاغيرها من كتب الحديث، وننقل ماقاله السيد الوالد في

كتابه (سر انحلال الأمة العربية ووهن المسلمين):

(أما المحاكمات العقلية فعلمها عند الله وحسابها على الله، يقول أبو عبد الرحمن السلمي: إياكم وشقيقاً ـ وكان شقيق يرى رأي الخوارج ـ لكن رئيس الخوارج عمران بن حطّان يروي له البخاري في (صحيحه) غير مستذكر مناقب أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام التي أوردها في (صحيحه)، وأنه يحبه الله ورسوله صلى الله عليه وآله وسلم، وأنه لا يبغضه إلا منافق، وأنه من رسول الله بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعده، وغير مستذكر أنه أورد في (تاريخه) أن عمران بن حطّان يرى من أفضل العبادة قتل علي بن أبي طالب فجمع في (صحيحه) بين المتناقضين).

من القواعد العامة: إن استحلال دم المسلم كفر صريح ـ والكفر يرد الشهادة والرواية ـ فكيف تدخل في (الصحيح) رواية من يستحل قتل ليث الله الغالب، وأعلم الصحابة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام من شهد بدراً وأحداً والخندق وبيعة الرضوان وخيبر وفتح مكة وحنين، وهو في كل هذه المغازي مبارز أو حامل لواء، وشهد له رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بالجنة، ولا أقبح عذراً ممن زعم أنه متأول، وأي تأويل بعد شهادة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إلا تأويل يراد منه تكذيب السنة، فإنها (لا تعمي الأبصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور).

إن الذهبي يرجح في (ميزانه) الطعن في الإمام جعفر الصادق عليه السلام، إذ بدأ بقوله: لم يحتج به البخاري، وقال يحيى بن سعيد: مجالد أحب إلي منه في نفسي منه شيء، وإن مالكاً كان يضمه إلى واحد ثم ينقل تعديل بعض العلماء، ولعل ذلك لأن مسلما روى له في (صحيحه) ولكنه في ترجمة عمران بن حطان وإيراده حديث حساب القاضي العادل، قال: قلت، كان الأولى أن يلحق الضعف في هذا الحديث بصالح أو بمن بعده، فإن عمران صدوق في نفسه، قد روى عنه يحيى بن أبي كثير، وقتادة ومحارب بن دثار، وقال العجلي: تابعي ثقة، وقال أبو داود: ليس في أهل الأهواء أصح حديثاً من الخوارج، فذكر عمران بن حطّان وأبا حسان الأعرج. وقال قتادة: لا يتهم في الحديث، ١٠ هـ

لا أدري على من تحمل الأحاديث الصحيحة الواردة في حق الخوارج إذا كان رئيسهم غير مطعون في روايته، وإذا كان استحلال دم ابن عم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وزوج ابنته فاطمة الزهراء عليها السلام، والذي شهد له رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم

بالجنة، وأول المسلمين إيماناً، وأعلم الصحابة، وأمير المؤمنين لايكون نقصاً؟ فليت شعري! ماهو النقص؟ أهو موالاة آل بيت النبوة وحبهم؟ أم نكشف الحجاب، ونقول: إن هؤلاء المعدلين خوارج على مذهب عمران بن حطان، ولذلك بذلوا جهدهم في تعديله.
والعجب من ابن حجر كيف يقول: لايضر التخريج عمن هذا سبيله في المتابعات ـ ١هـ فعلى هذا يسوغ لنا أن ننقل رواية اليهود والنصارى أيضاً، لأن عمران يشهد على نفسه أن أعظم القرب عند الله قتل علي بن أبي طالب عليه السلام بشهادةعلي وأعدائه، فصل الجرح والتعديل (راجع أيضاً كتاب المقالات الدينية الجزء الأول للسيد محمد سعيد العرفي مقدمة كتاب (الروض النظير شرح مجموع الفقه الكبير)

٢ ـ دفع الشبهات

١ ـ إرث أبي طالب:

ومما استدل به القائلون بعدم نجاة أبي طالب، أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم لم يورث منه جعفراً ولاعلياً لاختلاف الدين

وأجاب البرزنجي عن ذلك بوجوه منها:

إن الميراث في وقت موت أبي طالب لم يفرض، وإنما كان الأمر بالوصية، فقد يكون أبو طالب أوصى بماله لعقيل فإنه كان يحبه كثيراً.

وأثبت السيد فخار: إن هذا الحديث مصنوع كذب موضوع على غير أصل ثابت، فقد بين أن مذاهب العترة النبوية الطاهرة تقول: ان المسلم يرث الكافر، وان الكافر لايرث المسلم، لأدلة عديدة منها:

حديث [الإسلام يعلو ولايعلى عليه]

وحديث: [الإسلام يزيد ولاينقص]

واستطرد قائلاً: فأما ماتعلق به المخالف من الحديث الذي يروى عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم من قوله: [لاتوارث بين ملتين]

فإنا نقول به: لأن التوارث تفاعل، وهومقتضى أن يكون كل واحد يرث صاحبه، وإذا ذهبنا إلى أن المسلم يرث الكافر فما أثبتنا توارثاً، الا ترى أن العرب إذا ضرب زيد عمرواً لايقولون: تضارب زيد وعمرو، وإنما نقول: ضرب زيد عمرواً، فإذا ضرب كل واحد منهما صاحبه، قالوا: تضارب زيد وعمرو، فعلى هذا صح لنا العمل بالخبر المذكور.

٢ ـ قيل: إن مما نزل في أبي طالب قوله تعالى:

﴿إنا أرسلناك بالحق بشيراً ونذيراً ولاتسئل عن أصحاب الجحيم﴾

قال البر زنجي: وهذا القول ضعيف جداً كالقول: إنها نزلت في أبوي النبي صلى الله عليه وآله وسلم، فإن ذلك ضعيف أيضاً، بل قيل: إن ذلك باطل لاأصل له، والآية إنما نزلت في اليهود، قال أبو حيان في (البحر): وسوابق الآيات ولواحقها تدل على ذلك، أي فإن الجميع نزل في اليهود، والقول بخلاف ذلك يوجب تفكيك نظم الآيات وذهاب جزالتها، كما أشار إلى ذلك المولى أبو السعود في (تفسيره).

٣ ـ وجاء في رواية البيهقي:

إن علياً رضي الله عنه لما مات أبو طالب قال: يارسول الله! إن عمك الشيخ الضال قد مات، قال: اذهب فواره، قلت: إنّه مات مشركاً، قال: اذهب فواره، فلما واريته رجعت إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم فقال: اغتسل.

أقول: لاحظ أيها القارىء الكريم أن الرسول صلى الله عليه وآله وسلم لم يذكر أو يلفظ أن أبا طالب كان ضالاً أومشركاً، وإنما نسب الراوي هذا القول لعلي دون أن يكون تأييد أو تأكيد لهذا القول من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، هذا من جهة، ومن جهة ثانية فقد نقلنا لك أن علياً عليه السلام قال بإسلام وإيمان والده، ومن جهة ثالثة انتبه إلى كلمة (اغتسل)، فهل كان الغسل من مس الميت مفروضاً وقت موت أبي طالب، حتى يقول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لعلي اغتسل.

قال البر زنجي: فقوله: إن عمك الشيخ الضال قد مات، مخالف للحديث السابق، وهو: أخرج ابن سعد وابن عساكر عن علي رضي الله عنه، قال: أخبرت النبي صلى الله عليه وآله وسلم بموت أبي طالب فبكى، وقال: [اذهب! فغسله وكفنه وواره غفر الله له ورحمه] ففعلت. وأجيب: إن هذا منظور فيه إلىَ ظاهر حاله في الدنيا، ولعل علياً رضي الله عنه قال ذلك بحضور سفهاء المشركين مداراة لهم، فلا يجافي الحديث السابق المنظور فيه إلى باطن الحال وحقيقة نفس الأمر، وهو إيمانه وتصديقه.

وقال السيد شرف الدين: قبل كل شيء يلزمنا أن ننظر في رجال السند الثلاثة ليكون المطلع على بصيرة من أمرهم، ثم نوكل الحكم في قبول هذه الرواية وعدمه إليه.

أما ابن عيينة سفيان، فهو مدلس كما في (الميزان)، وأما عمر بن عبد الله أبو اسحق

السبيعي، فهو من محدثي السوء، وشيوخ الرشا الذين يتقاضون من معاوية الراتب الشهري على اختلاق الأحاديث تأييداً لسلطانه، وإرغاماً لأنوف آل أبي طالب، يقول الذهبي في (الميزان): يتقاضى أبو اسحق السبيعي من معاوية في الشهر ثلاثمائة.

ويقول: روى ابن جرير عن مغيرة: ماأفسد حديث أهل الكوفة غير أبي اسحق هذا، هو الذي يلزم بطرح رواية أبي اسحق.

ونحن نستلفت القراء علاوة على ماتقدم إلى خصوص مايرويه سفيان بن عيينة عن ابي اسحق ليكونوا على بصيرة من أمر هذه الرواية، وذلك بما يحكيه في (الميزان) عن الفسوي، يقول الذهبي: قال ابن عيينة يعني سفيان: حدثنا أبو اسحق في المسجد وليس معنا ثالث، فقال الفسوي: يقول بعض أهل العلم: كان قد اختلط أبو اسحق، وإنما تركوه مع ابن عيينة لاختلاطه، وبتعبير أوضح: إن القوم لم يأخذوا بما يروى عن ابن اسحق من طريق ابن عيينة لأخذه عنه حال اختلاطه ليس إلا، ويشهد ذلك أن مولد ابن عيينة سنة ١٠٨ هـ ووفاة ابن اسحق كانت في سنة ١٢٩ هـ، وقيل كانت قبل ذلك، ولهذا التقريب يستنتج أن ابن عيينة لم يدرك أبا اسحق إلا في أيام اختلاطه.

وإليك جلية ناجية بن كعب، يقول الذهبي في (الميزان): توقف ابن حبان في توثيقه، وقال الجوزجاني: هو في الضعفاء، هو مذموم، وقال ابن المديني: لاأعلم أن أحداً حدّث عن ناجية بن كعب سوى أبي اسحق، وأبو اسحق هو ذلك المستأجر الذي تعرفت به آنفاً[٣٤٥]

٤ ـ مايتقل: **أن أبا طالب لم ينقل عنه أنه صلى**، والصلاة هي التي تميز المؤمن من غيره.

يقول ابن أبي الحديد في الجواب على هذه الشبهة: يجوز أن يكون لأن الصلاة لم تكن بعد قد فرضت، وإنما كانت نفلاً غير واجب، فمن شاء صلى، ومن شاء ترك، ولم تفرض الصلاة إلا في المدينة ـ ا هـ، على أن عدم النقل لايدل على عدم حصول الصلاة سيما لمثل أبي طالب الذي كان يتستر بمثل الصلاة ونحوها من الشعائر الإسلامية بلحاظ سياسته مع القوم واحتفاظه بمركزه في نفوس الكفرة لمصلحة الإسلام.

٥ ـ **وقال ابن تيمية الملقب بشيخ الإسلام**: إن مايروونه عن علي: أن اعرابياً صلى ونقر صلاته. فقال علي: «لاتنقر صلاتك»، فقال الاعرابي: ياعلي! أونقرها أبوك لما دخل النار. / هذا كذب.

عملاق الاسلام الخالد ١١٥ عن فتاوى ابن تيمية المجلد الثاني ٢٣٣

(٣٤٥) شيخ الأبطح ٧٧

(٣٤٦) شيخ الأبطح ٧٩

الفصل الثاني

١ ـ ماقيل حول الآيات الثلاث

لقد أغرق القوم نزعاً في الوقيعة والتحامل على بطل الإسلام، والمسلم الأول بعد ولده البار، وناصر دين الله الوحيد، فلم يقنعهم مااختلقوا من الأقاصيص حتى عمدوا إلى كتاب الله، فحرفوا الكلم عن مواضعه، فافتعلوا في آيات ثلاث أقاويل نأت عن الصدق، وبعدت عن الحقيقة بعد المشرقين، وهي عمدة مااستند إليه القوم في عدم التسليم بإيمان أبي طالب.

الأميني

أول الجزء الثامن من الغدير

مانقلناه في هذا الفصل عن الأميني فهو من أول الجزء الثامن من (الغدير)، وعن الخنيزي فهو من فصل افتراء وتزوير من كتابه (أبو طالب مؤمن قريش)

أولاً ـ قوله تعالى:

﴿وهم ينهون عنه وينأون عنه وإن يهلكون إلا أنفسهم ومايشعرون﴾

الأنعام ٢٦

أ ـ قال الأميني: أخرج الطبري وغيره من طريق سفيان الثوري عن حبيب بن أبي ثابت، عمن سمع ابن عباس أنه قال: إنها نزلت في أبي طالب، نهى عن أذى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أن يؤذى، وينأى أن يدخل في الإسلام.

وقال القرطبي: هو عام في جميع الكفّار، أي: ينهون عن إتباع محمد عليه السلام وينأون عنه، عن ابن عباس والحسن.

وقيل: هو خاص بأبي طالب، ينهى الكفار عن أذية محمد عليه السلام، ويتباعد من الإيمان به، عن ابن عباس أيضاً، روى بعض أهل السير قال: كان النبي صلى الله عليه وآله وسلم، قد خرج إلى الكعبة يوماً وأراد أن يصلي، فلما دخل في الصلاة، قال أبو جهل لعنه الله: من يقوم إلى هذا الرجل فيفسد عليه صلاته؟ فقام ابن الزبعرى، فأخذ فرثاً ودماً فلطخ به وجه النبي صلى الله عليه وآله وسلم، فانفتل النبي من صلاته، ثم أتى عمه، فقال: ياعم! ألا ترى مافعل بي؟! فقال أبو طالب: من فعل هذا بك؟ فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم: [عبد الله بن

الزبعرى]، فقام أبو طالب ووضع سيفه على عاتقه، ومشى معه حتى أتى القوم، فلما رأوا أبا طالب قد أقبل جعل القوم ينهضون، فقال أبو طالب: والله! لئن قام رجل لجللته بسيفي، فقعدوا، حتى دنا إليهم، فقال: يابني! من الفاعل بك هذا؟ فقال: [عبد الله بن الزبعرى]، فأخذ أبو طالب فرثاً ودماً فلطخ به وجوههم ولحاهم وثيابهم، وأساء لهم القول، فنزلت هذه الآية: ﴿وهم ينهون عنه وينأون عنه﴾. فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم: ياعم! نزلت فيك آية، قال: وماهي؟ قال: تمنع قريشاً أن تؤذيني وتأبى أن تؤمن بي؟! فقال أبو طالب:

والله لن يصلوا إليك بجمعهم حتى أوسد في التراب دفينا

... الخ

فقالوا: هل تنفع نصرة أبي طالب؟ قال: نعم! وضع عنه بذلك الغل، ولم يقرن مع الشياطين، ولم يدخل في جب الحيّات والعقارب، إنما عذابه في نعلين من نار يغلي منهما دماغه في رأسه، وذلك أهون أهل النار عذاباً، (تفسير القرطبي) ٦/٤٠٦

قال الأميني: نزول هذه الآية في أبي طالب باطل لايصح من شتى النواحي:

١ ـ إرسال حديثه بمن بين حبيب بن أبي ثابت وابن عباس، وكم وكم غير ثقة من أناس رووا عن ابن عباس، ولعل هذا المجهول أحدهم.

٢ ـ إن حبيب بن أبي ثابت انفرد به، ولم يروه أحد غيره، ولايمكن المتابعة على مايروونه ولو فرضناه ثقة في نفسه بعد قول ابن حبان: إنه كان مدلساً، وقول العقيلي: غمزه ابن عون، وله عن عطاء أحاديث لايتابع عليها، وقول القطّان: له غير حديث عن عطاء لايتابع عليه، وليست بمحفوظة، وقول الآجري عن أبي داوود: ليس لحبيب عن عاصم بن حمزة شيء يصح، وقول ابن خزيمة: كان مدلساً، (تهذيب التهذيب) ٢/١٧٩

ونحن لاناقش بالسند لمكان سفيان الثوري، ولانؤاخذه بقول من قال: إنه كان يدلس، ويكتب عن الكذّابين، (ميزان الاعتدال) ١/٣٩٦

٣ ـ إن الثابت عن ابن عباس بعدة طرق مسندة يضاد هذه المزعمة، ففيما رواه الطبري، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، وابن مردويه من طريق علي بن أبي طلحة، وطريق العوفي عنه: أنها نزلت في المشركين الذين كانوا ينهون الناس عن محمد أن يؤمنوا به، وينأون عنه، ويتباعدون عنه، (تفسير الطبري ٧/١٠٩) و(الدر المنثور٣/٨)

وقد تأيد ذلك بما أخرجه الطبري وابن أبي شيبة وابن المنذر وابن أبي حاتم وعبد بن حميد من طريق وكيع عن سالم عن ابن الحنفية، ومن طريق الحسين بن الفرج عن أبي معاذ، ومن طريق بشر بن قتادة، وأخرج عبد الرزاق وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم وأبو الشيخ عن قتادة والسدي والضحّاك، ومن طريق أبي نجيح عن مجاهد، ومن طريق يونس عن ابن زيد، قالوا: ينهون عن القرآن وعن النبي، وينأون عنه ـ يتباعدون عنه ـ (تفسير الطبري ٧/١٠٩)، (الدر المنثور ٣/٨ و٩)، (تفسير الألوسي ٧/١٢٦)، وليس في هذه الروايات أي ذكر لأبي طالب، وإنما المراد فيها الكفّار، الذين كانوا ينهون عن اتباع رسول الله والقرآن، وينأون عنه ـ بالتباعد والمناكرة ـ وأنت جد عليم بأن ذلك كله خلاف ماثبت من سيرة شيخ الأبطح الذي آواه ونصره وذبّ عنه، ودعا إليه إلى آخر نفس لفظه.

٤ ـ إن المستفاد من سياق الآية الكريمة: أنه تعالى يريد ذم أناس أحياء ينهون عن اتباع نبيه، ويتباعدون عنه، وأن ذلك سيرتهم السيئة التي كاشفوا بها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وهم متلبسون بها عند نزول الآية، كما هو صريح ماأسلفناه من رواية القرطبي، وأن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أخبر أبا طالب بنزول الآية، لكن نظراً إلى مايأتي عن (الصحيحين) فيما زعموه من أن قوله تعالى في سورة القصص: ﴿إنك لاتهدي من أحببت ولكن الله يهدي من يشاء﴾ نزلت في أبي طالب بعد وفاته لايتم نزول آية: ﴿ينهون عنه وينأون﴾ النازلة في أناس أحياء في أبي طالب، فإن سورة الأنعام التي فيها الآية المبحوث عنها نزلت جملة واحدة بعد سورة القصص بخمس سور، كما في (الاتقان) ١٧، فكيف يمكن تطبيقها على أبي طالب (وهو رهن أطباق الثرى)، وقد توفي قبل نزول الآية ببرهة طويلة.

٥ ـ إن سياق الآيات الكريمة هكذا:

﴿* ومنهم من يستمع إليك وجعلنا على قلوبهم أكنّة أن يفقهوه وفي آذانهم وقراً وإن يروا كل آية لايؤمنوا بها حتى إذا جاؤوك يجادلونك يقول الذين كفروا إن هذا إلا أساطير الأولين * وهم ينهون عنه وينأون عنه وإن يهلكون إلا أنفسهم ومايشعرون *﴾ الأنعام ٢٥ ـ ٢٦

وهو كما ترى صريح بأن المراد بالآيات كفّار جاءوا النبي فجادلوه، وقذفوا كتابه المبين بأنه أساطير الأولين، وهؤلاء هم الذين نهوا عنه صلى الله عليه وآله وسلم، وعن كتابه الكريم، ونأوا وبعدوا عنه، فأين هذه عن أبي طالب؟! الذي لم يفعل ذلك طيلة حياته، وكان إذا

جاءه فلكلاءته والذب عنه، بمثل قوله:

والله لن يصلوا إليك بجمعهم حتى أوسد في التراب دفينا

وإن لهج بذكره نوّه برسالته مثل قوله:

ألم تعلموا انّا وجدنا محمداً رسولاً كموسى خطّ في أول الكتب

وإن قال عن كتابه هتف به:

أو تؤمنوا بكتاب منزل عجب على نبي كموسى أوكذي النون

وقد عرف ذلك المفسرون فلم يقيموا للقول بنزولها في أبي طالب وزناً، فمنهم من عزاه إلى القيل، وجعل آخرون خلافه أظهر، ورأى غير واحد خلافه أشبه، وإليك جملة من نصوصهم:

قال الطبري في (تفسيره) ٧/١٠٦: المراد المشركون المكذبون بآيات الله، ينهون الناس عن اتباع محمد صلى الله عليه وآله وسلم، والقبول منه، وينأون عنه، ويتباعدون عنه، ثم رواه من الطرق التي أسلفناها عن ابن الحنفية وابن عباس والسدي وقتادة وأبي معاذ، ثم ذكر قولاً آخر، بأن المراد: ينهون عن القرآن أن يسمع له ويعمل بما فيه.

وعدّ ممن قال به قتادة ومجاهد وابن زيد، ومرجع هذا القول إلى القول الأول، ثم ذكر القول بنزولها في أبي طالب، وروى الحديث ابن أبي ثابت عمن سمع ابن عباس، وأردفه بقوله في ص١١٠: وأولى هذه الأقوال بتأويل الآية قول من قال: تأويل: (وهم ينهون عنه) عن اتباع محمد صلى الله عليه وآله وسلم من سواهم من الناس، وينأون عن اتباعه، وذلك أن الآيات قبلها جرت بذكر جماعة من المشركين الصادين به، والخبر عن تكذيبهم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم والاعراض عما جاء به من تنزيل الله ووحيه، فالواجب أن يكون قوله: ﴿وهم ينهون عنه﴾ خبراً عنهم، إذ لم يأتنا مايدل على انصراف الخبر عنهم إلى غيرهم، بل ماقبل هذه الآية ومابعدها يدل على صحة ماقلناه: من أن ذلك خبر عن جماعة مشركي قوم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم دون أن يكون خبراً عن خاص منهم، وإذا كان ذلك كذلك فتأويل الآية: وإن يرَ هؤلاء المشركون يامحمد كل آية لايؤمنوا، حتى إذا جاؤوك يجادلونك يقولون: إن هذا الذي جئتنا به إلا أحاديث الأولين وأخبارهم، وهم ينهون عن استماع التنزيل وينأون عنه، فيبعدون عنك وعن اتباعك، وإن يهلكون إلا أنفسهم.

وذكر الرازي في (تفسيره) ١١/٢٨٤ قولين: نزولها في المشركين الذين كانوا ينهون الناس عن

اتباع النبي والاقرار برسالته ونزولها في أبي طالب خاصة، فقال: والقول الأول أشبه لوجهين:

الأول: إن جميع الآيات المتقدمة على هذه الآية تقتضي ذم طريقتهم، فكذلك قوله: ﴿وهم ينهون عنه﴾ ينبغي أن يكون محمولاً على أمر مزعوم، فلو حملناه على أن أبا طالب كان ينهي عن إيذائه، لما حصل هذا النظم.

والثاني: أنه تعالى قال بعد ذلك: ﴿وإن يهلكون إلا أنفسهم﴾ يعني به ماتقدم ذكره، ولايليق ذلك أن يكون المراد من قوله ﴿وهم ينهون عنه﴾ النهي عن أذيته، لأن ذلك حسن لايوجب الهلاك، فإن قيل: ان قوله: ﴿وإن يهلكون إلا أنفسهم﴾ يرجع إلى قوله: ﴿وينأون عنه﴾ لا إلى قوله ﴿ينهون عنه﴾ لأن المراد بذلك: أنهم يبعدون عنه بمفارقة دينه وترك الموافقة له، وذلك ذم، فلايصح مارجحتم به هذا القول.

قلنا: إن ظاهر قوله: ﴿وإن يهلكون إلا أنفسهم﴾ يرجع إلى كل ماتقدم ذكره، لأنه بمنزلة أن يقال: إن فلاناً يبعد عن الشيء الفلاني وينفر منه، ولايضر بذلك إلا نفسه، فلا يكون هذا الضرر متعلقاً بأحد الأمرين دون الآخر.

وقد ذكر ابن كثير في (تفسيره) ٢/١٢٧ القول الأول نقلاً عن ابن الحنيفية وقتادة ومجاهد والضحاك وغير واحد، فقال: وهذا القول أظهر والله أعلم. وهو اختيار ابن جرير. وذكر النسفي في تفسيره، (تفسير الخازن) ٢/١٠ القول الأول ثم قال: وقيل: عني به أبو طالب، والأول أشبه، وذكر الزمخشري في (الكشاف) ٤٤٨، والشوكاني في (تفسيره) ٢/١٠٣ وغيرهما القول الأول، ثم ذكر الثاني وأردفه بقوله: وردّه الإمام، ثم ذكر محصل قول الرازي.

وليت القرطبي لما جاءنا يخبط في عشواء، وبين شفتيه رواية التقطها كحاطب ليل، دلّنا على مصدر هذا الذي نسجه؟ وممن أخذه؟ وإلى من ينتهي إسناده؟ ومن الذي صافقه على روايته من الحفّاظ؟ وأي مؤلف ألفه قبله؟ ومن الذي يقول: إن ماذكره من الشعر قاله أبو طالب يوم ابن الزبعرى؟ ومن الذي يروي نزول الآية يوم ذاك؟ وهل روى قوله في هذا النسيج: ياعم! أنزلت فيك آية غيره من أئمة الحديث ممن هو قبله أوبعده؟ وهل وجد القرطبي للجزء الأخير من روايته مصدراً غير (تفسيره)؟ وهل أطلّ على جب الحيّات والعقارب فوجده خالياً من أبي طالب؟ وهل شدّ الأغلال وفكها هو ليعرف أن شيخ الأبطح لايغل بها؟ أم أن مدركه في ذلك الحديث النبوي؟ هذا لو صدقت الأحلام، وعلى كلٍ فهو محجوج بكل ماذكرناه من الوجوه.

ب ـ قال الخنيزي:

يقول الزمخشري في (كشافه) ١/٤٤٧ (٢/١٠) عند حديثه عن هذه الآيات: روي: انه اجتمع أبو سفيان والوليد والنضر وعتبة وشيبة وأبو جهل وأضرابهم يستمعون تلاوة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فقالوا للنضر: ياأبا قتيلة! مايقول محمد؟ فقال: والذي جعلها بيته ـ الكعبة ـ ماأدري مايقول؟ إلا أنه يحرك لسانه ويقول أساطير الأولين، إلى أن قال الزمخشري: فنزلت الآية

وقد ذكرها البيضاوي في (تفسيره) ٤٨، وذكرت في (مجمع البيان) ٧/٣٣، ثم قال الخنيزي:

وليس أكذب من هذا التأويل إلا من خصّ به أبا طالب وحده ـ كما قيل ـ هو خاص بأبي طالب ينهي الكفار عن أذى الرسول ويتباعد عن الإيمان، فإن الضمير في الآية ضمير جمع وهو: «ينهون، وينأون» ولو كان مختصاً بأبي طالب لكنا نجد الخطاب خطاب المفرد لاالجمع.

وهناك من عمم هذه الآية، فرآها نازلة في عمومة النبي صلى الله عليه وآله وسلم وكانوا عشرة، فكانوا أشد الناس معه في العلانية، وأشد الناس عليه في السر.

وليس خفياً أن من بين أعمام النبي صلى الله عليه وآله وسلم حمزة سيد الشهداء والعباس، ولك بعد ذلك أن تحكم فيما إذا كان هذان ممن يقفون على النار فيفعلون ماحكاه الله سبحانه عنهم في هذه الآية من إبداء الندم حيث لانفع فيه، أم ماذا يتأول المهوسون المغرضون؟.

ثانياً: قوله تعالى:

﴿ماكان للنبي والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين ولو كانوا أولي قربى من بعد ما تبين لهم أنهم أصحاب الجحيم﴾ التوبة ١١٣.

آ ـ قول البرزنجي:

إني تتبعت الأحاديث الواردة في سبب نزولها فوجدتها منقسمة إلى ثلاثة أوجه:

الأول: أنها نزلت في أبي طالب. والثاني: أنها نزلت في والدة النبي صلى الله عليه وآله وسلم.

والثالث: أنها نزلت في آباء الناس الذين ماتوا على الكفر؛ كان أولادهم يستغفرون لهم.

أما الوجه الثاني: وهي أنها نزلت في والدة النبي صلى الله عليه وآله وسلم فهو ضعيف جداً.

وأما الوجه الأول: وهو كونها نزلت في أبي طالب، فهو اختصار من الرواة في الحديث، ومما استدل به على ذلك: أن الآية نزلت في المدينة، والسورة مدنية نزلت بعد /تبوك/،

وموت أبي طالب كان بمكة، قبل نزول الآية بنحو اثنيْ عشرة سنة. ثم رأينا أن علياً رضي الله عنه روي عنه من طرق صحيحة رواها الإمام أحمد بن حنبل، والترمذي، والطيالسي، وابن أبي شيبة، والنسائي، وأبويعلى، وابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، وأبو الشيخ، والحاكم، وصححه ابن مردويه، والبيهقي أن السبب في نزولها: استغفار أناس لآبائهم المشركين. قال علي رضي الله عنه: سمعت رجلاً يستغفر لأبويه /وهما مشركان/، فقلت: أتستغفر لأبويك وهما مشركان؟ فقال: أولم يستغفر إبراهيم لأبويه؟ فذكرت ذلك للنبي صلى الله عليه وآله وسلم، فنزلت: ﴿ماكان للنبي والذين آمنوا﴾ الآية. فهذه الرواية صحيحة، وقد وجدنا لها شاهداً برواية صحيحة من حديث ابن عباس رضي الله عنهما، قال: كانوا يستغفرون لآبائهم حتى نزلت هذه الآية، فلما نزلت أمسكوا عن الاستغفار لأمواتهم، ولم يُنهَوا أن يستغفروا للأحياء حتى يموتوا، ثم أنزل الله:

﴿وماكان استغفار إبراهيم لأبيه﴾ الآية بسورة التوبة.

يعني: استغفر له ماكان حياً، فلما مات أمسك عن الاستغفار له، وهذا شاهد صحيح، بحيث كانت هذه الرواية أصح كان العمل بها أرجح، فالأرجح أنها نزلت في استغفار أناس لآبائهم المشركين؛ لا في أبي طالب. ثم ذكر: أنه يمكن الجمع بينها وبين الرواية التي فيها أنها نزلت في أبي طالب مع حصول مطلوبنا، لأن الرواية التي فيها أنها نزلت في أبي طالب فيها اختصار حيث قال الراوي: لأستغفرن لك ما لم أُنه عنك، فنزلت: ﴿ماكان للنبي﴾ الآية، ولم يقل: فقال المسلمون: إن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يستغفر لعمه؛ لنستغفرن لآبائنا؛ فاستغفروا لآبائهم، فنزلت في حقهم الآية، فحيث حذفت هذه الجملة ظن الراوي أنها نزلت في أبي طالب.

ولو ذكرت هذه الجملة لقيل: نزلت في استغفار أناس لآبائهم، وبيان ذلك: أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم لمّا عرض على أبي طالب أن يقول: لاإله إلا الله، بحضور أبي جهل وعبد الله بن أبي أمية المخزومي فأبى أبو طالب، فقال النبي الكريم: [لأستغفرن لك ما لم أُنه عنك]. فقال المسلمون: إن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يستغفر لعمه، لنستغفرن لآبائنا؛ فاستغفروا لآبائهم. فنزلت في حقهم الآية. فاختصر الراوي وحذف هذه الجملة الأخيرة. ومما يدل على هذا الجمع أنا وجدنا أحاديث يستفاد منها هذا الجمع، منها: مارواه ابن أبي حاتم، وأبو الشيخ عن محمد بن كعب القرظي، قال: لما مرض أبو طالب أتاه النبي

صلى الله عليه وآله وسلم فعرض عليه أن يقول: لا إله إلا الله. فأبى أبو طالب. فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم لأستغفرن لك ما لم أُنْهَ عنك. فقال المسلمون: هذا محمد يستغفر لعمه، وقد استغفر إبراهيم لأبيه، فاستغفروا لقراباتهم من المشركين، فأنزل الله تعالى:
﴿ماكان للنبي والذين آمنوا﴾ الآية، ثم أنزل: ﴿وماكان استغفار إبراهيم لأبيه﴾ الآية.
وروى ابن جرير من طريق شبل بن عمرو بن دينار: أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: [استغفر إبراهيم لأبيه وهو مشرك]، فلاأزال أستغفر لأبي طالب حتى ينهاني ربي. فقال أصحابه: لنستغفرن لآبائنا كما استغفر النبي صلى الله عليه وآله وسلم لعمه، فأنزل الله: ﴿ماكان للنبي﴾ الآية، ظهر بهذه الأخبار أن الآية نزلت في استغفار المسلمين لأقاربهم المشركين، فظهر أن في الرواية التي فيها أنها نزلت في أبي طالب اختصاراً وحذفاً بسببه حصل الاشتباه، حتى ظن الرواة أنها نزلت في أبي طالب، وليس الأمر كذلك. ومما يؤكد أن هذا الجمع متعين: أن السورة كلها مدنية نزلت بعد تبوك، وبينها وبين موت أبي طالب نحو اثنتي عشرة سنة. وانضم إلى ذلك حديث عليٍّ السابق الصحيح، وماانضم إليه من الشواهد، وكون الآية مدنية، فلاينبغي إلغاء تلك الشواهد، وترجيح أنها نزلت في أبي طالب، وإن كان مذكوراً في (الصحيحين)، إذ قد يرجح حديث غير (الصحيحين) **لأمور تقتضي ذلك وقد صرحوا بذلك في أصول الحديث، فقولهم يقدم حديث (الصحيحين) أو أحدهما ليس على إطلاقه.**

ومما يؤيد هذا الجمع: أن المراد من أب إبراهيم عمه، كما حققنا ذلك في نجاة الأبوين[٣٤٧].

ب ـ قول الخنيزي حول آية ﴿ماكان للنبي﴾ وآية ﴿إنك لاتهدي من أحببت﴾ فقد أورد الأحاديث التي قيل: إن المعني بها أبي طالب، فقال:

١ ـ عن إسحق بن إبراهيم، حدثنا عبد الرزاق، أخبرنا معمر عن الزهري عن سعيد بن المسيب عن أبيه، قال: لمّا حضرت أبا طالب الوفاة، دخل عليه النبي صلى الله عليه وآله وسلم، وعنده أبو جهل، وعبد الله بن أبي أمية، فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم أي عم! قل لا إله إلا الله أُحاجُّ لك بها عند الله. فقال أبو جهل وعبد الله بن أبي أمية: ياأبا طالب! أترغب عن ملة عبد المطلب. فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم [لأستغفرن لك ما لم أُنه عنك]، فنزلت ﴿ماكان للنبي﴾ الآية.

---

(٣٤٧) أسنى المطالب ٣١ إلى ٣٤

٢ ـ وعن أبي اليمان، أخبرنا شعيب عن الزهري، قال: أخبرني سعيد بن المسيب عن أبيه، قال: لمّا حضرت أبا طالب الوفاة، جاء رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فوجد عنده أبا جهل وعبد الله بن أبي أمية بن المغيرة، فقال: أي عم! قل لا إله إلا الله، كلمة أحاج لك بها عند الله. فقال أبو جهل وعبد الله بن أبي أمية: أترغب عن ملة عبد المطلب؟ فلم يزل الرسول صلى الله عليه وآله وسلم يعرضها عليه، ويعيدان تلك المقالة، حتى قال أبو طالب /آخر ماكلمهم/: على ملة عبد المطلب. وأبى أن يقول لا إله إلا الله. قال: فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: [والله لأستغفرن لك ما لم أُنه عنك]. فأنزل الله

﴿ماكان للنبي والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين﴾

في أبي طالب، فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم: ﴿إنك لاتهدي من أحببت ولكن الله يهدي من يشاء﴾.

٣ ـ وعن حرملة بن يحيى التجيبي، أخبرنا عبد الله بن وهب، قال: أخبرني يونس عن ابن شهاب، قال: أخبرني سعيد بن المسيب عن أبيه، قال: لما حضرت أبا طالب الوفاة، جاء رسول الله... إلخ.

٤ ـ عن محمد بن عباد، وابن أبي عمير، قالا: حدثنا مروان عن يزيد ـ وهو ابن كيسان ـ عن ابي حازم الأشجعي عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لعمه عند الموت: [قل لا إله إلا الله، أشهدْ لك بها يوم القيامة]. فأبى. فأنزل الله: ﴿إنك لاتهدي من أحببت﴾.

٥ ـ عن أبي محمد بن حاتم بن ميمون، حدثنا يحيى بن سعيد، حدثنا يزيد بن كيسان، عن أبي حازم الأشجعي عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لعمه: [قل لا إله إلا الله، أشهدْ لك بها يوم القيامة]، قال: لولا أن تعيرني قريش، يقولون: إنما حمله على ذلك الجزع من الموت، لأقررت بها عينك، فأنزل الله: ﴿إنك لاتهدي﴾ الآية.

وننقل ماأورده الخنيزي حول رواة الأحاديث الثلاثة الأولى:

١ ـ نجد في الحديث الأول من بين رواته:

آ ـ إسحق بن إبراهيم: مبتور الاسم، ولانعلم به. هل هو الضعيف؟ أومن شيخه ساقط؟ ومن ليس بثقة؟ ومن لايعرفه الذهبي؟ وضعّفه الدارقطني؟ ومن كذبه ابن عدي والأزري لوضعه الحديث؟، ومن قال عنه الحاكم: ليس بالقوي، ومرة أخرى: ضعيف؟.

وقال عنه الدارقطني: ليس بالقوي؟. وقال عنه النسائي: ليس بثقة؟. وأبوداود: ليس بشيء؟. وكذبه محدث حمص محمد بن الطائي؟. ومن روى الأحاديث المنكرة؟. أومن ترك الأخذ عنه؟. (الميزان) ١/٨٤ - ٨٦.

ولكن فلعله إسحق بن إبراهيم الدبري صاحب عبد الرزاق، الذي قال عنه الذهبي: ماكان الرجل صاحب حديث. إلى قوله: لكن روى عن عبد الرزاق أحاديث منكرة، فوقع التردد فيها، هل هي منه؟ فانفرد بها، أوهي معروفة مما تفرد به عبد الرزاق (الميزان ١/٨٥) ولكن صاحب (شيخ الأبطح) وقد عرض لهذا الحديث يقول في ص٧٠ إنه: إسحق بن إبراهيم بن راهويه، وهذا قد ذكره الذهبي فقال عنه: وقال أبوعبيد الآجري: سمعت أبا داود يقول: إسحق بن راهويه تغير قبل أن يموت بخمسة أشهر، وسمعت منه في تلك الأيام، فرميت به، حتى يقول: وذكر لشيخنا أبي الحاج حديث. فقال: قيل إسحق اختلط في آخر عمره، ثم أورد عنه مارآه من مناكير حديثه. (الميزان ١/٨٦)، غير أنا نقربه بالدبري صاحب عبد الرزاق، ودليلنا على ذلك إسناده الحديث لعبد الرزاق.

ب - ونجد بعدئذ عبد الرزاق، ومن عبد الرزاق هذا: هل هوعبد الرزاق بن عمر الثقفي، الذي قيل عنه: ضعيف، ليس بثقة، منكر الحديث. وقال عنه الدارقطني: هو ضعيف من قبل أن كتابه ضاع. وقال أبومسهر: ضاع كتابه عن الزهري، وكان يتبعه بعد أن ذهب فيأخذ عنه ما سواه. (الميزان ٢/١٢٦)، ولكن فلعله هو الذي قال عنه الذهبي في حديثه عن إسحق بن راهويه، وهومانقلناه؛ لكن روى عن عبد الرزاق أحاديث منكرة.. إلخ.

وهو الراوي عشرة آلاف حديث عن معمر بن راشد. (الميزان ٣/١٨٨).

ج - وكذلك نجد ماذكر من اسم معمر، فليس غير الكذّاب المجهول راوي المناكير (الميزان ٣/١٨٨) وفيما نظن أن معمراً هذا هومعمر بن راشد. (شيخ الأبطح ٧٠)، وقد قال عنه الذهبي: وله أوهام معروفة، احتملت له، وقال أبوحاتم: وما حدّث به بالبصرة ففيه أغاليط. (الميزان ٣/١٨٨). (وقد قال عبد الرزاق عنه: وهوأحد حلقات السنَد الذي روى عنه إسحق منكر الحديث الذي نحن بصدد رجاله الكذبة): إنه كتب عن معمر عشرة آلاف حديث. (الميزان ٣/١٨٨)، أرأيت هذه الكثرة، ربِ زد وبارك، وهل رأيت ما في هذه الحلقات المفرغة من الكذب والافتراء، فما في حلقات سلسلة الحديث الأخرى إلا عزى منفصمة.

٢ ـ ويوافينا في الحديث الثاني هذا السند:

آ ـ وهكذا لاتنتهي سلسلة الأسماء البتراء، فمن أبو اليمان هذا، فإنا لانجد سوى اسم واحد أرسل حديثاً (الميزان ٣/١٨٨).

ب ـ والثاني فيهما هو شعيب، ونجد على هذا الاسم سلسلة ليس فيها غير الوضاع الكذوب الراوي للمناكير والمجهول إلى آخر السلسلة (الميزان ١/٤٤٧ و٤٤٨) وفي الغدير ٥/٢٠٤.

٣ ـ آ ـ وهنا تلتقي سلسلة الحديثين بالزهري، وإنها لعروة مفككة الأجزاء، هل يؤخذ حديث الزهري وهو الراوي أن علياً والعباس من أهل النار وأنهما يموتان على غير ملة الإسلام؟ (النهج ٧/٣٥٨)، وبلغ علي بن الحسين عليهما السلام أن الزهري وعروة بن الزبير نالا من علي بن أبي طالب، فوقف عليهما وقال: أما أنت ياعروة، فإن أبي حاكم أباك فحكم لأبي على أبيك. وأما أنت يازهري، فلوكنت بمكة لأريتك بيت أبيك. (النهج ١/٣٧١).

ب ـ وهنا نقع في البلبلة إذا قرأنا ماقيل عن عبد الله بن وهب، وهو الثاني في سلسلة الحديث المكذوب، فإنه قيل عنه: انه صنّف مائة وعشرين ألف حديث، وحديثه كله عن حرملة سوى حديثين، أي أن حرملة روى مائة ألف حديث وعشرين ألفاً، وليس ألف حديث كما ذكرنا في الكلام عنه. وسأل الإمام أحمد بن حنبل سائل عنه: أليس بسيء الأخذ؟ قال: بلى. (الميزان ٢/٨٦). أليس يكفي (لوقد صح توثيق من وثقه) أن يكون سيء الأخذ، وأن ينفرد برواية مائة وعشرين ألف حديث، فما هذه الوفرة الهائلة، والكثرة المتضخمة من هذه الأحاديث؟! فما عليه إلا أن يقول: حدثني، وأخبرني، وروى لي، وقال لي حتى تتم هذه الوفرة، وتتضاعف هذه الروايات.

جـ ـ ولسنا نعرف يونس هذا، فإن بين هذا الاسم سلسلة فيها الكذوب، والسيء الحفظ، والمنكَر الحديث، وحتى أن فيهم من لُقّب بالكذوب. (الميزان ٢/٨٦).

د ـ وأما ابن شهاب، فهو الأكثر غموضاً، واغرق في الخفاء من أن تستطيع معرفة شيء عنه.

٤ ـ وهكذا تتصل سلسلة الأحاديث الثلاثة بسعيد بن المسيب عن أبيه:

آ ـ والأرجح أن سعيد بن المسيب كان من المنحرفين عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام بدليل، أولاً: أن عمر بن علي عليه السلام جبهه في وجهه، وقال عنه إنه منافق.

ثانياً: وأن سعيداً لم يصل على جنازة الإمام السجاد، وأجاب: صلاة ركعتين أحب إلي من الصلاة على الرجل الصالح. (الغدير ٧/٩)، والأعيان ٣٥/٧٢ و٨٣).

ثالثاً: وأن سعيداً المذكور كان يختلق أحاديث وأخبار بفضائل خصوم علي ومبغضيه.

ب ـ وأما والد سعيد فهو المسيب بن حزن، وهو من مسلمة الفتح (أي الطلقاء) فمن أين شاهد احتضار أبي طالب الذي توفي قبل الفتح بأحد عشر عاماً.

على أننا لم نقف على توثيق له، فأقل مايقال عن حديثه هذا: إن فيه انقطاعاً، بالإضافة إلى تفصم السلسلة، ومعارضة بالحديث الأقوى.

ويستطرد الأستاذ الخنيزي قائلاً: ننظر في سلسلة الحديث الرابع لنرى الأقوال فيه:

آ ـ محمد بن عبّاد هذا من هو؟ فليس بين هذا الاسم غير المجهول الذي لايعرف، وغير من لم يكن البصير بالحديث، ومن لم يحمد عليه، وفي أمره نظر، ومن ضعّفه الدارقطني (الميزان ٣/٧٧).

ب ـ ابن أبي عمر، ومن هذا؟ فلندعه في غمار المجهولين.

جـ ـ ثم من مروان هذا؟ فلدينا حفنة من هذا الاسم، فيهم الكذوب والمجهول والضعيف، وذو المنكر من الحديث، والراوي عمن هبّ ودب، ومن لايوثق بحديثه، ومن لايحتج به (الميزان) ٣/١٥٩ و١٦٠.

٥ ـ ننظر في سلسلة الحديث الخامس، فما عسانا نرى فيها:

آ ـ محمد بن حاتم بن ميمون القطيعي المعروف بالسمين، قال ابن معين وابن المديني: كذاب. وقال الفلاس: ليس بشيء (الميزان ٣/٣٧) و(دلائل الصدق ١/٥٩).

ب ـ يحيى بن سعيد، قال عنه البخاري وابن حاتم: منكر الحديث. وقال النسائي: يروي عن الزهري أحاديث موضوعة. وقال ابن عدي وغيره: يروي عن الثقات البواطيل. وقال ابن حبّان: كان ممن يخطىء كثيراً. (الميزان ٢/٢٨٩)، وقال يحيى بن سعيد القطان: مدلس.

وقال الدمياطي: يقال إنه مدلس (دلائل الصدق ١/٦٨)، ويحيى بن سعيد هو الذي يقول: في نفسه شيء من جعفر الصادق (الغدير ٥/٢٥٢)، وهنا تتصل سلسلة الحديثين بيزيد بن كيسان عن أبي حازم عن أبي هريرة.

أما يزيد بن كيسان، فقد ذكر الذهبي على هذا الاسم شخصين، الأول منهما هو

مايعنينا أمره، حيث أشار أنه يروي عن أبي حازم الأشجعي وغيره، ويروي عنه يحيى القطان، ثم قال: وقال أبو حاتم: لايحتج به. وقال يحيى بن سعيد القطان وهو ـ صالح وسط ـ ليس ممن يعتمد (الميزان ٣/٣١٨).

ب ـ لم نعرف اسم أبي حازم الأشجعي، فلم نستطع أن نقف عنه على قول. ارجع لترجمته في ذلك إلى كل من (الإصابة) و(الاستيعاب ٤/٢٠٠)، فإنك تجد فيهما أكثر من صفحتين في اختلاف اسمه ونسبه، وكذلك ترجمته في (سير أعلام النبلاء ٢/٤١٧).

جـ ـ أبو هريرة: فهو الذي اختلف في اسمه واسم أبيه ونسبه حتى تكاد تظن أن هذا اللقب لعديد من الشخصيات (الإصابة ٤/٢٠٢) قال أبو جعفر الاسكافي: أبو هريرة مدخول عند شيوخنا غير مرضي الرواية، ضربه عمر بن الخطاب بالدرة وقال له: قد أكثرت الرواية، وأحرى بك أن تكون كاذباً على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم (النهج ٢/٤٣٤) فكيف تدخل رواية مثل هذا في الصحاح بعد شهادة الخليفة الثاني عمر بن الخطاب رضي الله عنه بأنه غير صادق وقال أبو حنيفة فيما رواه عنه أبو يوسف: الصحابة كلهم عدول، ماعدا رجال ثم عدّ منهم أبا هريرة وغيره (النهج ١/٣٦٠)، وكان أبو هريرة من الموالين لمعاوية بن أبي سفيان وحزبه الفئة الباغية.

ويستطرد الخنيزي قائلاً: ألا ترى الحديث عن أبي هريرة، قال رسول الله لعمه: [قل لاإله إلا الله]، قال: لولا أن تعيرني قريش.. إلخ.

ولكن أبا هريرة كان يوم اختار الله لأبي طالب داره الباقية كان حينذاك في اليمن ـ وهي مسقط رأسه ـ وبعد لم تقع عينه على شبح الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم، ولم تنفتح عينه ولاأقول قلبه على ضوء الرسالة الهادي، فكيف جاز له أن يحدث بحديثين ـ لو قدر له الوقوع ـ لكان قبل ثلاثة أعوام من هجرة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم، في حين أن أبا هريرة لم تطأ له قدم بأرض الإسلام إلا والرسول في (خيبر)، أي في العام السابع الهجري (الإصابة ٤/٢٠٣) و(سير أعلام النبلاء ٢/٦٤ و٢٣٤ و٤٢٥ و٤٣٦) فمن أين حضر وفاة أبي طالب ليحدث ذلك الحديث.

هذا وإن أبا هريرة لم يقم مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إلا قليلاً، لأنه أسلم في صفر العام السابع للهجرة، ثم أرسله النبي مع العلاء بن الحضرمي في شهر ذي القعدة من العام الثامن للهجرة، ولم يعد إلى المدينة إلا بعد وفاة الرسول بأعوام ـ شيخ المضيرة ٦٧.

ويقول عنه الرافعي في كتابه (تاريخ الآداب العربية) : كان أبو هريرة أكثر الصحابة رواية ولهذا كان عمر، وعثمان، وعلي، وعائشة ينكرون عليه ويتهمونه بالكذب، وهو أول راوية اتهم في الإسلام، وكانت عائشة أشدهم إنكاراً عليه لتطاول الأيام بها وبه إذ توفيت قبله بسنة ـ الجزء الثالث من كتاب جامع بيان العلم ١٥٤ .

وجاء في كتاب جامع العلم لابن عبد البر مايلي : عن طاووس قال : كنت جالساً عند ابن عمر فأتاه رجل فقال له : إن أبا هريرة يقول : إن الوتر ليس بحتم، فخذوا منه ودعوا. فقال ابن عمر: كذب أبو هريرة. راجع الجزء الثاني من تاريخ الإمام محمد عبده ١٧٦ .

وقال ابن عبد ربه في العقد الفريد : دعا عمر أبا هريرة فقال له : علمت أني استعملتك على البحرين وأنت بلا نعلين، ثم بلغني أنك ابتعت أفراساً بألف دينار وستمائة دينار.

قال:كانت لنا أفراس فتناتجت، وعطايا فتلاحقت.

قال : حسبت لك رزقك ومؤونتك، وهذا فضل فأده.

قال : ليس لك ذلك.

قال : بلى والله ! وأوجع ظهرك، ثم قام إليه بالدرة فضربه حتى أدماه، ثم قال : ائت بها.

قال : أحتسبها عند الله.

قال : ذلك لو أخذتها من حلال وأديتها طائعاً. ثم قال له : أجئت من أقصى جحر في البحرين يجبي لك الناس لا لله ولا للمسلمين؟؟! مارجعت بك سمية إلا لرعي الحمر. وقبض المال وأعاده لبيت مال المسلمين وعزله. ص ٣٤ تحقيق محمد سعيد العريان.

وقد بنى معاوية لأبي هريرة قصراً بالعقيق في المدينة المنورة، وأقطعه أرضاً واسعة، وزوجه من سبرة بنت غزوان، وكان يتولى إمارة المدينة بين حين وآخر، ووفى له معاوية بعد موته فكتب إلى والي المدينة عتبة بن أبي سفيان أن يدفع لورثة أبي هريرة عشرة آلاف درهم من بيت مال المسلمين. (أبو طالب عملاق الإسلام الخالد ١٠٨ نقلاً عن كتاب (شيخ المضيرة) لمحمود أبو رية المصري.

ويستطرد الخنيزي قائلاً : تدلنا رواية البخاري على أن الآيتين نزلتا عند احتضار أبي طالب، ولكنا إذا رجعنا إلى نزول الآيتين وجدنا : أن الآية الأولى منهما مدنية، فكل منا

يعرف أين نزلت سورة (براءة) وذلك بعد أن رست دعائم الإسلام، وقصة تبليغ براءة يعرفها كل منا[٣٤٨]، وهي آخر مانزل من القرآن، فهناك أمد طويل بين نزول الآيتين يقارب عشرة أعوام أو يربو عليها.

ب ـ بهذا يتضح أن الآية الأولى: ﴿ماكان للنبي﴾ إلخ. التي هي من سورة براءة كان سبب نزولها بعد الفتح، فبين وفاة أبي طالب ونزول هذه الآية ماينوف على عشرة أعوام، فمجرى الحديث يدل على استمرار استغفار الرسول صلى الله عليه وآله وسلم لعمه ـ وهو كذلك لم ينقطع طيلة هذه المدة عن الاستغفار، وذلك حسبما نجده من القول الذي قيل على لسان الرسول صلى الله عليه وآله وسلم: لأستغفرن لك مالم أنه عنك. فاستمر الاستغفار ولم ينقطع ـ عندهم ـ إلا عند نزول الآية ﴿ماكان للنبي﴾. وهنا نتساءل: كيف جاز للرسول أن يستغفر لعمه في الفترة التي بعد موته حتى نزول الآية ـ كما يسلّمون به ـ؟ وكانت قد نزلت على الرسول آيات زاجرة تنهاه والمؤمنين أن يوادّوا المشركين ويستغفروا لهم، أو يوالوا أعداء الله قبل نزول هذه الآية بأمد طويل، كالآيات التي نأتي بالبعض منها:

١ ـ ﴿لاتجد قوماً يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حادّ الله ورسوله ولو كانوا آباءهم..﴾ إلخ (المجادلة). فهذه الآية من سورة المجادلة، نزلت بالمدينة قبل سورة براءة التي فيها آية الاستغفار بسبع سور. وقيل: إنها نزلت على الرسول يوم (بدر) أي في العام الثاني من الهجرة. وقيل: إنها نزلت في (أحد) أي في السنة الثالثة. كما أن هناك من قال: إنها أو بعضها مكي. وعلى جميع هذه الأقوال فإن نزول (المجادلة) بدون شك قبل نزول (براءة) بعدة سنين.

٢ ـ ﴿ياأيها الذين آمنوا لاتتخذوا الكافرين أولياء من دون المؤمنين أتريدون أن تجعلوا لله عليكم سلطاناً مبيناً﴾ النساء ١٤٤.

---

(٣٤٨) سورة براءة (التوبة) من أحكامها: ١ ـ أن لايحج بعد العام مشرك ٢ ـ ولايطوف بالبيت عريان ٣ ـ ولاتدخل الجنة إلا نفس مؤمنة ٤ ـ ومن كان بينه وبين رسول الله مدة فأجله إلى مدته، والله ورسوله بريئان من المشركين، وبعد أن أرسل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أبا بكر رضي الله عنه ليحج بالناس أرجعه، وأرسل علياً عليه السلام يبلغ هذه الأحكام في منى، وقال صلى الله عليه وآله وسلم لأبي بكر رضي الله عنه: أمرت أن لايبلّغها إلا أنا أو رجل مني،

ومر عليك قول ابن عباس رضي الله عنهما لعمر بن الخطاب رضي الله عنه عن علي عليه السلام: والله مااستصغره الله ورسوله حين أمراه أن يأخذ براءة من صاحبك يقصد أبا بكر رضي الله عنه، مسند أحمد ٢١١ والزبير بن بكار في (الموفقيات)

فهـذه الآيـة مكيـة على قول النحـاس، كما قيل إنها نزلت عند الهجرة، وذهب أناس إلى أنها مدنية، مستندهم في ذلك قول عائشة: مانزلت سورة النساء إلا وأنا عنده. فيكون نزولهـا في أوليـات سني الهجـرة، وعلى كلٍّ فإن سورة النساء كان نزولها قبل سورة براءة وهي ذات آية الاستغفار، بإحدى وعشرين سورة.

٣ ـ ﴿الذين يتخذون الكافرين أولياء من دون المؤمنين أيبتغون عندهم العزة﴾ النساء ١٣٩.

وقد رأيت أن سورة النساء كان نزولها قبل براءة.

٤ ـ ﴿لايتخـذ المؤمنـون الكـافرين أولياء من دون المؤمنين ومن يفعل ذلك فليس من الله في شيء إلا أن تتقوا منهم تقاة . .﴾ آل عمران ٢٨.

فهـذه الآيـة في صدر آل عمـران، وقـد نزل صدرهـا إلى بضـع وثـمانين منها يوم وفد نجـران. وذكـروا: أن هذه الآيـة نزلت في يوم (الأحـزاب) وهـو العام الخامس للهجرة، في عبادة بن الصامت. وفي كلا الرأيين فإن آل عمران نزلت قبل براءة بأربع وعشرين سورة.

٥ ـ ﴿سواء عليهم أستغفرت لهم أم لم تستغفر لهم لن يغفر الله لهم﴾ الأنعام ٦٣.

وقد نزلت السورة التي فيها هذه الآية في عام غزاة الرسول ل(بني المصطلق) وهو العام السادس للهجرة، ونزلت قبل سورة براءة.

إلى بضـع آيـات أخرى كلها تنهى عن الموالاة للمشركين والاستغفار لهم والمودة لهم، يدل على تواصل استغفار الرسول لعمه، وأنه لم ينقطع إلا عندما نزلت هذه الآية (الناهية) كما يقـول الحـديث، فهـل يجوز لنـا نحن المسلمـين أن ننسب للرسول عملاً ينهاه عنه الذي أرسله بالحق؟!

فهـل يجوز من الـرسـول أن يستغفـر لعمه لو كان ذلك المشرك، ولديه وفرة من الآيات كلها ناهية زاجرة، فلا يأبه لها ولا يمتنع عما تنهاه، ولايقلع عن عمله إلا عندما يهمس الوحي إليه بهذه الآية من سورة التوبة.

وذكر الخنيزي أسباب النزول لهذه الآية:

آ ـ عن الإمـام علي عليـه السـلام قال: سمعت رجـلاً يستغفر لأبويه وهما مشركان. فقلت: تستغفر لأبويك وهما مشركان؟ فقال: أولم يستغفر إبراهيم. فذكرت ذلك للنبي صلى الله عليه وآله وسلم فنـزلت ﴿ماكان للنبي﴾ إلى قوله ﴿إن إبراهيم لأوّاه حليم﴾ التوبة ١١٣ و١١٤،

وهذا يدلنا على أن النهي عن الاستغفار للمشركين معروف بين المسلمين، وإلا فلولا ذلك لما كان الإمام بالذي يعترض على هذا المستغفر لأبويه، حيث ليس له أن يستنكر عملاً لم يعرف فيه النهي، واستنكار علي لهذا المستغفر لايتفق واستغفارَ الرسول لعمه مع الزعم بشركه. ولو كان عمه مشركاً لوجدنا جواب الرجل لعلي غير هذا الجواب، ولَكنّا نراه يحتج على عليٍّ باستغفار الرسول لعمه تبريراً لعمله، ولكنه احتج عليه باستغفار إبراهيم لأبيه، فنزلت الآية لتوضح الغاية من استغفار إبراهيم له / فهي موعدة وعدها إياه، ولما رأى أن ذلك لم يُجْدِ معه تبرأ منه / على أن استغفار إبراهيم لأبيه وهو على وجه الحياة يرجو منه الهداية والإيمان. أما استغفار الرسول لعمه فهذا مالايجوز بحال مالم يكن أبو طالب مؤمناً، لأن الاستغفار والدعاء بعد الموت دليل على الإيمان وليس فيه مايحمل على طلب الهداية والتوجيه نحو الإقرار بالرسالة.

وقد قال زيني دحلان حول مانقلناه عن الإمام علي عليه السلام: هذه الرواية صحيحة، وقد وجدنا لها شاهداً برواية صحيحة من حديث ابن عباس رضي الله عنهما، قال: كانوا يستغفرون لآبائهم حتى نزلت هذه الآية، فلما نزلت أمسكوا عن الاستغفار لأمواتهم، ولم ينهوا أن يستغفروا للأحياء حتى يموتوا، ثم أنزل الله تعالى: ﴿وماكان استغفار إبراهيم﴾ الآية، يعني استغفر له مادام حياً، فلما مات أمسك عن الاستغفار له، قال: وهذا شاهد صحيح، فحيث كانت هذه الرواية كان العمل بها أرجح، فالأرجح أنها نزلت في استغفار أناس لآبائهم المشركين لافي أبي طالب.

ب ـ قال المسلمون لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: ألا نستغفر لآبائنا الذين ماتوا في الجاهلية، فأنزل الله سبحانه هذه الآية، وبيّن أنه لاينبغي لنبي ولالمؤمن أن يدعو لكافر ويستغفر له

جـ ـ كان المؤمنون يقولون: ألا نستغفر لآبائنا؟ وقد استغفر إبراهيم لأبيه كافراً؟! فأنزل الله: ﴿وماكان استغفار إبراهيم﴾ الآية.

د ـ إن الرسول لما أقبل من غزوة تبوك فجاء قبر أمه، فاستأذن ربه أن يستغفر لها، ودعا الله أن يأذن له في شفاعتها يوم القيامة فأبى أن يأذن له، فنزلت الآية.

هـ ـ إن الرسول لمّا قدم مكة، وقف على قبر أمه حتى سخنت عليه الشمس، رجاء أن يؤذن له فيستغفر لها، حتى نزلت: ﴿ماكان للنبي..﴾ إلى قوله: ﴿تبرأ منه﴾.

و ـ إن الرسول صلى الله عليه وآله وسلم أتى قبر أمه فبكى وأبكى من حوله، فقال: [استأذنت ربي في أن أستغفر لها فلم يأذن لي، واستأذنته في أن أزور قبرها فأذن لي، فزوروا القبور فإنها تذكرة الآخرة].

ز ـ إن الرسول مرّ بقبر أمه عام الحديبية، فاستأذن ربه أن يزور القبر، فزاره وأصلحه، ومكث عنده حيناً، ثم استأذن ربه في أن يستغفر لأمه، فأبى عليه، فانصرف عن القبر باكياً كئيباً، وبكى المسلمون لبكائه، واكتأب المسلمون لاكتئابه.

ح ـ عن ابن مسعود: خرج رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يوماً إلى المقابر، فجلس إلى قبر منها فناجاه طويلاً ثم بكى، فبكيت لبكائه، فقال: [إن القبر الذي جلست عنده قبر أمي، وإني قد استأذنت ربي بالدعاء لها فلم يأذن لي، فأنزل الله: ﴿ماكان للنبي . . ﴾]

ط ـ عن بريدة: كنت مع النبي صلى الله عليه وآله وسلم إذ وقف على عسفان، فأبصر قبر أمه، فتوضأ وصلى وبكى، ثم قال: [إني استأذنت ربي أن أستغفر لها فنهيت، فأنزل الله ﴿ماكان للنبي . . . ﴾]

ي ـ وذكر الزمخشري حديث نزولها في أبي طالب، ثم قال: وقيل: لما افتتح مكة سأل: أي أبويه أحدث به عهداً؟ فقيل: أمك آمنة، فزار قبرها بالأبواء، ثم قام يستعبر، فقال: [إني استأذنت ربي في زيارة قبر أمي، فأذن لي، ثم استأذنته في الاستغفار لها فلم يأذن لي، فنزلت الآية]، وهذا أصح لأن موت أبي طالب كان قبل الهجرة، وهذا آخر مانزل بالمدينة.

ك ـ قال القسطلاني: قد ثبت أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أتى قبر أمه لما اعتمر، فاستأذن ربه أن يستغفر لها، فنزلت هذه الآية، رواه الحاكم وابن أبي حاتم عن ابن مسعود، والطبراني عن ابن عباس، وفي ذلك دلالة على تأخر نزول الآية عن وفاة أبي طالب، والأصل عدم التكرار، ورأي القسطلاني ـ هنا ـ يتعارض ورأي السيوطي في (الاتقان) حيث حاول أن يجمع بين صحة الأحاديث المفتعلة، والتي ينال بعضها أبا طالب، وبعضها أم الرسول، فحملها على جواز تعدد النزول وتكراره، رغم أن الأصل عدم التعدد والتكرار.

ل ـ إن رجالاً من أصحاب الرسول صلى الله عليه وآله وسلم، قالوا: يانبي الله! إن من آبائنا من كان يحسن الجوار، ويصل الرحم، ويفك العاني، ويوفي الذمم، أملاً أن يستغفر لهم؟ فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم: [والله! لاستغفرن لأبي كما استغفر إبراهيم لأبيه] فأنزل الله ﴿ماكان للنبي . . . ﴾ ثم عذر الله إبراهيم عليه السلام فقال: ﴿وماكان استغفار إبراهيم . . . ﴾ إلى قوله: ﴿تبرأ منه﴾.

م ـ ثم إن النبي أراد أن يستغفر لأبيه فنهاه الله عن ذلك بقوله: ﴿ماكان للنبي . . . ﴾ الآية، قال: فإن إبراهيم استغفر لأبيه، فنزلت: ﴿وماكان استغفار إبراهيم . . . ﴾.

ن ـ دخل النبي مكة عام الفتح ظافراً منتصراً، وبينما هو في بعض مواضعها رأى أصل قبر، فعطف عليه، وأقام عنده، واستأذن ربه في الاستغفار لصاحب القبر، فلم يؤذن له، فانصرف محزوناً كئيباً، وبكى فبكى الناس، ومارأى الناس باكياً أكثر من ذلك اليوم.

س ـ قال الطبري: قال آخرون: الاستغفار في هذا الموضوع يعني الصلاة، ثم أخرج عن المثنى عن عطاء بن أبي رباح قال: ماكنت أدع الصلاة على أحد من أهل القبلة، ولو كانت حبشية حبلى من الزنى، فإني لم أسمع الله يحجب الصلاة إلا على المشركين لقوله تعالى ﴿ماكان للنبي . . . ﴾ الآية.

فأنت ترى: أن هناك من يفسر الآية بصلاة الأموات، وقد مات أبو طالب وخديجة قبل أن تسن صلاة الأموات، على أن صلاة الأموات قد شرعت عند موت المرء، فهل نهى الرسول صلى الله عليه وآله وسلم أن لايصلي على عمه وقد مضى على موته ماينيف على العقد، إذن! كيف يجتمع هذا الرأي مع فرية تحريفها لأبي طالب، وأم الرسول، وأبيه.

ع ـ عن علي: أخبرت الرسول صلى الله عليه وآله وسلم بموت أبي طالب فبكى، وقال: [اذهب فغسله وواره غفر الله له] ففعلت، وجعل الرسول يستغفر أياماً ولايخرج من بيته حتى نزل جبريل عليه السلام بهذه الآية ﴿ماكان للنبي . . . ﴾.

فأنت ترى هنا ـ على هذا الرأي ـ الذي صيغت نهايته وفق الهوى السياسي: أن نزول هذه الآية كان في العام الذي توفي فيه أبو طالب على أكثر تقدير، إن لم نقل في الشهر أو الأسبوع الذي توفي فيه، لوجود كلمة (أياماً) مع أن نزول السورة التي فيها آية الاستغفار كان آخر مانزل من القرآن، وبعد وفاة أبي طالب بعشر سنين بأقل الصور.

ف ـ لما مات أبو طالب قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم: إن إبراهيم استغفر لأبيه وهو مشرك، وأنا استغفر لعمي حتى أبلغ، فأنزل الله ﴿ماكان للنبي . . . ﴾ الخ، يعني به أبا طالب، فاشتد على النبي صلى الله عليه وآله وسلم، فقال الله لنبيه: ﴿وماكان استغفار إبراهيم . . ﴾.

وهنا على هذا الحديث نستبين: أن الآية نزلت عند وفاة عم الرسول ونصيره صلى الله عليه وآله وسلم.

ص ـ لما مات أبو طالب قال له رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: [سامحك الله وغفر لك،

لاأزال استغفر لك الله حتى ينهاني الله . فأخذ المسلمون يستغفرون لموتاهم الذين ماتوا وهم مشركون، فأنزل الله ﴿ماكان للنبي﴾ .

فقد أورد الخنيزي ثمانية عشر سبباً لنزول هذه الآية، وأبدى الملاحظات التالية :

أ ـ على أن ثمة أقولاً متعارضة وآراء متناقضة في نزول هذه الآية، والأصح في تحريف سبب نزولها، فهي كما وجدتها يضرب بعضها بعضاً، وتتباين فيما بينها، وأول مايلفت النظر ويسترعي الانتباه، ليكشف قصر نظر المحرف، أنه يسند لمثل علي وابن عباس وغيرهما، القولين المختلفين والرأيين المتناقضين حول هذه الآية ذاتها في وقت واحد، بالإضافة إلى أن ماأسند لعلي أو لابن عباس حول أبي طالب بالذات يتناقض مع الثابت عنهما حوله، حيث أنهما يقولان بإسلامه وإيمانه، فما السبب في هذا التناقض؟ وأيها نأخذ وأيها ندع؟ فتارة يحرفونها لعم الرسول، وأخرى لأبيه، وثالثة لأمه.

ب ـ الا أنها تتفق (هذه الروايات) على اختلاف وجهات نظرها وتباين أهدافها على شيء واحد هو: أن الرسول ـ وعفوه مني ـ كان يستغفر لمشركين، وقد نهاه الله عن حبهم وموالاتهم والاستغفار لهم في عديد من المناسبات ووفر من الآيات، فما كان ليقلع عن عمله ويدع استغفاره لمن لم يرضَ الله له أن يستغفر لهم حتى نزلت هذه الآية.

جـ ـ ولابد أن نشير إلى هذه الأخبار أقل مايقال عنها أنها متعارضة، وكفى بهذا التعارض مسقطاً لها عن درجة التوثيق والاعتبار، وهذا التعارض نجده حتى في بعض الأحاديث المحرفة ضد الشخص الواحد، وبعضها وإن اتفق في التحريف لأبي طالب أو آمنة أو عبد الله، إلا أنها متناقضة في نفسها.

د ـ ثم هي مع هذا التعارض المسقط لها عن درجة الاعتبار بالإضافة إلى تهالك السند وضعف الرواة، كما عرضنا للأقوال عنهم فيما حرف لأبي طالب، وإن هؤلاء سوى نماذج لرواة أمثال هذه الأحاديث الكاذبة، لأن إسقاءها من عين آسنة واحدة، إنها مع هذا التعارض فيما بينها، ومخالفتها لأصل عدم تعدد وتكرار سبب نزول الآية، إنها مع ذلك كله تتعارض بما هو أقوى منها دلالة، وتتهادم بما هو أقوى منها دلالة وأوضح سنداً، فتتصادم بالقرآن العظيم الذي أثبت طهارة نسب الرسول ـ يقصد آية ﴿وتقلبك في الساجدين﴾ الشعراء. وطهارة أهل البيت أيضاً يقصد آية ﴿إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً﴾ ٥٥ الأحزاب/وليس أدنس ولاأرجس من الشرك والكفر، كما أنها تنال من قداسة

الرسول الذي جعلته يخالف القرآن في نهيه عن موالاة الكفار في آيات سبقت هذه الآية في تنزيلها عليه بما أوضحناه من قبل.

هـ ـ إن الآية تحمل معنى النفي ولاتعني النهي، أي أن الآية تنفي عن الرسول أنه كان يستغفر لمشركين، وكذلك المؤمنين الذين هم لتعاليمه متبعون، فهي تنفي صدور الاستغفار من الرسول لرجل لم يقر في قلبه الإيمان، لا إنها تنهى الرسول عن الاستغفار لمن لامطمع له فيه، لأن الرسول مبرأ من أن يقع في هذا.

وأوضح الأميني الذي أخذ منه الخنيزي بعض هذه النواحي فقال: إن سياق الآية الكريمة (آية الاستغفار) سياق نفي لانهي، فلا نص فيها على أن الرسول صلى الله عليه وآله وسلم استغفر فنهي عنه، إنما يلتئم مع استغفاره لعمه لعلمه بإيمان عمه، وبما أن في الحضور من لايعرف من ظاهر حال أبي طالب الذي يماشي به قريشاً، فقالوا في ذلك، واتخذوه مدركاً لجواز الاستغفار للمشركين، كما ربما احتجوا بفعل إبراهيم عليه الصلاة والسلام، فأنزل الله سبحانه الآية ومابعدها من قوله تعالى ﴿وماكان استغفار إبراهيم﴾ الآية، تنزيهاً للنبي صلى الله عليه وآله وسلم، وتعذيراً لابراهيم عليه السلام، وإيعازاً إلى أن من استغفر له النبي صلى الله عليه وآله وسلم لم يكن مشركاً (كما حسبوه)، وإن مرتبة النبوة تأبى عن الاستغفار للمشركين، فنفس صدوره منه صلى الله عليه وآله وسلم برهنة كافية على أن أبا طالب لم يكن مشركاً، وقد عرفت ذلك أفذاذ الأمة فلم يحتجوا بعمل النبي صلى الله عليه وآله وسلم كما مرّ في صحيحة عن مولانا أمير المؤمنين عليه السلام، قال: سمعت رجلاً يستغفر لأبويه وهما مشركان، فقلت: تستغفر لأبويك وهما مشركان؟ قال: أولم يستغفر إبراهيم (الحديث)، فلوكان هذا الرجل يعرف أبا طالب مشركاً لكان الاستدلال بتبريرعمله باستغفار نبي الإسلام له، ولم يكن يخفى على أحد (أول من استغفر إبراهيم لأبيه) لكنه اقتصر على مااستدل به ١هـ (الغدير) ١٦/٨

و ـ إن هناك من يذكر بقية الحديث الذي ذكرناه عن البخاري ومسلم، وهو: فلما تقارب من أبي طالب الموت، نظر إليه العباس، فرآه يحرك شفتيه، فأصغى إليه بإذنه، فقال: ياابن أخي! والله، لقد قال الكلمة التي أمرته بها، إن على من يقول بصحة الحديث أن يأخذ بنهايته وتمامه، وإلا فعليه أن يرمي به كله، فليس له أن يأخذ مايوافق هواه، ويترك مايخالفه، ولوسلمنا جدلاً صحة الحديث، فإن قول أبي طالب: على ملة عبد المطلب، دليل على

إيمانه، فما ملة عبد المطلب؟ أليست هي الحنيفية البيضاء؟ أليس عبد المطلب على دين الله الذي ارتضى؟ أليس مقراً بالإله الحق، والمبدأ الأعلى، ويوم الحساب، ومتيقن بأن الله باعث حفيده ليصدع برسالة ربه، ويتمنى وهو يحتضر أن يمتد به العمر ليشهد انبعاث النور، وإشراقه السني، على أن أبا طالب لم يتخذ الجواب بقوله: على ملة عبد المطلب، إلا ليعمي موقفه على قريش هؤلاء العتاة المحيطين به، وقد اتخذ هذه السياسة في صالح الدعوة ونبي الإسلام، كما عرضنا ذلك.

ثالثاً ـ قوله تعالى:

﴿إنك لاتهدي من أحببت ولكن الله يهدي من يشاء﴾ القصص ٥٦

أ ـ قال السيد زيني دحلان حول هذه الآية:

لايمنع من إيمانه ـ يقصد أبا طالب ـ إنما دلت الآية على أنك لاتهديه، لكن الله يهدي من يشاء، فنقول إن الله هداه.

ب ـ قال الخنيزي:

فقد ورد في سبب نزولها الحديث التالي:

(١) ـ عن طريق ابن سهل السري بن سهل عن عبد القدوس الدمشقي عن أبي صالح عن ابن عباس، قال: نزلت: ﴿إنك لاتهدي من أحببت﴾ الآية الخ.. في أبي طالب: ألحّ عليه النبي صلى الله عليه وآله وسلم أن يسلم فأبى، فأنزل الله ﴿إنك لاتهدي﴾

ونلاحظ على هذا:

ـ أ ـ السري: يقول عنه الذهبي: وهّاه ابن عدي، وقال: يسرق الحديث وكذبه ابن خراش، ثم ذكر له أحاديث، فيقول قبلها: ومن بلاياه، ومن مصايبه، وعدّه الأميني في سلسلة الكذّابين عن كثير ممن ترجمه.

ـ ب ـ عبد القدوس الدمشقي: قال عبد الرزاق: مارأيت ابن المبارك يفصح بقوله (كذاب) إلا لعبد القدوس، وقال الفلاّس: أجمعوا على ترك حديثه، وقال النسائي: ليس بثقة، وقال ابن عدي: أحاديثه منكرة الاسناد والمتن، وقال اسماعيل بن عياش: لاأشهد على أحد بالكذب إلا على عبد القدوس، وقال عبد الله بن المبارك: إن أقطع الطريق أحب من أن أروي عن عبد القدوس الشامي

ـ جـ ـ لانعرف من هو أبو صالح

ـ د ـ كان ميلاد ابن عباس الذي أسند له الحديث في شعب أبي طالب حين حوصر الرسول وبني هاشم في العام الثالث قبل الهجرة (أي في العام الذي توفي فيه أبو طالب) فمن أين رأى ابن عباس ذلك ليروي هذا الحديث، وهو الذي قال بإيمان أبي طالب.

(٢) ـ وأسند الحديث عن ابن عمر من قبل السري وعبد القدوس المعلوم حالهما، وكان ميلاد ابن عمر في العام الثالث للمبعث النبوي، فهو عند وفاة أبي طالب قد شارف السبعة أعوام من عمره، فليس له أن يشهد وهو في هذا السن احتضار أبي طالب.

ثم يستطرد الخنيزي مبيناً الوجوه التي أوردها سبباً لنزول الآية:

/ أ ـ إن الرسول صلى الله عليه وآله وسلم ضرب بحربة في فخذه يوم أحد فسقط إلى الأرض، ثم قام وقد انكسرت رباعيته، والدم يسيل على حر وجهه، فمسح وجهه ثم قال: اللهم اهد قومي فإنهم لايعلمون، فأنزل الله: ﴿إنك لاتهدي من أحببت﴾

/ ب ـ قيل: إن قوماً كانوا يظهرون الإسلام والإيمان بالرسول صلى الله عليه وآله وسلم، وتأخروا بعد هجرته، وأقاموا بمكة مظهرين الكفر والصبوة إلى الدين الذين كانوا معتنقين، وإذ وصل نبؤهم الرسول ومن معه من المؤمنين اختلفوا فيهم، فمنهم من يرى إيمانهم ولايرى ظاهرهم الذي اتخذوه تقية لمن اضطر، كما قال تعالى: ﴿إلا أن تتقوا منهم تقاة﴾ ومنهم من يراهم كفاراً، إذ كان عليهم أن يهاجروا لو استحبوا الإيمان والنجاة بالمبدأ، لذلك اجتمع هؤلاء وأولئك إلى الرسول، فأحب بعضهم أن يصدر الرسول فيهم حكمه بإيمانهم، للأرحام الوشيجة التي تربط بين هؤلاء الراغبين وأولئك المقيمين، ولكن الرسول أرجأ الحكم حتى نزلت: ﴿إنك لاتهدي من أحببت ولكن الله يهدي من يشاء﴾

وقالوا: إن معنى الآية: إنك لاتحكم وتسمي وتشهد بالإيمان لمن أحببت لكن الله يحكم له ويسميه إذا كان مستحقا له.

/ جـ ـ قيل إن هذه الآية نزلت في الحارث بن نوفل بن عثمان بن عبد مناف، وقد كان عند الرسول رغبة في إسلامه وحب لذلك، ويقرب من هذا القول قول بعض المفسرين: بأن الآية التي بعد هذه وهي: ﴿إن نتبع الهدى معك﴾ كان نزولها في الحارث، وقد قيل: إن إجماع المسلمين على الآية الثانية ﴿وقالوا.. الخ﴾ هي في الحارث.

/ د ـ إن رسول قيصر جاء بكتاب للرسول صلى الله عليه وآله وسلم فدفعه إليه، فوضع الرسول الكتاب بحجره، ثم قال: [ممن الرجل] قال: من تنوخ، فقال الرسول صلى الله عليه وآله

وسلم: [هل لك في دين أبيك إبراهيم الحنيفية]، قال رسول قيصر: إني رسول قوم وعلى دينهم حتى أرجع إليهم، فضحك الرسول صلى الله عليه وآله وسلم ونظر إلى أصحابه وقال: [إنك لاتهدي]...

ولو سلمنا جدلاً نزولها بأبي طالب، فهي دليل على إيمانه:

« أ » - لأنه حبيب الرسول، فحب الرسول لرجل هو وحده دليل على إيمان هذا الرجل الذي يحبه الرسول صلى الله عليه وآله وسلم لأن الرسول نهي عن حب غير المؤمنين.

« ب » - إن إيمان أبي طالب يكون حينئذ بهداية من الله، وليس بدعوة الرسول فحسب، بل إن هناك عناية إلهية خاصة أحاطت بأبي طالب فهدته.

جـ - قال الأميني:

ولعلك عرفت بطلان دلالتها على ما ارتآه من كفر شيخ الأبطح سلام الله عليه من بعض ماذكرناه من الوجوه، فهلمَ معي لننظر فيها خاصة، وفي ماجاء بمفردها فنقول:

١ - إن هذه الآية متوسطة بين آية تصف المؤمنين، وأخرى يذكر فيها سبحانه الذين لم يؤمنوا حذار أن يتخطفوا من مكة المعظمة، فمقتضى سياق الآيات أنه سبحانه لم يرد بهذه الآية إلا بيان الذين اهتدوا من المذكورين قبلها لم تستند هدايتهم إلى دعوى الرسول صلى الله عليه وآله وسلم فحسب، وإنما الاسناد الحقيقي إلى مشيئته وإرادته سبحانه على وجه لاينتهي إلى الالجاء بنحو من التوفيق، كما أن إسناد الاخلال إليه سبحانه بنحو من الخذلان، وإن كان النبي صلى الله عليه وآله وسلم وسيطاً في تبليغ الدعوة.

﴿.. فإن تولوا فإنما عليه ماحمّل وعليكم ماحمّلتم وإن تطيعوه تهتدوا وماعلى الرسول إلا البلاغ المبين﴾ النور ٥٤

وفي الذكر الحكيم: ﴿إنما أمرت أن أعبد رب هذه البلدة التي حرّمها وله كل شيء وأمرت أن أكون من المسلمين، وأن اتلوا القرآن فمن اهتدى فإنما يهتدي لنفسه ومن ضل فقل إنما أنا من المنذرين﴾ النحل ٩١ - ٩٢

كما أن ابليس اللعين يزين للعاصي عمله:

﴿أولو كان الشيطان يدعوهم إلى عذاب السعير﴾ لقمان ٢١

﴿وزين لهم الشيطان أعمالهم فصدهم عن السبيل﴾ العنكبوت ٣٨

﴿استحوذ عليهم الشيطان فأنساهم ذكر الله﴾ النمل ٢٤

وقد جاء فيما أخرجه العقيلي وابن عدي وابن مردويه والديلمي وابن عساكر وابن النجار عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: [بعثت داعياً ومبلغاً وليس إليَّ من الهدى شيء، وخلق إبليس مزيناً وليس إليه من الضلالة شيء]

فهذه الآية الكريمة «إنك لاتهدي» كبقية ماجاء في الذكر الحكيم من إسناد كل من الهداية والضلال إليه سبحانه كقوله تعالى:

﴿ليس عليك هداهم ولكن الله يهدي من يشاء﴾ البقرة ٢٧٢

﴿إن تحرص على هداهم فإن الله لايهدي من يضل﴾ النحل ٣٧

﴿أتريدون أن تهدوا من أضل الله﴾ النساء ٨٨

إلى آيات كثيرة، مما يدل على إسناد الهداية والضلال إلى الله تعالى على وجه لاينافي اختيار العبد فيهما.

وكذلك أسند إليه وإلى مشيئته أيضاً في رأي آخر كقوله تعالى:

﴿فمن اهتدى فلنفسه ومن ضل فإنما يضل عليها﴾ الزمر ٤١

﴿وقل الحق من ربكم فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر﴾ الكهف ٢٩

﴿إن هو إلا ذكر للعالمين لمن شاء منكم أن يستقيم﴾ التكوير ٢٧ ـ ٢٨

إلى آيات أخرى، ولامناقضة بين هذين الفريقين من الآي الكريمة بما قدمناه، وبما ثبت من صحة إسناد الفعل إلى الباعث تارة، وإلى المباشر المختار أخرى.

فآيتنا هذه صاحبة البحث والعنوان من الفريق الأول، وقد سبق بيانها بعد آيات المؤمنين لافادة ماأريدت إفادته من لداتها، ولبيان أن هؤلاء المذكورين من المهتدين هم على شاكلة غيرهم في إسناد هدايتهم إليه سبحانه، فلاصلة لها بأي إنسان خاص ـ أبي طالب أو غيره ـ وإن ماشينا القوم على وجود الصلة بينها وبين أبي طالب عليه السلام فإنها بمقولة سابقتها على إيمانه أدل، هكذا ينبغي أن تفسر هذه الآية غير مكترث لما جاء حولها من التافهات من سبق ويأتي.

٢ ـ إن ماروي فيها بمفردها كلها مراسيل، فإن منها مارواه عبد بن حميد ومسلم والترمذي وغيرهم عن أبي هريرة قال: لما حضرت وفاة أبي طالب فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: [ياعماه! قل لاإله إلا الله، أشهد لك بها عند الله يوم القيامة]، فقال: لولا أن تعيرني

قريش، ويقولون: ماحمله عليها إلا جزعه من الموت لأقررت بها عينك، فأنزل الله عليه: ﴿إنك لاتهدي من أحببت﴾ الآية.

كيف يرويه أبوهريرة، وكان يوم وفاة أبي طالب شحاذاً من متكففي دوس في (اليمن) الكفرة، يسأل الناس الحافاً، ويكتنفه البؤس من جوانبه، ومالمّ بالإسلام إلا عام خيبر سنة سبع من الهجرة الشريفة باتفاق من الجمهور؟ فأين كان هو من وفاة أبي طالب ومادار من الحديث؟! فإن صدق في روايته فهو راوٍ عمن لم ينوه باسمه، وإن كان تدليس أبي هريرة قد اضطرد في موارد كثيرة، روى أشياء ادعى فيها المشاهدة أو دل عليها السياق لكنه لم يشاهد شيئاً منها، ومن أراد الوقوف على هذه وغيرها من أمور أبي هريرة، فليراجع كتاب (أبو هريرة) لسيدنا المصلح الشريف الحجة السيد عبد الحسين شرف الدين الموسوي العاملي حيّاه الله وبيّاه، فقد جمع ذلك فأوعى (الغدير ٨)

ويستطرد الأميني قائلاً: وأعطف على هذه ماعزوه إلى مجاهد وقتادة في شأن نزول الآية (تاريخ ابن كثير)٣/١٢٤

فإن مستند أقوالهم، إمّا هذه الروايات، أو أنهم سمعوها من أناس مجهولين، ومراسيل كهذه لايحتج بها على أمر خطير مثل تكفير أبي طالب بعد ثبوت إيمانه بما صرح به الصادع الكريم، وتفانيه دونه والذبّ عنه بالبرهنة القاطعة، وبعد البعض عن سبيل الرشاد فساروا يميناً وشمالاً، هذا الزجاج يرسل حكمه الظالم حول هذه الآية فيدعي: أن قد أجمع المسلمون ـ أنها نزلت في أبي طالب ـ فمن أين هذا الاجماع؟ وإننا نجد التناقض ظاهراً وروح الخلق تفوح بين سطور هذه الكلمات التي يقولونها على لسان أبي طالب: (ياابن أخي! لقد علمت أنك صادق، ولكني أكره أن يقال: جزع عند الموت ـ أي خار ـ حتى يختمها: ولكني سوف أموت على ملة الأشياخ عبد المطلب وهاشم وعبد مناف)، وجاء القرطبي ليخفف من حدة قبح دعوى الاجماع فقال: والصواب أن يقال: أجمع جلّ المفسرين أنها نزلت في شأن أبي طالب.

أما ابن كثير، فقد حاول أن يخرج من تناقضه حول هذه الآية فقال: وقد ثبت في (الصحيحين) أنها نزلت في أبي طالب عم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وقد كان يحوطه وينصره ويقوم في صفه، ويحبه حباً شديداً طبيعياً لاشرعياً... كذا؟! ومضحك حول هذه الأحاديث ماقاله الترمذي: إنه حسن غريب لانعرفه إلا من حديث يزيد بن كيسان، ومثل

من هذا التحريف يسمى تفسيراً تارة، وتاريخاً أخرى، وحديثاً ثالثاً، وقول من قال: ان أبا سعيد بن مدافع قال: سألت ابن عمر عن هذه الآية: ﴿إنك لاتهدي من أحببت﴾ أفي أبي جهل وأبي طالب قال: نعم!

أقول: أي عقل أو منطق أو دين يقارن بين أبي طالب وأبي جهل؟! وكم كان سن ابن عمر عند وفاة أبي طالب؟! وجاء من يقول: إن آية ﴿إنك لاتهدي من أحببت﴾ نزلت في أبي طالب، فإن النبي كان يحب إسلامه فنزلت الآية، وكان يكره إسلام وحشي قاتل حمزة فنزلت فيه ﴿ياعبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لاتقنطوا من رحمة الله﴾ فلم يسلم أبو طالب وأسلم وحشي.

أقول:

أ ـ ماهو وجه المقارنة بين أبي طالب وبين وحشي؟!

ب ـ إن الرسول صلى الله عليه وآله وسلم لايكره إسلام أحد، وإنما يفرح بهداية الناس جميعهم وإن غاية من يروي مثل هذه الأكاذيب أن يبين أن إرادة الله عز وجل تعارض وتخالف رغبات الرسول الكريم (غير المحققة على زعمهم) ولكن قاتل الله الخوارج (المعلن منهم وغير المعلن) فإن عقيدتهم الفاسدة الطعن برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم

قال الألوسي في تفسيره (روح المعاني) ٢٠ / ٨٤ عن هذه الآية: والآية على مانطقت به بكثير من الأخبار نزلت في أبي طالب. . . الخ ثم قال: ومسألة إسلامه خلافية، وحكاية إجماع المفسرين على أن الآية نزلت فيه لاتصح، فقد ذهبت الشيعة وغير واحد من مفسريهم إلى السلامة، وادعوا إجماع أئمة أهل البيت على ذلك، وإن أكثر قصائده تشهد له بذلك، وكأن من يدعي إجماع المسلمين لايعتد بخلاف الشيعة ولايعول على رواياتهم، (الحجة هامش ١٥٤)

الفصل الثالث

١ ـ حديث الضحضاح

١ ـ قول السيد زيني دحلان: ثم قال البرزنجي: وهذا الذي اخترناه من كون نجاة أبي طالب لما كان عنده من التصديق الكافي للنجاة في الآخرة، هو طريق المتكلمين من أئمتنا الأشاعرة، وهو مادلت عليه أحاديث الشفاعة، وأحاديث الشفاعة كثيرة كلها فيها التصريح

بأنها لاتنال مشركاً، وقد نالت الشفاعة أبا طالب كما سيأتي بيانه، فدل ذلك على عدم إشراكه.

ثم ذكر البر زنجي الدلائل التي يستمسك بها القائلون بعدم نجاته، وقلب استدلالهم على عدم النجاة وجعلها دالة على النجاة، فمن ذلك مارواه البخاري ومسلم عن العباس ابن عبد المطلب رضي الله عنه عم النبي صلى الله عليه وآله وسلم: ان أبا طالب كان يحوطك - أي يحفظك وينصرك ويغضب لك - فهل ينفعه ذلك؟ قال: [نعم، وجدته في غمرات من النار مشرفاً عليها، فأخرجته إلى ضحضاح، ولولا أنا لكان في الدرك الأسفل من النار].

والضحضاح: مارقَّ من الماء على وجه الأرض للكعبين، فاستعير للنار.

وفي رواية للبخاري ومسلم عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، أنه صلى الله عليه وآله وسلم ذكر عنده عمه أبو طالب، فقال: [لعله تناله شفاعتي يوم القيامة، فيجعل في ضحضاح من نار يبلغ كعبيه، يغلي منه دماغه].

وروى مسلم وغيره عنه صلى الله عليه وآله وسلم: [ان أبا طالب أهون أهل النار عذاباً].

قال القائلون بعدم نجاته: ان هذه الأحاديث الصحيحة دالة على كفره، وأنه في النار، فلا يمكن القول بنجاته لأن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أخبر بحاله فيما بينه وبين الله في الدار الآخرة، فدل على أنه لم يكن مصدقاً بقلبه. وأما ماصدر منه من نصرة النبي صلى الله عليه وآله وسلم فإنما كان من باب حمية العرب والأنفة من أن يغتال ابنه بين يديه، وقد كلفه بذلك عبد المطلب، ثم قال البر زنجي: قلت:

الجواب: إن نفس الأحاديث التي ذكرت تدل على نجاته، وذلك أن الله تعالى قد أخبر عن الكفار بأنهم ﴿لايخفف عنهم من عذابها﴾ وبأنهم ﴿ماهم منها بمخرجين﴾ وبأنهم ﴿لاتنفعهم شفاعة الشافعين﴾ وغير ذلك، وقد ثبت في الأثر الصحيح: أن الجحيم هي الطبقة التي يعذب بها عصاة المؤمنين، ثم يخرجون منها، وهي أعلى طبقات النار، وعصاة المؤمنين عذابهم أخف من عذاب الكفار، وحين صح أن أبا طالب أهون أهل النار عذاباً على الاطلاق، فيكون أهون عذاباً حتى من عصاة المؤمنين، ولو لم نقل بذلك لما صدق قوله صلى الله عليه وآله وسلم: [انه أهون أهل النار عذاباً].

ولو فرض أنه كافر يخلد في النار، وهو أهون أهل النار عذاباً لكان عذاب الكافر أهون من عذاب بعض المؤمنين العصاة، وهذا لايقول به أحد، فثبت أن عذابه أهون من عصاة

المؤمنين، وثبت أنه تنفعه شفاعة النبي صلى الله عليه وآله وسلم، وبهذا خفف عنه العذاب وجعل أخف أهل النار عذاباً، فأخرج من طمطام النار وغمراتها، أي أبعد عما كان مشرفاً على دخوله لولا النبي صلى الله عليه وآله وسلم إلى ضحضاح منها، ولبس نعلين من النار فصارت لاتغطي إلا ظهور رجليه، وهذه هي أعلى النار لاأعلى منها، بحيث النار مامست إلا تحت قدميه، وليس ذلك إلا في الطبقة الفوقانية التي هي مكان عصاة هذه الأمة، وقد صحت الأحاديث بأنهم يخرجون منها، بحيث لايبقى فيها من كان في قلبه أدنى أدنى مثقال حبة من خردل من إيمان، وقد صح أيضاً أن هذه الطبقة بعد أن تخرج منها عصاة هذه الأمة، تنطفي نارها وتصفق أبوابها، وينبت فيها الجرجير (بقلة تنبت على المياه وتؤكل) ولايجوز أن ينبت فيها الجرجير وفيها نار تمس تحت القدم، فوجب أن يخرج منها أبو طالب بهذه الأدلة وكلها صحيحة.

ثم قال البرزنجي: ورد في الصحيح أنه صلى الله عليه وآله وسلم قال: [شفاعتي لأهل الكبائر] وفي لفظ: لمن لايشرك بالله شيئاً، واللام للاختصاص، مثل: الحمدلله، معناها: شفاعتي مختصة لأهل الكبائر، وحيث كانت مختصة لأهل الكبائر، فهي لاتكون لمشرك، يعني أن الشفاعة التي لغفران الذنوب، تختص بأهل الكبائر، فإن الصغائر يكفرها اجتناب الكبائر، والكفار لاتنفعهم شفاعة الشافعين: ﴿إن الله لايغفر أن يشرك به﴾

وإذا لم يغفر لم يدخل تحت الشفاعة، لأن كل عذاب في مقابله ذنب، فما لم يغفر ذلك الذنب لايرفع عنه العذاب الذي في مقابلته، وإذا لم يغفر الشرك صدق أنه لاتنفعه شفاعة الشافعين، والشافعين جمع محلّى باللام، فيفيد العموم لجميع الشافعين، وتدخل شفاعته صلى الله عليه وآله وسلم فإنها لاتنفع الكافرين، كما لاتنفعهم شفاعة غيره، وأبو طالب قد تنفعه شفاعة النبي صلى الله عليه وآله وسلم فخفف عنه العذاب، وأخرج من غمرات النار إلى ضحضاح النار بشفاعة النبي صلى الله عليه وآله وسلم فوجب أن يكون من أهل الكبائر عدا الكفر، ووجب أن يخرج من النار، لأنه صار من عصاة الأمة الذين هم في الطبقة العليا، وكل من كان كذلك يخرج ويدخل الجنة، وهذا معنى قوله صلى الله عليه وآله وسلم: [أرجو له من ربي كل خير].

وهذا الحديث أخرجه ابن سعد وابن عساكر عن ابن عباس عن العباس رضي الله عنهما، أنه سأل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: ماترجو لأبي طالب؟ قال: [كل الخير أرجو

من ربي] ولا يرجى كل الخير إلا لمؤمن، ولا يجوز أنه يراد لهذا ماحصل من تخفيف العذاب، فإنه ليس فيه خيراً، فضلاً عن أن يكون كل الخير، وإنما هو تخفيف الشر (وبعض الشر أهون من بعض) والخير كل الخير دخول الجنة(٣٤٩).

وأخرج تمام الرازي في فوائده بسند يعتد به في (المناقب) عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: [إذا كان يوم القيامة شفعت لأبي، وأمي، وعمي أبي طالب، وأخ لي كان في الجاهلية]، أورده المحب الطبري في كتابه (ذخائر العقبى في مناقب ذوي القربى) وأخرجه أبو نعيم وصرّح ان الأخ كان من الرضاع، قال البرزنجي: إن النار اسم للطبقات كلها، وقد أخبر صلى الله عليه وآله وسلم أن أبا طالب أخف أهل النار عذاباً على الاطلاق، وتبيان وجه ذلك، بأن النار لاتمس إلا تحت قدميه، فلا يجوز أن يكون كافراً، لأن في المؤمنين من صح عنهم في ذنب من الغلول أوالعقوق أو تعذيب الهرة أوالتبختر، بعذاب أكبر من هذا، فقد جاء فيمن غلّ من الغنيمة شملة صغيرة أنها تلتهب عليه ناراً، وفيمن غلّ بردة من صوف أنه جعل له درع مثلها من نار، وأن من جاء بريئاً من الغلول دخل الجنة، وجاء أن عقوق الوالدين من أكبر الكبائر، وذكر في بعض الأحاديث بعد الشرك بالله، وفي القرآن: ﴿واعبدوا الله ولاتشركوا به شيئاً وبالوالدين إحساناً﴾*

وصحّ: [ثلاثة لاينفع معهم عمل، الشرك بالله، وعقوق الوالدين، والفرار من الزحف].

وصحّ أيضاً: [لاينظر الله يوم القيامة لعاق والديه]، وصحت أحاديث كثيرة في شدة عذاب العاق لوالديه، وأنه آخر من يخرج من النار من العصاة، وصح: [دخلت إمرأة النار في هرة]، ـ أي بسبب حبسها هرة ـ، وصحت أحاديث كثيرة في النهي عن التبختر وشدة العذاب لمن تبختر، ولو كان أبو طالب كافراً لكان عذاب الكفر دون عذاب الكبائر مع أن عذاب الكفر فوق عذاب الكبائر قطعاً، وهذا لاشك فيه، فإن الكفر أكبر الكبائر ولا يغفر بخلاف بقية الكبائر، ولو وجد مؤمن عاصٍ أخف

---

(٣٤٩) أسنى المطالب ٢٤

(*) أسنى المطالب ٢١ إلى ٢٧

عذاباً من أبي طالب، لزم الخلف في قول الصادق صلى الله عليه وآله وسلم حيث جعله أخف أهل النار عذاباً على الاطلاق، فوجب أن يكون عذابه كعذاب العصاة المؤمنين، بل يكون أخف العصاة عذاباً، وهذا العذاب في مقابلة كبيرة هي ترك النطق بالشهادة (إن قلنا أنه لم ينطق بها) وإن ترك النطق بها معصية من كبائر المعاصي، وان عذره في ترك النطق بها لايمنع من صحة الإيمان، لكنه لاينفي كون ذلك الترك معصية، أونطق بها ولم يسمعها النبي صلى الله عليه وآله وسلم فلم يعتد بها فكأنه ما نطق بها، ذلك أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم حضر أبا طالب عند الموت وعنده أبوجهل وعبد الله بن أبي أمية المخزومي، فقال له النبي صلى الله عليه وآله وسلم: أي عم! قل لا إله إلا الله، كلمة أحاج لك بها عند الله، فقال أبوجهل وعبد الله ابن أبي أمية: ياأبا طالب! أترغب عن ملة عبد المطلب، فلم يزالا يردانه حتى قال أبوطالب آخر ماقال هو: على ملة عبد المطلب، وأبى أن يقول: لاإله إلا الله، وفي رواية: فلما رأى أبو طالب حرص رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم على إيمانه، قال: ياابن أخي! لولا مخافة قريش (إنما قلتها جزعاً من الموت) لقلتها، وفي رواية: لما تقارب من أبي طالب الموت رآه العباس يحرك شفتيه، فأصغى إليه بأذنه فسمع منه الشهادة، فقال للنبي صلى الله عليه وآله وسلم: ياابن أخي! والله لقد قال الكلمة التي أمرته بها.

ولم يصرح العباس بلفظ (لاإله إلا الله) لكونه لم يكن أسلم حينئذ، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: لم أسمع، وهذا معنى قولهم أنه صلى الله عليه وآله وسلم لم يعتد بها، فكأنه لم ينطق بها، والقائلون بعدم نجاته لم يأخذوا بهذا الحديث، لكون العباس شهد بها حال كفره قبل أن يسلم، وبعضهم ضعّف هذا الحديث،فعلى تسليم عدم الاعتداد بنطقه هذا وأن الحديث ضعيف، فنقول: هوكافر باعتبار أحكام الدنيا، أما عند الله فهومؤمن ناج ممتلىء قلبه إيماناً بدليل ماتقدم عنه مما يدل على ذلك، إن عدم نطقه بحضور أبي جهل وعبد الله بن أبي أمية حرصاً منه على بقاء الحفظ للنبي صلى الله عليه وآله وسلم وصيانته من أذيته له بعد وفاته، لأنه كان يرى أنه إذا أظهر أنه على دينهم تبقى حرمته وتعظيمه عندهم بعد وفاته، فلا ينال النبي صلى الله عليه وآله وسلم منهم أذى، وإذا كان هذا قصده كان معذوراً، فتكون إجابته لهما بما أجابهما به مداراة لهما لئلا ينفرهما خشية أن يؤذوا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بعد وفاته، على أنه يمكن الجمع بين امتناعه ونطقه، بأنه امتنع بحضورهما مداراة لهما، فلما انطلقا وذهبا نطق بها، وأصغى إليه العباس فسمعه نطق بها، ولهذا قال في الحديث

السابق: ماكلمهم به، يعني أبا جهل ومن كان معه، ولم يقل: آخر ماتكلم به مطلقاً، فدل على أن قوله: هو على ملة عبد المطلب، دليل على أنه على التوحيد، لأن عبد المطلب كان على التوحيد كبقية آبائه صلى الله عليه وآله وسلم كما حقق ذلك الجلال السيوطي وغيره في رسائل متعددة، فأبهم أبو طالب عليهم الجواب ليرضيهم ظاهرا، وهو يعلم أن عبد المطلب كان على التوحيد.

وأخرج ابن عساكر عن عمرو بن العاص رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول: [إن لأبي طالب عندي رحماً سابلها ببلالها]، والقائلون بعدم نجاته يقولون: إن حديث (الصحيحين) الذي فيه: كان في غمرات من النار، يدفع إيمانه، وإن هذا بشأن من مات على الكفر.

قال البرزنجي: ليس من شأن من مات على الكفر أي يكون في ضحضاح من النار، بل شأنه أن يكون في الدرك الأسفل من النار، فقبول الشفاعة فيه حتى صار في ضحضاح دليل على عدم كفره، إذ لاتقبل في الكافر شفاعة الشافعين، وقوله صلى الله عليه وآله وسلم: [لولا أنا لكان في الدرك الأسفل من النار] معناه: لولا أن الله هداه بي للإيمان لمات كافراً، وكان في الدرك الأسفل من النار، وهو نظير قوله صلى الله عليه وآله وسلم في ولد اليهودي الذي زاره صلى الله عليه وآله وسلم في مرضه، وعرض عليه الإسلام فأسلم فمات: [الحمد لله الذي أنقذه بي من النار]، وحينئذ ظهر لنا معنى لطيف في هذا الحديث الآخر الذي كان في غمرات النار فشفعت له فأخرج إلى ضحضاح منها، وهو أن المعنى: كان مشرفاً على دخول الغمرات حيث أبى أن يشهد ثم تشفعت فيه فهداه الله للإيمان، ولاينافي قوله لم أسمع، لجواز أن الله أخبره بعد ذلك.

٢ ـ قول السيد فخار بن معد:

وأيضاً فإن هذه الأحاديث المتضمنة: أن أبا طالب في ضحضاح من نار مختلقة، أصلها واحد وراويها منفرد بها، لأنها جميعها تستند إلى المغيرة بن شعبة الثقفي لايروي أحد منها شيئاً سواه(٣٥٠)، وهو رجل ظنين في حق بني هاشم متهم فيما يرويه عنهم لأنه معروف بعداوتهم، مشهور ببغضهم والانحراف عنهم.

---

(٣٥٠) أيد ابن أبي الحديد في (شرح النهج) ٢/٣١٢ هذا الرأي، وإن كان مستنده قول الامامية يقول: قالوا: وأما حديث الضحضاح من النار، فإنما يرويه الناس كلهم عن رجل واحد وهو المغيرة بن شعبة (ويبغضه لبني هاشم وعلى

وبعد أن روى السيد فخار حديث الضحضاح قال عن متنه: فهذه الأخبار المختصة بذكر الضحضاح من نار وماشاكلها من تخرصات ذوي الفتن وروايات أهل الضلال، وموضوعات بني أمية وأشياعهم، الناصبين العداوة لأهل بيت النبي صلى الله عليه وآله وسلم، وهي في نفسها تدل على أن مفتعلها والمجترىء على الله بتخرصها متحامل غمر جاهل،

الخصوص لعلي عليه السلام مشهور معلوم). وقصته وفقه غير خاف(*) وإن مؤلفنا فخار بن معد معاصر لابن أبي الحديد، ولعلهما استقيا الخبر من مصدر واحد، فإن المصادر التي اطلعت عليها عدا هذين المصدرين لم تشر إلى من رواة هذا الخبر المغيرة وهو مصدره، كما في مصادر الشيعة التي اطلعت عليها، ولم أر أحداً ذكر هذا غير السيد علي خان في (الدرجات الرفيعة) ٥٥، وعبارته تكاد تتفق حرفياً مع عبارة ابن أبي الحديد، (الحجة هامش ٩٨ و٩٠) للسيد محمد بحر العلوم

* وخلاصة الحادثة: أن أبا بكرة نفيع بن الحارث بن كلدة الثقفي شهد على المغيرة بن شعبة أنه زنى بإمرأة تدعى أم جميل، عندما كان والياً على الكوفة، وقال: إنه رأى الميل يدخل في المكحلة، وقال: لكأني أنظر إلى أثر الجدري بفخذ المرأة، وأيده بهذه الشهادة أخوه نافع، وشبل بن معبد، أما الشاهد الرابع وهو زياد بن أبيه، فإنه سمع قول الخليفة الثاني عمر بن الخطاب رضي الله عنه: إني لأرى وجه رجل ماكان الله يخزي رجلاً من المهاجرين بشهادته.

فشهد زياد بأنه: رأى منظراً قبيحاً ونفساً عالياً، ولقد رأيته بين فخذي المرأة، ولاأدري هل خالط أم لا.

فجلد عمر رضي الله عنه الشهود الثلاثة، فقال نافع: أنت والله ياعمر جلدتنا ظلماً، أنت رددت صاحبنا أن يشهد بمثل شهادتنا، أعلمته هواك فاتبعه، ولو كان تقياً كان رضاء الله والحق عنده آثر من رضاك.

وقال شبل: أفتجلد شهود الحق، وتبطل الحق أحب إليك ياعمر!

وأصر أبو بكرة على شهادته قائلاً: أشهد لقد زنى المغيرة، فأراد عمر أن يجلده ثانية، فقال له علي عليه السلام: إن جلدته فارجم صاحبك (أي الشهادة الرابعة على وقوع الزنى قد كملت) فتركه عمر.

وإليك بعض المصادر التي روت قصة المغيرة مع أم جميل: ١ ـ ابن عبد البر في (الاستيعاب)، ٢ ـ ابن الأثير الجزري في (أسد الغابة)، ٣ ـ ابن حجر العسقلاني في (الاصابة) بعد ترجمة الشهود، ٤ ـ أحمد بن يحيى البلاذري في (فتوح البلدان) ٣٥٣، ٥ ـ أبو الفرج الأصفهاني في (الأغاني) ٤/١٤٠، ٦ ـ علاء الدين المتقي الهندي في (منتخب كنز العمال) بهامش (مسند أحمد بن حنبل) ٢/٤١٣، ٧ ـ ابن جرير الطبري في (تاريخ الأمم والملوك) حوادث سنة ١٧ هـ، ٨ ـ ابن الأثير في (الكامل) حوادث سنة ١٧ هـ، ٩ ـ أبو الفداء في (المختصر في أخبار البشر) حوادث سنة ١٧هـ، ١٠ ـ أبو حنيفة الدينوري في (الأخبار الطوال) ١١٨، ١١ ـ الحاكم النيسابوري في (المستدرك على الصحيحين) ٣/٤٤٨، ١٢ ـ الذهبي في (تلخيص المستدرك) بذيله ٣/٤٤٨، ١٣ ـ ابن أبي الحديد في (شرح النهج) ٣/١٥٩ ١٦٢ وأورد قول المدائني، ١٤ ـ قاضي القضاة في (شرح النهج) ٣/١٦٤، ١٥ ـ الفضل بن روزبهان الأصفهاني الحنفي الأشعري في (أبطال الحق) الذي كتبه في الرد على (كشف الحق) للعلامة الحلي رحمه الله، وقال بعد ذكر القصة: روى ذلك البخاري في (تاريخه) وابن خلكان وابن الأثير وسائر المحدثين وأرباب التاريخ في كتبهم، ١٦ ـ شيخ الحفاظ عبد الوهاب بن تقي السبكي في (طبقات الشافعية) ٢/٢٠٩، ١٧ ـ ابن خلكان في (وفيات الأعيان) في آخر ترجمة يزيد بن زياد بن ربيعة، ١٨ ـ البيهقي في (السنن الكبرى) ٨/٢٦٥، ١٩ ـ نافع الحموي في معجم البلدان ١/٤٣١، ٢٠ ـ ابن كثير في (البداية والنهاية) ٧/٨١، ٢١ ـ العيني بدر الدين في (عمدة القاري في شرح صحيح البخاري) ٦/٣٤٠، (الحجة) ٩١ و٩٣

قليل المعرفة باللغة العربية التي خاطب الله بها عباده، وأنزل بها كتابه، لأن الضحضاح لايعرف إلا لقليل الماء، فحيث عدل به إلى النار ظهرت فضيحته، واستبان جهله وتحامله.

وأيضاً فإن الأمة متفقة على أن الآخرة ليس فيها سوى الجنة والنار، فالمؤمن يدخله الله الجنة، والكافر يدخله الله النار، فإن كان أبو طالب كافراً ـ على مايقوله مخالفنا ـ فما باله يكون في ضحضاح من نار بين الكفار، ولم تجعل له نار وحده، من بين الخلائق، والقرآن متضمن: أن الكافر يستحق التأبيد والخلود في النار، فإن قيل: إنما جعل في ضحضاح من نار لتربيته النبي صلى الله عليه وآله وسلم وشفقته عليه ونصره إياه، قلنا: تربيته للنبي صلى الله عليه وآله وسلم وشفقته عليه والنصرة له طاعة لله تعالى يستحق في مقابلها الثواب الدائم، فإن كان أبو طالب فعلها وهو مؤمن فما باله لايكون في الجنة كغيره من المؤمنين، وإن كان فعلها وهو كافر، فإنها غير نافعة له، لأنه لم يرفعه لوجهه متقرباً به إلى الله تعالى من حيث أنه لم يعرف الله تعالى ليتقرب إليه، فيجب أن يكون عمله غير نافع له، فما استحق أن يجعل في ضحضاح من نار، فهو إما مؤمن يستحق الجنة لما نقول، وإما كافر يستحق التأبيد في الدرك الأسفل من النار على وجه الاستحقاق والهوان كغيره من الكفّار، وهذا لايقوله مخالفنا، وقد أبطلنا أن يكون في ضحضاح من نار، فلم يبق إلا أن يكون في الجنة حسب مابيناه، الحجة ٨٧ إلى ٨٩

٣ ـ قول الخنيزي:

نرى أن نقدم للقارىء أولاً الحديث في صوره التي وضعها الوضاعون، لنبدأ الحديث بعدئذٍ:

١ ـ عن عبيد الله بن عمر القواريري، ومحمد بن أبي بكر المقدمي، ومحمد بن عبد الملك الأموي، قالوا: حدث أبو عوانة، عن عبد الملك بن عمير بن عبد الله بن الحارث بن نوفل ابن العباس بن عبد المطلب، أنه قال: يارسول الله! هل نفعت أبا طالب بشيء، فإنه كان يحوطك ويغضب لك؟ قال: [نعم، هو في ضحضاح من نار، ولولا أنا لكان في الدرك الأسفل من النار].

٢ ـ عن ابن عمير: حدثنا سفيان عن عبد الملك بن عمير عن عبيد الله بن الحارث، قال: سمعت العباس يقول: قلت يارسول الله! إن أبا طالب كان يحوطك وينصرك، فهل نفعه ذلك؟ قال: [نعم، وجدته في غمرات من النار، فأخرجته إلى ضحضاح].

٣ و ٤ ـ عن محمد بن حاتم، حدثنا يحيى بن سعيدعن سفيان. . . الخ عن أبي بكر بن أبي شيبة حدثنا وكيع عن سفيان، كالحديث الأول.

٥ ـ عن قتيبة بن سعيد، حدثنا ليث عن ابن الهاد عن عبد الله بن جناب عن أبي سعيد الخدري: أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ذكر عمه أبا طالب، فقال: [لعله تنفعه شفاعتي يوم القيامة، فيجعل في ضحضاح من نار يبلغ كعبيه يغلي منها دماغه].

٦ ـ عن أبي بكر بن أبي شيبة، حدثنا عفان، حدثنا حماد بن سلمة، حدثنا ثابت عن أبي عثمان النهدي، عن ابن عباس: أن رسول الله قال: [أهون أهل النار عذاباً أبو طالب، وهو ينتعل نعلين يغلي منهما دماغه].

٧ ـ عن مسدد، حدثنا يحيى عن سفيان، حدثنا عبد الملك، حدثنا عبد الله بن الحرث، حدثنا العباس بن عبد المطلب رضي الله عنه، قال: قيل للنبي صلى الله عليه وآله وسلم: ماأغنيت عن عمك؟ فإنه كان يحوطك ويغضب لك، قال: [هو في ضحضاح من نار، ولولا أنا لكان في الدرك الأسفل من النار].

٨ و ٩ ـ عن عبد الله بن يوسف عن الليث. . . الخ كما في الحديث الخامس، عن إبراهيم بن حمزة، حدثنا ابن أبي حازم والدراوردي بهذا ـ الحديث الخامس ـ وقال: تغلي منه أم دماغه.

الرواة:

١ ـ لننظر في رواة الحديث الأول:

أ ـ لم نجد لعبيد الله القواريري أثراً في (الميزان) وقد وقفنا على حديث في (الغدير) من بين رواته عبيد الله هذا، وقد عرض له المؤلف بالتزييف، فقال عن عبيد الله هذا:

وفي الإسناد عبيد الله القواريري، روى عنه البخاري خمسة أحاديث فحسب، ومسلم أربعين حديثاً، وقد سمع منه أحمد بن يحيى مائة ألف حديث، فما حكم ذلك الحواش الحائش مما جاء به القواريري بعد مالم يأخذ البخاري ومسلم منه إلا عدة أحاديث، وضربا عن كل ذلك صفحاً، ومن المستبعد جداً عدم وقوفهما عليها.

ب ـ وكذلك محمد بن أبي بكر المقدمي، لم نجد له ذكراً سوى ذكر لمحمد بن أبي بكر بأنه مجهول، وقد جاء في الغدير حديث زيف هناك من رواته محمد بن أبي بكر المقدمي.

جـ ـ أما محمد بن عبد الملك الأموي، فيكفينا أن يكون أموياً ليضع مثل هذا الحديث، أو يروي ما يماثله في حق شيخ الأبطح، وإن يكن هو محمد بن عبد الملك بن مروان بن الحكم،

فيكفينا أن يكون أبوه هذا الطاغية الوزغ كما في تعبيره صلى الله عليه وآله وسلم، الملعون وما أنتج، وهو طريد رسول الله، ومروان ليس سوى فضض من لعنة رسول الله عبرت السيدة عائشة(٣٥١) أقول: (ومع ذلك روى له أصحاب الصحاح وغيرهم) هذا فقد قال عنه أبو داود: لم يكن بمحكم العقل.

هـ - عبد الملك بن عمير: ولي قضاء الكوفة بعد الشعبي، فطال عمره وساء حفظه الذهبي، وقد قال عنه أبو حاتم: ليس بحافظ، تغير حفظه، وقال الامام أحمد: يغلط. وقال ابن معين: مخلط، وقال ابن خراش: كان شعبة لايرضاه، وقال الكوسج أحمد: إنه ضعيف جداً، وقال ابن حبّان: كان مدلساً.

٢ - وننقل رواة الحديث الثاني:

أ - ابن أبي عمير: غامض ب - سفيان الثوري: مدلس، منحرف عن أمير المؤمنين علي أبي طالب

٣ - أما سلسلة الحديث الثالث، فقد سبق أن وقفنا عند أفرادها.

٤ - ويوافينا الحديث الرابع:

أ - أبو بكر بن أبي شيبة: عده الذهبي من مجاهيل الاسم.

ب - ولسنا نعلم من وكيع هذا، فإن يكن هو وكيع بن الجراح، فقد قال ابن المديني: كان وكيع يلحن، ولو حدثت بلفظه لكان عجباً، كان يقول: حدثنا الشعبي عن عائشة.

وسأل أحمد بن حنبل: إذا اختلف وكيع وعبد الرحمن بن مهدي، نقول: بمن نأخذ؟ فقال: عبد الرحمن يوافق أكثر، وخاصة في سفيان، والحديث هذا يروى عن وكيع عن سفيان، ورأى الذهبي أن يتم فيه حلقة القدح، فقال فيه عن ابن المديني في (التهذيب): كان فيه تشيع قليل، فإذا كان ليس ثقة لتشيعه، فلماذا يؤخذ منه حديث لوصح تشيعه لانتفى عزو الحديث إليه لأنه يخالف عقيدته الحقة في شيخ الأبطح

٥ - وهذا ماضمه الحديث الخامس:

أ - قتيبة بن سعيد، يقول عنه الذهبي: لايدري من هو.

ب - الليث: هناك حفنة ليس بينهم سوى المجهول والضعيف والمنكر ومضطرب الحديث.. الخ، فإن يكن هو الليث بن سعد كما يقول صاحب شيخ الأبطح ٧٥، فقد قال عنه

---

(٣٥١) أبو طالب شيخ بني هاشم ٥

يحيى بن معين: إنه كان يتساهل في الشيوخ والسماع، وذكر البناني في (تذييله على الكامل): وهو مكتوب في الضعفاء.

جـ ـ أما ابن الهاد، وهو يزيد بن عبد الله بن الهاد، فقد أورده أبو عبد الله بن الحذاء في باب ـ من ذكر بجرح من رجال الموطأ ـ وقال عنه ابن معين: يروي عن كل أحد.

د ـ وأما عبد الله بن خباب، فقد قال عنه الجوزجاني: لايعرفونه.

٦ ـ وفي الحديث السادس:

أ ـ أبو بكر بن أبي شيبة: وقد وقفنا عليه في رقم ٤

ب ـ ومن عفان هذا، والظاهر أنه عفان بن مسلم، حيث أن إسناد الحديث عنه لحماد بن سلمة لثابت، يوافق ماذكره الذهبي من حديث عنه في ترجمة له، وهو الذي قال عنه بعد كلام: والله لو جهد جهده أن يضبط في جعبته حديثاً واحداً ماقدر، كان بطيئاً رديء الحفظ، بطيء الفهم، وقال أبو خيثمة: أنكرنا عفان قبل موته بأيام.

جـ ـ حماد بن سلمة: له أوهام، كما يقول الذهبي، وقال ابن المديني: كان عند يحيى بن الضرير عن حماد عشرة آلاف حديث، وقال عمرو بن سلمة: كتب عن حماد بن سلمة بضعة عشر ألف حديث، هل رأيت هذه الكثرة، فعند واحد عنه عشرة آلاف، وعند الآخر بضعة عشر ألف، ولاتسل: هل عند غيرهما مثل هذين الرقمين أم لا، ثم إنهم قالوا: كان حماد بن سلمة لايعرف بهذه الأحاديث ـ أي التي في الضعفاء ـ حتى خرج مرة إلى عبادان فجاء وهو يرويها، فلا أحسبه ـ أي القائل ـ إلا شيطاناً خرج إليه من البحر فألقاها إليه، قال ابن الثلجي: فسمعت عباد بن صهيب يقول: إن حماداً كان لايحفظ، وكانوا يقولون: انها دسّت في كتبه، وقد قيل: ان ابن أبي العوجاء كان دبيبه أو ربيبه، فكان يدرس في كتبه، ويكفينا النقض تفصيل وتوثيق من ادعى ذلك له، أن الذهبي أورد له بعد دفاعه عنه ومدحه له، أحاديث تنال الخالق العظيم نفسه إذ جسّمه كأبشع وأقبح مايكون التجسيم ـ تنزه الله سبحانه عما يفترون وتعالى علواً كبيرا ـ فقد حدث حماد هذا عن ثابت بن أنس: أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قرأ: [فلما تجلى ربه للجبل].

قال: أخرج طرف خنصره، وضرب على إبهامه فساخ الجبل، فقال حميد الطويل: أثابت تحدث بمثل هذا؟ قال: فضرب في صدر حميد، وقال: يقوله أنس، ويقوله رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأكتمه أنا، رواه جماعة عن حماد وصححه الترمذي، فهل من قيمة ـ بعد

هذا الحديث يوصف بالصحة؟ ـ وهل من حديث ـ بعد هذا ـ لاينال مثل هذه الصفة، وحماد أيضاً هو الذي يروي مرفوعاً: رأيت ربي (وهو رب حماد لا ربنا العظيم) جعداً أمرد عليه حلّة خضراء، وأنه رآه في صورة شاب أمرد، دونه ستر من لؤلؤ، قدميه ورجليه خضرة (كذا) حتى أن الذهبي نسي مدحه السابق له، فعقب على هذه الأحاديث بقوله: فهذا من أنكر ماأتى به حماد بن سلمة، وهذه الرؤية رؤية منام إن صحت، ثم ذكر أن أبا عدي ساق لحماد جملة مما ينفرد به متناً وإسناداً، وذكر أن البخاري قد تحايده، أي لم يرو عنه شيئاً.

د ـ ثابت: لاندري من هذا، فهناك حفنة بهذا الاسم، فيهم المكذوب، والضعيف المجهول، ومنكر الحديث، ولاندري بمكانه من بين هذه الصفات، ولعله هو ثابت بن أبي ثابت، فيكون أخاً لحبيب بن أبي ثابت، أول من وقفنا عنده حول هذا التحريف والتزوير في حق شيخ الأبطح، فإن يكن هو فقد عدّه الذهبي مجهولاً، ولكنه طبعاً هو مايروي عنه حماد ابن سلمة، ويكفينا منه أن يتفق مع حماد في الحديث السابق عن تجسيم الخالق العظيم، وإن كان ذاك الحديث من فكر حمّاد، فإن المتجرىء على الله سبحانه لايرتدع عن عباده الذين اصطفى.

هـ ـ أبو عثمان النهدي: ليس ممن يعرف

٧ ـ وقد ضم الحديث السابع:

أ ـ مسدد: لم نعرف من هو، فما هناك في الميزان سوى المسدد بن علي، وفيه تساهل، ولكن لانعلم هل هو هذا أم غيره.

ب ـ أما بقية السلسلة، وهي يحيى وسفيان وعبد الملك، فقد وقفنا عند كل واحد منها وعرفنا قيمته بين الرجال.

٨ ـ أما الحديث الثامن، ففيه:

أ ـ عبد الله بن يوسف: إن يكن هو عبد الله بن يوسف التنسي، كما يقول صاحب شيخ الأبطح ٧٤، فقد عده ابن عدي في (الكامل) من الضعفاء، وإن يكن هو: عبد الله بن سليمان بن يوسف الذي يروي عن الليث، فإنه ليس بمعتمد، وفيه شيء، وقد روي له حديث في الفضائل أنكره الذهبي، وكذلك ينكره كل ذي فكر.

ب ـ وهكذا تتصل سلسلة الحديث بالليث إلى آخر السلسلة التي عرضنا لها في الحديث الخامس

٩ ـ ونجد بين رواة الحديث التاسع:

أ ـ إبراهيم بن حمزة، وندعه مادمنا لم نقف عنه على أثر.

ب ـ ابن أبي حازم، واسمه عبد العزيز: ليّنه ابن سيد الناس، كما ذكره قبله العقيلي في كتابه، ومجرى الكلام يدل عليه: إن الكتاب في الضعفاء، وهم يرونه سمع من أبيه، وأما هذه الكتب التي عنده لغير أبيه فيقولون: إن كتب سليمان بن بلال صارت إليه ولايدري بأنه يدلسها، وقال الفلّاس: مارأيت ابن المهدي حدّث عن ابن أبي حازم بحديث، وقال أحمد: لم يكن يعرف بطلب الحديث، وقيل: إنه ضعيف إلا في حديث أبيه، وقال ابن المديني: فيه أحاديث رواها عن أبيه.

جـ ـ الدراوردي: وهو عبد العزيز بن محمد، قال عنه الإمام أحمد: إذا حدث من حفظه يهم، ليس هو بشيء، وإذا حدّث جاء ببواطيل.

د ـ أما يزيد فلا ندري من هو؟ فإن يكن يزيد بن كيسان، فقد عرفناه ممن لايحتج به أويعتمد عليه.

ويعود الخنيزي ليلقي نظرة على الحديث، فيقول:

أولاً: هناك تضارب بين متن الحديث يختلف به المعنى:

آ ـ ففي بعض الروايات: [نعم! هو في ضحضاح من نار، ولولا أنا لكان في الدرك الأسفل من النار].

أي: أن شفاعة الرسول معجلة له، وانها وقعت فعلاً، كما ورد في الحديث التالي: [نعم! وجدته في غمرات النار فأخرجته إلى ضحضاح].

ب ـ في بعض الصور الأخرى للحديث هي: [لعله تنفعه شفاعتي يوم القيامة]، وهذه الصورة لاتحتمل إلا الدعاء والترجي، وهي مؤجلة إلى يوم القيامة.

جـ ـ وفي بعضها الآخر: إنه أهون أهل النار عذاباً، وهو منتعل نعلين يغلي منهما دماغه، وهذا يدل على أن الشفاعة قد نالته، والشفاعة لاتنال إلا المؤمن، فهو مؤمن حقاً.

د ـ ثم ماهو التخفيف إذا كان ـ حتى يسيل (أي دماغه) على قدميه ـ وهذا يتناقض مع من قال: إن العذاب سلّط على قدميه خاصة لتثبيته إياهما على تلك الملّة، فيكون من مشاكلة (الجزاء للعمل).

ثانياً: هناك تناقض بين حديث الضحضاح وحديث الاحتضار:

فقد ذكروا في حديث الاحتضار: أن الرسول صلى الله عليه وآله وسلم طلب من عمه

كلمة (هي الشهادة) يشهد له بها عن الله، يحاج له بها عنده، ويستحل له بها الشفاعة، ويقولون: إنه لم يقلها.

فهو ـ في هذا المحكي على لسان الرسول ـ قد علّق استحلال الشفاعة على النطق بالشهادة، حيث لايحل له ذلك بدونها، لذلك لم يقولوا فيه: انه شَفَع له، وإنما استغفر له حتى نهاه الله عنه وأعلمه بخطأ استغفاره (ذلك الوقت الطويل) رغم مانزلت عليه من آيات ناهية فلم ينته بها... الخ

ثم يقولون هنا: إن الرسول شفع لعمه شفاعة معجلة صدرت قبل نطقه بهذه القولة: نعم! وجدته في غمرات من النار، فأخرجته إلى الضحضاح، فكيف شفع له (في هذا الحديث) إذا كان قد علق الشفاعة على النطق بالشهادة، وهو لم يتفوه بها...؟ فهل قالها أبو طالب؟ أم لم يقلها؟ فإن لم يكن قد نطق بها ـ كما يقولون في حديث الاحتضار ـ فقد رأينا الشفاعة أياً كان نوعها لاتنال الكافر في الآيات التي ذكرنا بعضها، فكيف يخفف العذاب عنه؟ كما أنها لاتناله بالذات على رأي صاحب الحديث الأول، الذي علّق الشفاعة على نطق تلك الكلمة، مع ملاحظة ـ أن حلقة الرواة فيهما واحدة ـ

وهو إن نطق بها، فإن مفهوم الكلام والحوار (في حديث الضحضاح) لايقصر على تخفيف العذاب من الغمرات إلى الضحضاح، وهل الرسول من البخل إلى هذا الحد، بحيث لايشفع لمن نصره وربّاه وكفله إلا بتخفيف العذاب.

ثالثاً ـ إن الحديث مسند للعباس، وحاشاه!!! وهو معارض بحديث الاحتضار المنقول عن العباس أيضاً، حيث جاء فيه: أنه سمع أبا طالب (في نفسه الأخير) يردد الشهادة التي أرادها الرسول منه ليستحل بها الشفاعة، فقال له: لقد قال الكلمة التي أردتها منه.

وقد قلنا في التعليق على حديث الاحتضار: إن على من يقول بصحته أن يأخذ به حتى نهايته، وإلا فيرمي به بكامله، لاأن يأخذ مايحقق الشهوة، ويترك مايناقي الغرض.

ثم إن من يسلم بالحديثين (الاحتضار والضحضاح) يقع في التعارض والتناقض بينهما حسبما أشرنا إلى ذلك، ومن رفض أحدهما لزمه رفض الآخر لاتحاد بعض الرواة في الحديثين، فمن يرفض منه حديث لايؤخذ منه آخر.

٢ ـ خلاصـــة

أولاً ـ آية ﴿ماكان للنبي﴾ :

أ ـ إن هذه الآية من سورة التوبة وهي (آخر مانزل من القرآن الكريم)، وكان نزولها بعد وفاة أبي طالب بأكثر من ثلاثة عشر عاماً.

ب ـ لايمكن أن تكون هذه الآية قد نزلت مع آية : ﴿إنك لاتهدي من أحببت﴾ كما أوردوا، لأن الآية الثانية مكية والأولى مدنية وبين نزولها أكثر من عشرة أعوام.

جـ ـ إذا كان المقصود من الآية : (الصلاة على الأموات) كما في بعض الروايات، فإن أبا طالب مات قبل أن تشرع الصلاة على الموتى.

د ـ إن النهي عن الاستغفار، المقصود به أناس أحياء، وكذلك إبراهيم عليه السلام استغفر لآزر عندما كان حياً ثم تبرأ منه.

هـ ـ إن النهي عن الاستغفار للمشركين كان معروفاً قبل نزول هذه الآية، بدليل استنكار علي عليه السلام لمن استغفر لوالديه وهما مشركان.

و ـ إن صيغة الآية (صيغة نفي) وليست (صيغة نهي)

ز ـ إذا كان سبب نزول الآية في أبي طالب، فيكون الرسول صلى الله عليه وآله وسلم قد استغفر لمشرك مع أنه نهي عن ذلك في عدة آيات نزلت قبل هذه الآية.

ح ـ إن الاستغفار والدعاء والترحم بعد الموت دليل على إيمان المدعو له، وهكذا كان يفعل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، يستغفر لعمه أبي طالب ويدعو له ويترحم عليه بعد موته.

ثانياً ـ آية : ﴿إنك لاتهدي من أحببت﴾

أ ـ إنها دليل على إيمان أبي طالب، لثبوت محبته للرسول صلى الله عليه وآله وسلم ومحبة الرسول له، وقد نهي الرسول عن محبة المشركين ومودتهم، وورد في الحديث [يحشر المرء مع من يحب]

ب ـ إنها دلت على أن إيمان أبي طالب ليس سببه دعوة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم فحسب، وإنما كانت من الله عز وجل.

ثالثاً ـ آية : ﴿وهم ينهون عنه وينأون عنه﴾

أ ـ جاءت الآية بصفة الجمع، ولو كان المقصود بها أبا طالب لجاءت بصيغة المفرد

ب ـ المستفاد من سياقها أنه تعالى يريد ذم أناس أحياء ينهون عن اتباع نبيه، ويتباعدون

عنه، وسورة الأنعام التي فيها الآية، نزلت بعد وفاة أبي طالب بزمن طويل.

رابعاً ـ الأحاديث:

١ ـ المتن:

أ ـ الأصل عدم تكرار أسباب النزول، وقد لاحظنا تعدد أسباب النزول دون سبب أو حاجة

ب ـ هناك تناقض في متن هذه الأحاديث ـ فحديث الضحضاح ـ جاء برواية: أن الرسول صلى الله عليه وآله وسلم شفع لعمه، وفي أخرى: أنه سيشفع له، وفي ثالثة: أنه أخف أهل النار عذاباً وهو متعل نعلين يغلي منهما دماغه، وفي رابعة: أن العذاب سلط على قدميه لتثبيته إياهما على تلك الملة.

جـ ـ إن حديث الضحضاح يدل على إيمان أبي طالب، لأن الشفاعة لاتنال مشركاً ولا كافراً

د ـ إن قول أبي طالب انه على ملة عبد المطلب دليل على إيمانه لأن عبد المطلب كان موحداً على ملة إبراهيم.

هـ ـ إن من يأخذ بحديث الاحتضار عليه أن يأخذه كاملاً أو أن يطرحه كاملاً، حيث ذكر العباس: أنه سمع أبا طالب ينطق بالشهادتين.

٢ ـ السند:

أ ـ بعض الأحاديث مرسلة

ب ـ أكثر الرواة من مبغضي آل البيت، ومنهم الكذاب، والضعيف، والمدلس، والمجهول

د ـ لايصح إسناد بعض الأحاديث لعبد الله بن عباس لأنه ولد في العام الذي مات به أبو طالب، ولأنه يقول بإيمانه.

هـ ـ لايصح إسناد بعض الأحاديث لعبد الله بن عمر لأنه ولد قبل وفاة أبي طالب بسبع سنين.

و ـ لايصح إسناد بعض الأحاديث لأبي هريرة لأنه أسلم بعد وفاة أبي طالب بعشر سنين حيث أسلم في العام السابع للهجرة وموت أبي طالب كان في العام العاشر للبعثة.

ز ـ لايصح إسناد بعض الأحاديث للمسيب (والد سعيد) لأنه أسلم عام الفتح بعد وفاة أبي طالب بأكثر من أحد عشر عاماً

ح ـ لايصح إسناد بعض الأحاديث للعباس بن عبد المطلب، لأنه كان يقول بإسلام أبي طالب، ومر معك أنه سمعه ينطق بالشهادة.

ط ـ لايصح إسناد بعض الأحاديث لعلي بن أبي طالب لأنه كان يقول بإسلام وإيمان والده. مع الإشارة إلى أن هناك روايات تقول ان المغيرة بن شعبة قد روى حديث (الضحضاح) ومعلوم أن المغيرة أسلم عام ٦ للهجرة.

٣ ـ هناك تناقض بين متن بعض الأحاديث، ويكون اتحاد في بعض رواة تلك الأحاديث، فأيها نرفض من هذه الأحاديث؟ وأيها نأخذ به؟

فمثلاً: حديث الضحضاح يستفاد منه أن الرسول صلى الله عليه وآله وسلم شفع أو سيشفع لعمه، بينما حديث الاحتضار نفى عن أبي طالب النطق بالشهادة، فكيف تناله الشفاعة لو لم ينطق بالشهادة، لأن الشفاعة لاتنال مشركاً ولاكافراً.

ولقد أجاد الأستاذ عبد العزيز سيد الأهل حين قال:

وليس من المحمود للناس في سبيل رجل رعى النبي وحماه أكثر من أربعين عاماً، أن تقتضب أخباره كما اقتضبت، وأن تنثر وتبعثر كما نثرت وبعثرت، وأن يقل رواتها ويضطربوا كما قلّوا واضطربوا، ثم ينسى فضله كله، ويقف التاريخ منه في ساعة موته موقفاً واهناً عجيباً، يتحدث عن الرجل الذي حمى النبوة ونافح عنها بقوة وتضحية وإيمان، وكأنما يتحدث بلسان خلق من الهوى عن رجل دخيل، أو عن وافد غريب.

٣ ـ من كتب بإسلام وإيمان أبي طالب

كتب كثير من علماء المسلمين في إسلام وإيمان أبي طالب، منهم:

١ ـ المجلسي في (بحار الأنوار)

٢ ـ الفتوني في (ضياء الصالحين)

٣ ـ الأمين في (أعيان الشيعة)

٤ ـ الأميني في (الغدير)

٥ ـ البرزنجي في (نجاة أبوي الرسول)

وكثير ممن كتب في السيرة أو تاريخ الإسلام منهم:

١ ـ السيد هاشم معروف الحسني في كتابه (سيرة المصطفى ـ نظرة جديدة)

٢ ـ والسيد صدر الدين شرف الدين في كتابه (هاشم وأمية)
٣ ـ والسيد أحمد الواحدي في كتابه (سلسلة آباء الرسول)
٤ ـ والشيخ عبد الرحمن البوادقجي في كتابه (الحسين من المهد إلى اللحد)
٥ ـ والسيد جعفر مرتضى في كتابه (الصحيح من السيرة) الجزء الأول.

وأفرد ذلك بالتأليف آخرون، ذكر بعضهم الأميني في آخر الجزء السابع من الغدير، والسيدان صادق ومحمد بحر العلوم في مقدمة كتاب (الحجة على الذاهب إلى تكفير أبي طالب) للسيد فخار، والسيد حسين البر وجردي في مقدمة تفسيره (الصراط المستقيم) ٢/٧٠ ـ الهامش، وهم:

١ ـ سعد بن عبد الله أبو القاسم الأشعري القمي المتوفى ٢٩٩ ـ ٣٠١ هـ له كتاب (فضل أبي طالب وعبد الله أب النبي صلى الله عليه وآله وسلم) ـ رجال النجاشي ١٢٦ ـ
٢ ـ أبو علي الكوفي، أحمد بن محمد بن عمار، المتوفى ٣٤٦ هـ، له كتاب (إيمان أبي طالب) كما في (فهرست الشيخ) ٢٩، و(رجال النجاشي) ٦٠
٣ ـ أبو محمد، سهل بن عبد الله الديباجي، سمع منه التلكعبري سنة ٣٧٠ هـ له كتاب (إيمان أبي طالب) ذكره النجاشي في (فهرسته) ٣٣
٤ ـ أبو نعيم، علي بن حمزة البصري التميمي اللغوي، المتوفى ٣٧٥ هـ، له كتاب (إيمان أبي طالب) توجد نسخة عند شيخنا الحجة ميرزا محمد الطهراني في سامراء المشرفة، نقل عنه بعض فصوله الحافظ ابن حجر في (الإصابة) في ترجمة أبي طالب، واتهم مؤلفه بالرفض
٥ ـ أبو سعيد، محمد بن أحمد بن الحسين الخزاعي النيسابوري، جد المفسر الكبير الشيخ أبو الفتوح الخزاعي لأمّه، له كتاب (منى الطالب في إيمان أبي طالب) رواه الشيخ منتجب الدين كما في (فهرسته) ١٠، عن سبطه أبي الفتوح عن أبيه عنه.
٦ ـ أبو الحسن، علي بن بلال بن أبي معاوية المهلبي الأزدي، له كتاب (البيان عن خيرة الرحمن في إيمان أبي طالب وآباء النبي صلى الله عليه وآله وسلم) ذكره له الشيخ في (فهرسته) ٩٦، والنجاشي ١٨٨
٧ ـ أحمد بن القاسم، له كتاب (إيمان أبي طالب) رواه النجاشي في (فهرسته) ٦٩ بخط الحسين بن عبد الله الغضائري.
٨ ـ أبو الحسين، أحمد بن محمد بن طرخان الكندي الجرجاني، صديق النجاشي المتوفى ٤٥٠

هـ ذكر له النجاشي في (فهرسته) ٦٣، له كتاب (إيمان أبي طالب)

٩ ـ شيخنا الأكبر عبد الله المفيد، محمد بن محمد بن النعمان، المتوفى ٤١٣ هـ، له كتاب (إيمان أبي طالب) كما في (فهرست) النجاشي ٢٨٤ ـ أقول: طبع الكتاب بتحقيق الشيخ محمد حسن آل ياسين.

١٠ ـ أبو علي، شمس الدين، فخار بن معد الموسوي، المتوفى ٦٣٠ هـ، له كتاب (الحجة على الذاهب إلى تكفير أبي طالب) «وقد طبع الكتاب بتحقيق السيد محمد محمد بحر العلوم وقد سماه (إيمان أبي طالب)»

١١ ـ سيدنا الحجة أبو الفضائل، أحمد بن طاووس الحسني، المتوفى ٦٧٣ هـ، له كتاب (إيمان أبي طالب) ذكره في كتابه (بناء المقالة العلوية لنقض الرسالة العثمانية) وهو كتاب في كتاب في الإمامة، ألفه في الرد على رسالة (أبي عثمان الجاحظ)

١٢ ـ السيد الحسني الطبطبائي اليزدي الحائري الشهير بالواعظ، المتوفى ١٣٠٧ هـ له كتاب (منية الطالب في إيمان أبي طالب) فارسي مطبوع

١٣ ـ المفتي الشريف السيد محمد عباس التستري الهندي، المتوفى ١٣٠٦ هـ له كتاب (بغية الطالب في إيمان أبي طالب)

١٤ ـ شمس العلماء مير زا محمد حسين الكرماني، له كتاب (مقصد الطالب في إيمان آباء النبي وعمه أبي طالب) فارسي طبع في بمبيء سنة ١٣١١ هـ

١٥ ـ الشيخ محمد علي بن مير زا جعفر علي الفصيح الهندي، نزيل مكة المكرمة، له كتاب (القول الواجب في إيمان أبي طالب)

١٦ ـ شيخنا الحجة الحاج مير زا محسن بن العلامة الحجة مير زا محمد التبريزي.

١٧ ـ السيد محمد علي آل شرف الدين العاملي، له كتاب (شيخ الأبطح أو أبو طالب) طبع في بغداد سنة ١٣٤٩ هـ في ٩٦ صفحة، وقد جمع فيه فأوعى ولم يبق للقوس منزعاً

١٨ ـ الشيخ مير زا نجم الدين ابن شيخنا الحجة مير زا محمد الطهراني، له كتاب (الشهاب الثاقب لرجم مكفر أبي طالب)

١٩ ـ الشيخ جعفر بن الحاج محمد النقدي المرحوم، له كتاب (مواهب الواهب في فضائل أبي طالب) طبع في النجف سنة ١٣٤١ هـ في ١٥٤ صفحة فيه فوائد جمة وطرائف ونوادر

٢٠ ـ (بغية الطالب لإيمان أبي طالب وحسن خاتمته) لم يعلم مؤلفه، توجد نسخته المخطوطة

في مكتبة قوتة بمصر رقم ١٦ وهي بخط السيد محمود، فرغ من كتابتها سنة ١١٠٥ هـ، كذا ذكر شيخنا الحجة آغا بزرك الطهراني أطال الله وجوده في (الذريعة) ٢/٥١١ (الحجة)

وهناك كتب أخرى نذكر منها:

١ ـ (بغية الطالب لإيمان أبي طالب) للسيوطي

٢ ـ (أبو طالب وبنوه) للسيد محمد علي آل السيد علي خان

٣ ـ (أسنى المطالب في نجاة أبي طالب) للسيد أحمد زيني دحلان

٤ ـ (أبو طالب رضي الله عنه) للسيد أحمد خيري الحسني الحنفي

٥ ـ (ماقيل في أبي طالب عليه السلام) للسيد علي بن الحسين الهاشمي الخطيب

٦ ـ (أبو طالب مؤمن قريش) للأستاذ عبد الله الخنيزي

٧ ـ (أبو طالب عم النبي) للأستاذ عبد العزيز سيد الأهل

٨ ـ (إسلام أبي طالب) للأستاذ لبيب بيضون

٩ ـ (إسلام أبي طالب) للسيد مهدي مكي وكناز الأشقر، وبشير الخياط

١٠ ـ (أبو طالب عملاق الإسلام الخالد) للشيخ محمد علي اسبر

ويوجد غيرهم ممن لم نتمكن من ذكر مؤلفاتهم، جزى الله الجميع كل خير.

الخاتمـــة:

ومع قلة أخبار أبي طالب في كتب السير والتاريخ قلة ملحوظة، كما ذكر ذلك معظم من كتب عنه، ومنهم السيد عبد العزيز سيد الأهل، والسيد محمد علي شرف الدين الذي قال في مقدمة كتابه (شيخ الأبطح):

فأبو طالب هو المساعد الأول في وضع الأحجار الأولى في بناء هذا الدين القويم، وهو صاحب الفضل الأول بعد النبي صلى الله عليه وآله وسلم في إقامة هذا الصرح العظيم، وعليه فأبو طالب حقيق بأن يكون في الدرجة الأولى من أبطال التاريخ وأقطابه، فلماذا لم نجد من محررات المؤرخين عفى الله عنهم تحت عنوانه سوى كلمات لاتتجاوز الأسطر في ترجمة حاله، ولماذا ماعناهم من أمره ماعناهم من أمر غيره ممن هو دونه ودونه بدرجات نسباً وحسباً

وشخصية وآثاراً.

أقول: ومع كل ذلك، فقد وفقنا الله عز وجل لجمع أكثر من مئتي دليل ثابت على إسلامه وإيمانه، وأنه بطل الإسلام.

وأجر أبي طالب على الله عزّ وجل الذي سيثيبه الحسنى وزيادة، لكننا نذكر فضائل هذا المؤمن والخصال الحميدة له والمواقف المشرفة التي وقفها، لتقر عين رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، ولتكون سيرته مثلاً يحتذى وقدوة حسنة، لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد.

أسأل الله عز وجل أن يجعل عملي خالصاً لوجهه الكريم، وأن يتقبل هذا الكتاب مني بالقبول الحسن، وأن ينفعني به يوم لاينفع مال ولابنون، والحمد لله رب العالمين.

سورية دمشق شعلان شارع فؤاد سليم ٥٥/ ٥

السيد حيدر محمد سعيد العرفي

المصـــادر

١ ـ أبو طالب عم النبي للسيد عبد العزيز سيد الأهل
٢ ـ أبو طالب عملاق الإسلام الخالد للشيخ محمد علي اسبر
٣ ـ أبو طالب مؤمن قريش للأستاذ عبد الله الخنيزي
٤ ـ أبو هريرة للسيد عبد الحسين شرف الدين
٥ ـ احتجاج الأئمة عليهم السلام مع مخالفيهم في إثبات أنهم أبناء رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم للشيخ رضا استاذي
٦ ـ إسلام أبو طالب للأستاذ لبيب بيضون
٧ ـ إسلام أبي طالب للسيد مهدي مكي والأستاذ كناز الأشقر والأستاذ بشير الخياط
٨ ـ أسنى المطالب في نجاة أبي طالب للسيد زيني دحلان
٩ ـ أعيان الشيعة للسيد محسن الأمين العاملي
١٠ ـ إفحام الأعداء والخصوم للسيد ناصر حسين الموسوي الهندي تحقيق الدكتور محمد هادي الأميني
١١ ـ الإمام الصادق للمستشار عبد الحليم الجندي
١٢ ـ إيمان أبي طالب، لأبي علي شمس الدين فخار بن معد، تحقيق السيد محمد بحر العلوم وكان عنوان الكتاب (الحجة على الذاهب إلى تكفير أبي طالب)
١٣ ـ إيمان أبي طالب، للشيخ المفيد، تحقيق الشيخ محمد حسن آل ياسين
١٤ ـ بحار الأنوار للشيخ محمد باقر المجلسي
١٥ ـ بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب للشيخ محمد شكري الألوسي تحقيق الشيخ محمد بهجة الأثري
١٦ ـ بماذا يتقدم المسلمون محاضرة ألقاها السيد محمد سعيد العرفي في قاهرة مصر عام ١٣٥٠ هـ ـ ١٩٣١ م
١٧ ـ تفسير جزء عمّ للشيخ محمد عبده
١٨ ـ تفسير شبر للسيد عبد الله شبر
١٩ ـ تفسير الصراط المستقيم (المقدمة) للسيد حسين البروجردي
٢٠ ـ ثم اهتديت للسيد محمد التيجاني السماوي
٢١ ـ جعفر بن أبي طالب للشيخ محمد علي دخيل

٢٢ ـ سر انحلال الأمة العربية ووهن المسلمين للسيد محمد سعيد العرفي
٢٣ ـ سلسلة آباء النبي للسيد أحمد الواحدي
٢٤ ـ سيرة ابن هشام
٢٥ ـ سيرة المصطفى (نظرة جديدة) للسيد هاشم معروف الحسني
٢٦ ـ شرح رياض الصالحين الجزء الأول (مخطوط) للسيد محمد سعيد العرفي
٢٧ ـ شيخ الأبطح أو أبو طالب للسيد محمد علي شرف الدين
٢٨ ـ الشيعة في التاريخ للشيخ محمد حسين الزين
٢٩ ـ الصحيح من السيرة للسيد جعفر مرتضى
٣٠ ـ عقيدة الشيعة في الإمام الصادق و الأئمة الاثني عشر للسيد حسين مكي العاملي
٣١ ـ علي سيد العرب والعجم للشيخ عبد الجبار الربيعي
٣٢ ـ الغدير للشيخ عبد الحسين أحمد الأميني النجفي
٣٣ ـ فلسفة الهجرة للشيخ عبد الرحمن بوادقجي
٣٤ ـ قواعد استنباط الأحكام للسيد حسين مكي العاملي
٣٥ ـ مبادىء الفقه الاسلامي (الجزء الأول) العبادات للسيد محمد سعيد العرفي
٣٦ ـ اختيار مصباح السالكين شرح نهج البلاغة (الوسيط) لكمال الدين ميثم بن علي بن ميثم البحراني ٦٢٦/٦٨٩ هـ تحقيق الدكتور محمد هادي الأميني
٣٧ ـ المقالات الدينية ـ الجزء الأول ـ للسيد محمد سعيد العرفي
٣٨ ـ نزل الأبرار لمحمد البدخشاني الحارثي تحقيق الدكتور محمد هادي الأميني
٣٩ ـ هاشم وأمية للسيد صدر الدين شرف الدين
٤٠ ـ هتلر والعرب المسلمون للسيد محمد سعيد العرفي
٤١ ـ ينابيع المودة للسيد سليمان بن الشيخ إبراهيم الحسيني البلخي القندوزي

ه

الفهرس

٣	الاهداء
٥	المقدمة
	القسم الأول ـ الفصل الأول
٧	١ ـ إيمان آباء الرسول
١٨	٢ ـ (آزر) عم ابراهيم
٢١	٣ ـ عبد المطلب (ابراهيم الثاني)
٣٢	٤ ـ أبو طالب وارث عبد المطلب
	الفصل الثاني
٣٦	١ ـ الايمان
٤٠	٢ ـ أبو طالب يعرف أن محمداً النبي المبعوث
٥١	٣ ـ أدلة الايمان
٥١	أولاً ـ مايتعلق بالعقيدة
٥٨	ثانياً ـ الأدلة البدهية
٦٣	ثالثاً ـ الأدلة العقلية والنقلية
٦٣	الفقهية
٦٤	احاديث النجاة
٦٧	من السيرة
٦٨	القرائن
٧٦	٤ ـ النصرة بالأقوال

القسم الثاني ـ الفصل الأول

٨٣ ١ ـ النصرة بالأفعال

٩٣ ٢ ـ الحصار في الشعب

١٠٠ ٣ ـ معجزة الأرضة

الفصل الثاني

١٠٦ ١ ـ أبو طالب يدافع عن المسلمين

١٠٩ ٢ ـ أبو طالب يدافع عن الاسلام

١١١ ٣ ـ نفي أن الرسول مسحور

١٢٠ ٤ ـ وصايا أبو طالب

١٢٢ ٥ ـ الوفاة

الفصل الثالث

١٢٣ ١ ـ الاحاديث بإيمان وإسلام أبي طالب

١٣١ ٢ ـ شهادات آل البيت

١٣٨ ٣ ـ بقية الشهادات

١٤٤ ٤ ـ الأحكام والفتاوى

الفصل الرابع

١٤٥ ١ ـ تحقق ماقاله أبو طالب

١٥٧ ٢ ـ السبب في كتمان أبي طالب اسلامه

١٥٩ ٣ ـ من قال باسلام أبي طالب

١٦٠ ٤ ـ نصرة أبي طالب للنبي كانت عن إيمان

القسم الثالث ـ الفصل الأول

١٦٣ ١ ـ افتراءات

١٦٥ ـ بعض مارتكبه الامويون والعباسيون

٢ ـ دفع الشبهات

الفصل الثاني

١٨٧ ١ ـ ماقيل حول الآيات الثلاث

١٨٧ أولاً ـ (وهم ينهون)

١٩٢ ثانياً ـ (ماكان للنبي)

٢٠٨ ثالثاً ـ (انك لاتهدي)

الفصل الثالث

٢١٣ ١ ـ حديث الضحضاح

٢٢٧ ٢ ـ خلاصة

٢٢٩ ٣ ـ من كتب باسلام وإيمان أبي طالب

٢٣٢ الخاتـــمة

٢٣٥ المصـــادر

فهرس الهوامش

الصفحة

٤ ـ حديث (لاتصلّوا عليّ الصلاة البتراء).
٤ ـ البخاري يتبع علياً وآل البيت بـ (عليهم السلام).
٤/١٢ يحيى بن يعمر العدواني.
٥/١٢ آية المباهلة (قل تعالوا).
٣١٧/١٥٠
٦/١٢ الحسن والحسين ابنا رسول الله.
١٨★ الامامية تقول بايمان آباء الرسول.
٣٣/٢٨ فاطمة المخزومية / أم الحكيم البيضاء.
٢١٩/ ؛ ٦
٣٨/٢٨ من نبت مع الرسول في حنين.
٤٠/٣٠ علي بن أبي طالب يقتل عمرو بن عبد ود. وحديث (برز الايمان كله للشرك كله).
٤٢/٣١ حلف عبد المطلب وخزاعة.
٤٧/٣١ القسامة.
٤٩/٣٥ الرسول يدفن فاطمة بنت أسد.
٧٨/٥١ الوحش يفترس الحكم الكلبي بدعاء الامام الصادق.
٨١/٥٢ أدلة إيمان حليمة السعدية.
١٠٥/٦٧ علي بن أبي طالب يقتل عقبة بن أبي معيط.
٦٧★ أم المؤمنين ـ أم حبيبة بنت أبي سفيان.
١٢٢/٧٥ تأبط شراً / ثابت الفهمي.
١٢٤/٧٥ الاحنف بن قيس.
١٢٥/٧٥ قيس بن عاصم المنقري.
١٢٦/٧٦ اكثم بن صيفي.
١٣٥/٨٠ إيمان الأنبياء بمحمد.
٢٢٨/١١٨